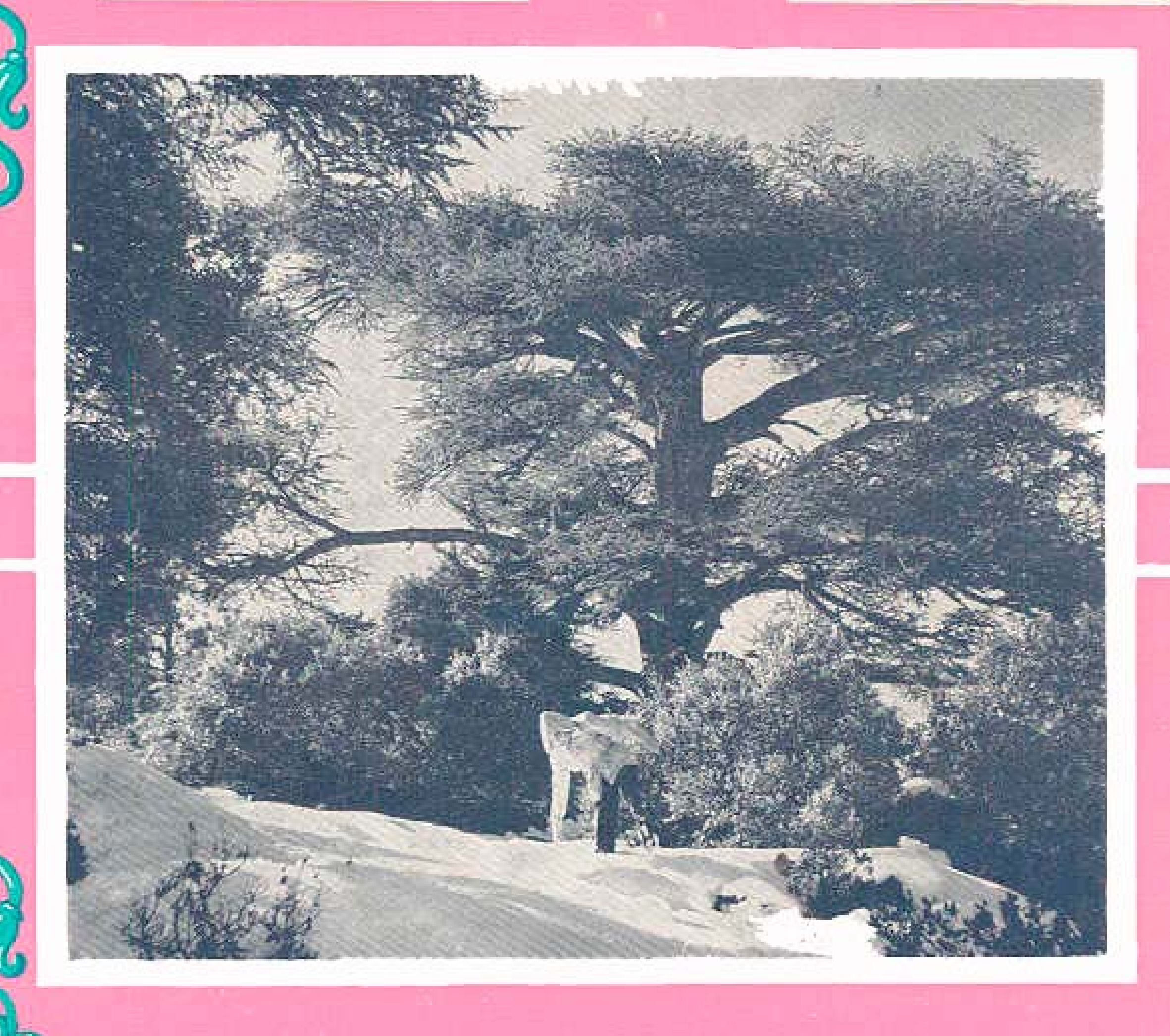


مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى



العدد العاشر . السنة الخامسة
صفر 1382 يوليوز 1962
ثمن العدد 1,50 درهم

العدد العاشر
السنة الخامسة
صفر 1382
يوليوز 1962
ثمن العدد 1,50 درهم

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة عموم الأوقاف

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط ـ المغرب

صورة الغلاف



غابات الارز على الاطلس المتوسط

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 15 درهما ، والشرفي 30 درهما فاكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الرباط ـ
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

بهذا العدد تنهي مجلة ((دعوة الحق)) سنتها الخامسة واقفة بذلك على أهبة الاستعداد لاستقبال سنتها الجديدة بعزم وجد وحماس وتفاؤل .

والذين تتبعوا هذه المجلة منذ نشأتها حتى اليوم ، وراقبوا تطوراتها قد شعروا ولا شك باهمية الدور الذي تضطلع به فى ميدان خدمة الثقافة والفكر ولمسوا النتائج الطيبة التي اعطتها جهود خمس سنوات متواصلة بدون كلل او ملل فى هذا المضمار .

ان وزارة عموم الاوقاف لم تكن تهدف من وراء انشاء هذه المجلة حملها على تأدية اغراض دعائية لمؤسستها ، ولم تكن ترمي كذلك الى جعلها مشروعا تجاريا تحقق منه مكاسب مادية ، وانما كانت تقصد فقط الى تلبية حاجة روحية ماسة من حاجات المغرب المستقل وملء الجو الفكري الذي اخذ يتخلخل بعد اعلان الاستقلال بسبب انصراف عدد كبير من المثقفين عنه واشتغالهم بوظائف ادارية .

ولقد قامت المجلة منذ اليوم الاول لتأسيسها تبحث عن هؤلاء المثقفين فى كل مكان لتجمع شتاتهم على صعيد المعرفة الخالص ، وتوحد جهودهم لبناء نهضة فكرية مستمدة من ضمير هذه الامة ، من ماضيها ومثلها العليا باذلة فى سبيل ذلك مختلف الجهود ومبدية كل ضروب التشجيع المادي والادبي . ويكفيها فخرا واعتزازا ان يقوم على صفحاتها خلال هذه السنوات الخمس عطاء خصب ومتبادل لا بين الكتاب فى المغرب وحسب بل بينهم وبين اخوانهم فى المشرق كذلك .

وان المجلة وهي تختم سنتها الخامسة لتعاهد قراءها على انها ستبقى وفية لمبادئها ، صادقة فى اداء رسالتها التي تكمن فى :

- خلق زاد روحي وثقافي لدى المواطن المغربي .
- ابراز القيم الانسانية الخالدة التي جاء بها الدين الاسلامي الحنيف .
- القاء الاضواء الكاشفة على مختلف الجوانب فى حضارتنا وتراثنا .
- تخطيط الطريق لنهضة ثقافية سليمة .

حول هذه الاهداف تتمنى المجلة ان تلتقي بمحرريها وقرائها فى اعدادها المقبلة من سنتها الجديدة بحول الله لتواصل معهم السير بعزيمة اشد وايمانا اقوى داعية لهم بالتوفيق والسداد .

دعوة الحق

دراسات إسلامية

موقف الإسلام من نظرية النشو والارتقاء

لفضيلة الأستاذ :
أبو الأعلى المودودي

كتب الي احد قراء « ترجمان القرءان » بما يلي :

ان نظرية دروين للارتقاء من الامور المسلم بها اليوم في الاوساط العلمية ، ولكننا اذا قرانا القرآن ، وجدنا ان بينه وبين نظرية دروين تصادم واضح وتناقض سافر . فالانسان ــ على حسب بيان القرآن ــ كان انسانا منذ اول يومه ، خلق بعمل تخليقي في يوم معلوم ثم انتشرت منه السلالة البشرية على وجه الارض ، ولكن الذي تشهد به العلوم الطبيعية التي ندرسها في كلياتنا ، ان الانسان انما جاء متطورا من مرحلة الحيوانية شيئا فشيئا ، ومن المحال ان يعين في هذا التسلسل الارتقائي موضع انتهت عليه مرحلة الحيوانية وابتدات مرحلة الانسانية ، موضع يقول عنه القرآن الحكيم « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » . وهذا هو مثال واحد على ما يوجد من التناقض بين بيان القرآن نظرية دروين للارتقاء ، والا فهناك في مسالة خلق الانسان تفاصيل كثيرة يتصادم فيها بيان القرآن مع نظرية دروين . ونظرا لهذه الامور فان طالبا من طلاب العلوم الطبيعية لا يستطيع ان يحتفظ بايمانه، فهل لكم ان تحلوا لنا هذه المشكلة الشائكة ؟

ان هذا السؤال الذي تقدم به احد قرائنا الكرام واجاد في وضعه وعرضه ، لا نحتاج للجواب عليه الى استعراض دلائل نظرية دروين وشواهدها . وانما الذي يجب التحقيق فيه ، هو : هل ان تصور التطور والارتقاء الذي تقدم به دروين ، حقيقة ثابتة ام انما هو نظرية من النظريات الفكرية ؟ وانه ان كان نظرية وحسب ، فهل يستحق ــ من حيث علو مكانته ــ اذا عرض لمسلم ان يضطره الى التفكير : هل يؤمن به ام يبقى مومنا بالقرآن الحكيم ؟

وليكن القاريء على علم عند اول خطوة بصدد الجواب على هذا التنقيح ان نظرية دروين لا تزال في اواسط القرن العشرين نظرية بحتة كما كانت نظرية صرفة في اواسط القرن التاسع عشر ، ولم تثبت بعد حقيقة وامرا واقعيا ، ولا يخفى على احد الفرق بين النظرية والحقيقة ، وان الانسان لا يحتاج الى اعادة النظر في ايمانه الا حينما يتصادم ايمانه مع شيء هو حقيقة وامر واقع لا مجال للريب فيه ، والا فان الايمان الذي لايصمد للقياسات والنظريات البحتة فما هو بايمان وانما هو حسن ظن يمكن ان يتبدل بسوء ظن على اساس مجرد الاوهام والخرافات والاشاعات الفارغة .

هذا ، وتعال لنستعرض الان مرتبة نظرية داروين ودرجتها في ميدان العقل والاستدلال . ان اصعب مسالة من مسائل علم الحياة قد ابهمت على علماء العلوم الطبيعية ، هي : ما هو مبدا الحياة ؟ اما القرآن فيقول مجيبا على هذا السؤال ان مبدا الحياة هو امر الرب

سبحانه وتعالى ، وامر الرب هو الذي ينشيء آثار الحياة فى مادة ميتة . واما الذين قد ظلت العلوم التجريبية الحاضرة تنمو وتتقدم على ايديهم فى الغرب منذ عصر النهضة (Renaissance) ، فما زالوا يحاولون التملص من اقرار واحساس ذات فوق الفطرة وعملها كيفما امكن ، وظلوا يتمنون منذ بدء امرهم لو عثروا فى داخل معمل الفطرة — الكون — هذا على القوة التي تعمل فيه وتسيره . فهذا الخطا الاساسي قد خلق لهم مسائل متعبة متعددة ما وجدوا لانفسهم بدا لحلها من الالتجاء الى القياس والفرض والرجم بالغيب . فبالقياس ورجما بالغيب ارادوا ان يحلوا عقدة بدء الحياة ، وبالقياس ورجما بالغيب ارادوا ان يحلوا مسالة ما هو السبب للتنوع فى الحياة التفاعل بين مختلف الانواع ؟ فداروين من اولئك الذين حاولوا تحقيق هذه المسائل على هذا الاسلوب ، وهو بنفسه ما قال ابدا انه تدارك الحقيقة، وكذلك علماء الطبيعة من القائلين بنظريته لا يقررون قياسهم حقيقة وواقعا ، غير ان الذين قد مستهم نفحة من نظرية دروين او سمعوا بها من بعيد ، هم الذين يلهجون بذكرها ويبدؤون فيها القول ويعيدونه كأن الحقيقة قد انكشفت لهم انكشافا ومثلت بين ايديهم مثولا .

ولو ان داروين انطلق فى تحقيقه من النقطة التي بينها القرآن للتحقيق فى هذه المسالة ، لما انتهى الا الى ان هذا التنوع والتفاضل فى مختلف انواع الحياة واجناسها وصورها ، الذي يلمح فى كل شيء فى هذا الكون من الجزئية وحيدة الخلية الى الانسان الكامل بترتيب لا نظير له ، انما هو نتيجة لتخطيط حكيم مدبر ، وان تخطيط هذا الحكيم المدبر هو الذي بعد ان هيأ لمختلف انواع الحياة بيئة تناسبها وظروفا توافقها، مازال يخرجها الى حيز الوجود بمزاياها المخصوصة المتنوعة تدرجا ، ويمحو — مع ذلك — الانواع التي ما بقيت لها حاجة فى تخطيطه ، الا ان هؤلاء — كما قلنا آنفا — يريدون ان يتملصوا باي وجه ممكن من الاعتراف بوجود واضع هذا التخطيط ولا يحبون ان يروا فى معمله آثار عمله ، ولذا فان المشاهد التي يجدونها ويحاولون ان يفسروها في هذا المعمل تظهر لهم انه من الممكن ان يفهموا ان هذا المعمل يقوم بعمله ويتقدم ويترقى بنفسه ، ولذا فان داروين فسر التنوع والتفاضل فى انواع الحياة بتلك النظرية للتطور والارتقاء ، التي تعرف اليوم باسمه ، ولاجل هذا، فان اوربا التي كانت الى ذلك الحين انما تسير الحادها بدون اقدام ، بادرت الى تلقي هذه الاقدام الخشبية بكل قبول ونصبتها من تحت فى كل شعبة من شعب علومها الطبيعية ، بل وفى فلسفتها واخلاقها وعلومها للعمران ، لقد كانت ولا تزال فى هذا التفسير من الوجهة العلمية والعقلية اضطرابات كثيرة لا يمكن لعاقل ان يقول معها ان هذا التفسير تفسير له وجاهته ، وهو من التفاسير القابلة للاعتبار .

وها انا ذا احاول الان ان ابين لكم الضعف الاساسي الحقيقي لنظرية داروين بمثل اضربه لكم متجنبا فيه ما استطعت اسلوب النقد الفني الملتوي والبحث العلمي الدقيق :

هب ان استاذا للعلوم التجريبية ياتي من المريخ الى الارض بمعية جماعة من تلاميذه والفرض امامه ان يقوم فى هذه الارض بتحقيقات علمية ، وهب كذلك ان فى نظر هذا الاستاذ ومن معه من التلاميذ شيئا يحول بينهم وبين ان يروا الانسان على وجه هذه الارض ، فهم انما يشاهدون مصنوعاته واسباب تمدنه ووسائله دون ان يشعروا بوجوده هو ، فالمصنوعات الانسانية التي يشاهدها هذا المحقق على وجه الارض ، يجد فيها فرق الاشكال والانواع ، كما انه يرى ان بعض هذه المصنوعات خير من بعضها ، كما انه يعلم اثناء التحقيق ان هناك اشياء لم تكن رائجة من قبل وانما لاقت الرواج فى ما بعد وان هناك اشياء كانت رائجة فى الماضي ولا تزال رائجة حتى اليوم ، وان هناك اشياء كانت رائجة من قبل ولكن ما بقي لها رواج اليوم . فيبقى الى مدة يرتب فى خياله اشياء فى هذا المنظر المبعثر واخيرا يقسم هذه الاشياء المختلفة ويقيم لها الدرجات باعتبار انواعها ، ثم يخطو خطوة اخرى فى ميدان التحقيق ويحاول ان يعرف كيف جاءت الى الوجود هذه الاشياء المتنوعة المتفاضلة وما هي الاسباب والقوانين التي عملت فى جعلها متنوعة متفاضلة وفى الابقاء على بعضها وافناء بعضها الاخر .

لقد كان من الممكن ان يجيب هذا المحقق على هذه الاسئلة بان الاغلب ان هناك كائنا يعيش على وجه الارض يصنع هذه الاشياء على حسب مختلف مصالحه وحاجاته فالاشياء التي لا تزال الحاجة باقية اليها ، لا يزال يصنعها ، واما الاشياء التي ما بقيت حاجة اليها اليوم فقد امسك عن صنعها ، لقد كان من الممكن ان يجيب هذا المحقق المريخي بهذا على هذه الاسئلة ، الا انه يريد — لسبب من الاسباب — ان يتملص من فرض مثل هذا الكائن ويوجه قياسه الى جهة اخرى ويفسر المنظر الذي وجده على وجه الارض بنحو ان

الاشياء الموجودة ههنا كلها ابتدات من اصل واحد ثم بدا الارتقاء في هذا الاصل الى ان خرجت الى عالم الوجود مختلف انواع الاشياء لسبب كذا وكذا من أسباب البيئة ، ثم بدات هذه الانواع تتصارع بينها وحاول كل واحد منها ان يسابق غيره لجعل نفسه موافقا لبيئته وللاستفادة من القوى المنتشرة فيها ، فكل نوع لقي الفشل في هذا الصراع ، انقرض ، وكل نوع نجح فيه اصطفته البيئة للبقاء والحياة ، وهذا الصراع هو الذي سبب ارتقاء اشكال هذه الانواع المختلفة وصفاتها ، وفي هذا الصراع للبقاء توقفت اشياء من نوع خاص وظلت تتحول شيئا فشيئا الى نوع آخر .

فيقول معتمدا على قياسه مثلا ان نوع العجلة ما زال يجهد نفسه الى مدة من الزمان حتى بدات تظهر التغيرات في هيئة بعض العجلات الذكية وبآخره تبدلت الى العربات ، ثم بدا نوع العربة – كذلك – يقلق ويبذل جهده حتى بدا يحدث التغير في هيئة بعض العربات النشيطة الى ان تبدلت اخيرا الى السيارات ، ثم ان السيارت لما رات أشجارا عالية وبيوتا شاهقة وجبالا تناطح السماء ، رغبت في الارتقاء عليها والتحليق في الجو فوقها وبدات تحس في نفسها القلق والاضطراب لذلك الى ان ظهرت في بعضها الاجنحة واخيرا تحولت الى الطيارات .

ويقول من مع هذا المحقق الجليل من تلاميذه : ان التطور والارتقاء اذا كان انما حصل هكذا تدرجا اي من العجلة الى العربة ، ومن العربة الى السيارة ومن السيارة الى الطيارة ، فلابد أن توجد هناك بين العجلة والعربة ، وبين العربة والسيارة ، وبين السيارة والطيارة مراكب عديدة تقطع المسافة الواقعة بين كل نوعين من هذه الانواع ، كما انه من اللازم ان توجد على كل خطوة خطوة من هذه المسافة مراكب عديدة بعضها وراء بعض على صورة قافلة، فمثلا يجب ان توجد في المسافة الواقعة بين العربة والسيارة مراكب لا تكون عربات كاملة ولا سيارات كاملة فتكون بعضها لم تخرج بعد من مرحلة العربة وتدخل في مرحلة السيارة بينما تكون بعضها الاخرى خرجت من مرحلة العربة ودخلت في مرحلة السيارة ، وهكذا يجب ان توجد هناك مراكب عديدة بين مرحلتي السيارة والطيارة فلا هي سيارة ولا هي طيارة .

والاستاذ المحقق عند ما يسمع من تلاميذه هذا السؤال ، يتفكر مليا ثم يقول : نعم يا اعزائي ان هذه المراكب الوسيطة التي تسالون عنها بين كل نوعين من هذه الانواع ، لعلها تكون قد وجدت ، انظروا الى هذه العربة التي امامكم ، اظن انها تحولت اولا الى « العربة السيارة » ثم الى « السيارة العربة » حتى اكتملت سيارة ءاخر الامر . ثم تكون السيارة – كما اظن – بذلت جهدها فتحولت الى « السيارة الطيارة » او ثم الى « الطيارة السيارة » بعده الى ان اصبحت طيارة آخر الامر كما ترونها الان فهذه المراكب الوسيطة التي قد سميتها لكم لابد ان توجد في الارض حتى اليوم فاذهبوا باحثين عنها تحت اكوام التراب .

يقول الاستاذ هذا ، ويسكت اما التلاميذ ، الذين جاؤوا معه الى الارض مضمرين في نفوسهم نوعا من الحقد على الانسان منذ ذي قبل ، فآمنوا بتحقيق استاذهم الانيق ايمانا جعلهم يخرجون من كلامه كلمات « لعل » و « اظن » ويبينونه للناس ويشرحونه في خطبهم وكتاباتهم بكلمات اليقين والجزم وبدون كلمات « لعل » و « اظن » . وها نحن اولاء نرى دروسهم العلمية تتخلل فيها كلمات « السيارة الطيارة » و « الطيارة السيارة » الخيالية بكثرة كاثرة كأن هذه اشياء موجودة محفوظة في متحفهم يقينا ، مع انه ان كان هنالك شيء له وجوده في حقيقة الامر ، فانما هو العجلة والعربة والسيارة والطيارة .

ان هذا المثل لينطبق تماما على نظرية داروين والقائلين بها . انك اذا درست ما لهذه النظرية من الكتب الاساسية ، علمت ان هذه النظرية لا يقوم كل بنائها الا على اساس « لعل » و « اظن » مع ان الامر الجدير بالاعتبار في العلوم ، انما هو اليقين والامر الواقع ، لا القياس والتخمين والرجم بالغيب . واقول ان كان هناك نوع من الاعتبار للقياس والتخمين في العلوم فكيف وعلى اي اساس يمكن التفريق بين قياس وقياس ولا سيما اذا كان احد القياسين اقوى واقرب الى التعقل من الاخر ؟ انكم اذا كنتم مستعدين لان تقبلوا حتى القياس والتخمين في تفسير المشهودات ، فكيف لكم ان تردوا قياسي اذا قلت على اساسه بأن بدء الحياة والتنوع والتفاضل بين الموجودات انما يكون قد حصل بامر حكيم عليم وتدبيره ، وهو اقرب الى التعقل واسهل على الفهم واحظى للقبول من قياس

داروين ، لان قياسي هذا يفسر المشهودات كلها على طريق احسن من طريق داروين ، ولا يترك سؤالا دون ان يرد عليه بجواب شاف ، وانما يقويه ويزيده وزنا — مع هذا — ان ليس هناك في جانب داروين احد يستطيع ان يقول بصدق وامانة اكثر من القياس والتخمين ، واما في جانبي انا ، فهناك عدد لا يحصى من اصلح الناس خلقا واطهرهم سيرة يقولون بكل جزم ويقين ان الامر الفلاني حقيقته كذا وكذا واننا لا نقول بشيء الا بعد ان رأيناه باعيننا ، فما لطلاب العلوم التجريبية اليوم يتحازون الى جانب داروين دون جانب هؤلاء ؟ وهل لذلك سبب غير ذلك المقت للدين والتدين (Theophobia) الذي قد ورثه طلاب العلوم التجريبية من القرون الوسطى ؟ وان الامر اذا كان هكذا فما لهم يسمون النزوات والعواطف علما ومعرفة ؟

وانا حتى اذا قطعنا النظر عما في هذه النظرية من مكامن الضعف، ومواطن الانحلال من الوجهة العلمية والعقلية ونظرنا الى الفتن التي قداثارها هذا التخيل الباطل لاهلاك الانسان والفتك به بدخوله على الفلسفة والاخلاق والعلوم العمرانية والاجتماعية ، فكل واحد اذا كان عنده مسكة من الفهم الصحيح والعقل السديد لا يتردد في القول معنا بأن نظرية داروين هذه في قمة رأس النظريات الباطلة التي ناصبت الانسان العداء في هذا الزمان وعملت للقضاء على انسانيته ، فقد حاولت ان تجعل الانسان يعتقد بأنه ليس الا حيوانا كسائر الحيوانات ، ومن نتائجها ان بني آدم لا يتعاملون بينهم في اي شعبة من شعب الحياة بكل طمانينة الا كما تتعامل الوحوش في الغابة ، ومن تاثيرها ان الانسان بدل ان يستمد القوانين والمبادىء والمناهج لحياته من مصدر من المصادر العالية ، انما يبحث عنها في حياة البهائم والوحوش وهي التي قد عرضت على الانسان نظام الحياة كله كميدان للصراع والقتال ، والقت في روعه ان الصراع والقتال هما من مقتضيات الفطرة الحقيقية بحيث ان كل من هو قوي في هذا الصراع والقتال هو الحي الناجح وهو الصالح الباقي وهو على الحق وان كل من هو ضعيف غير صالح وان فناءه وانقراضه انما هو من نتائج قوانين الفطرة الصحيحة ، ومن بركات هذه النظرية الظالمة ان الجميع — من افراد البشر ، طبقاتهم ، واقوامهم وشعوبهم ودولهم — قد جعلوا الدنيا ميدانا للصراع والقتال وليس مقتضى الفطرة — حسب زعمهم — الا ان القوى من حقه ان يفني الضعيف ولا يرى له على نفسه الا ولائمة

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .





للدكتور: محمد البهي

الشيوعية كثورة :

قامت الثورة الشيوعية قبيل نهاية الحرب العالمية الاولى فى سنة 1917 ، لتقوض نظام المجتمع القيصري الروسي ، وتقيم مجتمعا آخر يكون اكثر توازنا وانسجاما ـ فى نظرها ـ من المجتمع السابق عليه ، او تنعدم فيه عوامل الاحتكاك والاصطدام بين الطبقات والافراد . قامت لتحقق المجتمع العمالي ذا الطبقة الواحدة ، زاعمة انه اذا انعدمت عوامل الاحتكاك والاصطدام فيه ، لم تكن هناك حاجة الى وجود القوة البوليسية ، وهي القوة التي يناط بها صيانة الامن الداخلي فى المجتمع .

والثورة الشيوعية لا تهدف ، فحسب ، الى اقامة مجتمع ذي طبقة واحدة تنعدم فيه عوامل الاحتكاك والاصطدام ، بل تهدف ايضا الى اقامة مجتمع يتمتع بخلقية عالية وقيمة رفيعة ، وهو الذي لا تدعو الحاجة فيه الى قوة حراسة خاصة وراء افراد المجتمع ، وله سلطة تعلو كيانهم الشخصي .

وهذه الخلقية الرفيعة انما تأتي عن تحول المجتمع الى طبقة واحدة . ولا ينبغي ان تكون هذه الطبقة هي الطبقة الراسمالية وحدها ، ولا الطبقة الاقطاعية وحدها ، لان كلتيهما تعيش وتعتمد فى حياتها على استخدام رأس المال والاقطاع ، وليس على النشاط البشري الخاص لافرادها . واستخدام رأس المال والاقطاع يستدعي بدوره ان يسخر الطاقة البشرية التي هي فى حاجة الى ان تستمر كي تعيش ، وهي الطاقة البشرية التي تمارسها الطبقة العاملة . وبذلك لا يقف تكوين المجتمع من احدى هاتين الطبقتين ـ الراسمالية او الاقطاعية ـ عند حد واحد منهما ، بل سيتطلب وجود طبقة اخرى وهي الطبقة العاملة . واذن لكي يتكون المجتمع من طبقة واحدة يجب الا يكون فى وجود هذه الطبقة ما يستلزم حتما وجود طبقة اخرى غيرها ، وهذا لا يتحقق الا بأن يكون المجتمع مجتمعا عماليا ، من طبقة العمال وحدهم . فهذه الطبقة لا تعتمد فى عيشتها وحياتها على شيء آخر من مال فى صورة ما وراء نشاطها البشري وممارستها هذا النشاط من طريق مباشر .

ولكي يصير المجتمع مجتمعا عماليا صرفا ومكونا من طبقة واحدة هي طبقة العمال ـ استعجلت الثورة الشيوعية الامر وسلكت طريق « الانقلاب » فى تحول المجتمع الروسي ، وقضت على الطبقتين الاخريين طبقة رجال الاعمال واصحاب راس المال ، وطبقة اصحاب المزارع الواسعة او ارباب الاقطاع . كما قضت على نظام الحكم الذي قام فى روسيا على اساس من وجود هاتين الطبقتين قبل هذا الانقلاب ، وهو نظام الحكم القيصري ، وكذا على كل ما سانده من مصادر المساندة وعلى الاخص الكنيسة الارتوذكسية او الكنيسة الشرقية . ولانها سلكت طريق الانقلاب فى استعجال تحول المجتمع الروسي من مجتمع ذي طبقات الى مجتمع ذي طبقة واحدة عمالية ـ ارتكبت العنف والاستبداد واراقة دماء عشرات الالاف من افراد المجتمع فى سبيل هذا التحول . ولذلك كانت ثورة « حمراء » . وجعلت « الدم » شعارها لانها لا تتخلى ـ كعنصر اساسي فى وجودها ـ عن الانقلاب وما يستلزمه من اراقة الدماء .

ناوات الاقطاع ، وناوات رأس المال ، ونـاوات القيصرية ، وناوات الكنيسة . فالغت الاقطاع ، والغت راس المال ، وحولت ملكية الاراضي الزراعية وملكية المصانع الى ما اسمته « الدولـة » ، وبذلك أصبح المجتمع الروسي في جانب الاقتصاد مجتمعا «شيوعيا» والغت نظام الحكم القيصري وجعلته حكما شعبيا او عماليا ، وبذلك اصبح هذا المجتمع فى الجانب السياسي مجتمعا ديمقراطيا او « بلورتاريا » . والغت سلطـة الكنيسة فاعلنت شعار العلمانية في طابع الدولـة ، وبذلك فصلت بين الكنيسة والدولة وجعلت سيـادة الدولة فوق الكنيسة .

واصبح المجتمع الروسي الشيوعي فى اتجاهـه وفى توجيهه مجتمعا مضادا تمام المضادة للمجتمـع السابق عليه . وحققت ثورة سنة 1917 قيامه كحقيقة تاريخية . ولكن ، لكي يبقى هذا المجتمـع بعد ذلـك ، ولكي يبتعد ايضا عن الاضطرابات التي قد تثيرهـا رواسب المجتمع الماضي من عناصر النظام القيصري فى الحكم ، ونظام الراسمال والاقطاع فى الملك ، ونظام الكنيسة كسلطـة دينيـة ، مما اسمتها جميعهـا « بالرجعية » ، عنيت الشيوعية بالفلسفة التي كانت هي نتيجة لها ــ وهي الفلسفة الماركسية ــ وبالدعوة اليها ، وبتحويلها الى « دين » و « ايمان » كما حولت المجتمع نفسـه الى مجتمع ذي طبقة واحدة .

الشيوعية كمذهب

وهنا بشرت بالماركسية كمذهـب فلسفـي ، يعتمد على جملة مبادىء ، سبـق ان استخدمـت فى الفلسفة المثالية فى القرن الثامن عشـر ، وكـذا فى الفلسفة الطبيعية والوضعيـة فى النصـف الاول من القرن التاسع عشر . هـي مبـادىء « النقيض » فى الفلسفة المثالية الالمانية ، و « التطور » و « الواقع » فى الفلسفة الوضعية . وكل مبدا من هـذه المبـادىء الثلاثة دللت به على القيمة العليا للشيوعية من جانب ، ومن جانب آخر على خفة وزن القيم « الرجعية » فى نظام المجتمع السـابق . وعلى الاخـص على خفـة وزن الدين . وبذلك وقفت من الكنيسة المسيحية كسلطة موقفا ، ومن الدين على العموم موقفا آخـر ، هـو فى جملته موقف عدم الرضا والمكافحة .

مبدأ النقيض :

ومبدأ النقيض استخدمه الفيلسوف الالمانـي « نيتشـه » من قبل فى التدليـل على اصالـة العقـل الانساني وأسبقيته فى الوجود ، وبالتالي على قدرتـه على الخلق ، وعلى حريته المطلقة التي لا يحدها « شاهد وحـس » ولا « وحي » أو « قـوة أخرى مغيبـة » عن الشاهد والحس ، وعلى أنه لذلك يملي ولا يملى عليه ، من آثاره ، وأن حياة الناس جميعا فى روابط الاخـوة الانسانية وفى ظل دولة عالمية هدف اخير لخالقيتـه ومجهوده .

واستخدم هذا المبدا بعينه الفيلسوف الالماني المثالي الاخر « هيجل » فى توضيح قيمة « العقـل » الانساني وقيمة « الله » ، وفى ان وضع الله فى الوجود هو وضع المطلق الذي يتجلى عنه القيد وهو الطبيعـة المشاهدة ، والذي يسمى نحوه ما خرج عن التقييـد نوعا ما ، وهو « الدعوة » و « القانون » و « الاخلاق » وان الله لذلك يوحي ، وان على الانسان الطاعة لما يوحى به .

وخرج « هيجل » من استخدام مبدا النقيض الى نتيجة هي : ان سلطة « الوحي » فوق سلطـة « العقل » ، وان الوحي والعقل معا فوق الطبيعـة ، او فوق ما يسمى بالواقع او الحس .

وهذا المبدا دلل به كارل ماركس ، فيلسـوف الشيوعية ــ وهو فيلسوف يهودي المانـي ــ على ان المجتمع سيتغير حتما الى مجتمع عمالي ذي طبقـة واحدة ، اي الى مجتمع شيوعي . وساق التاريخ فى توضيح ان هذا المبدا ضروري الوقوع فى المجتمع ، كما هو ضروري الوقوع فى « التصور » و « الفكرة » . اذ باستعراض اوضاع المجتمع الانساني كان المجتمـع « الملكي » اسبق انواع المجتمعات ، فالمجتمع«الاقطاعي» ثم تلا هذا فى الوجود المجتمع « الراسمالي » وبتحليل المجتمع الملكي ــ ككائن موجود ــ وجد انه يتضمـن طرفين متقابلين : يتضمن الملك من جانب ، ورجـال حكومته المنفذين لاوامره ، ورعاياه او عبيده من جانب آخر . ثم بالصراع بين الطرفين المتقابلين تحول احد الطرفين ، وهو الملك ، فى الطرف الآخر وهو رجـال حكومته ورعاياه ، وبهذا التحول نشا الوضع الثانـي للمجتمع وهو وضع الاقطاع . اذ أن ما كان للملك من

من ملك ـ وهو ملك الاراضي الزراعية لان الصناعة كانت حرفا فردية ولم تكن قد وصلت الى التطور الآلي على نحو ما عرف فيما بعد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في المانيا ـ انتقل الى رجال حكومته . واصبح رعايا الملك السابقون وعبيده الآن زراعا ومستأجرين لهذه الاراضي .

ولكن هذا المجتمع الاقطاعي لم يبق على نحو ما وجد عليه ، ويستحيل ان يبقى على ما هو عليه تبعا لضرورة مبدأ « النقيض » ، فتحول الى المجتمع الراسمالي . اذ بتحليل وضع الاقطاع وجد ان مجتمعه ينطوي على طرفين متقابلين : اصحاب الاراضي الزراعية من كبار الملاك ، والمستأجرين لهذه الاراضي . وبالصراع بين هذين الطرفين تحول احد الطرفين وهو طرف كبار الملاك في الطرف المقابل وهو طرف المستأجرين ، وذلك بهروب اصحاب الاقطاع باموالهم وتوظيفهم اياها في المصانع مع تركهم الاراضي للمستأجرين انفسهم .

وانبثق عن مجتمع الاقطاع وضع آخر للمجتمع وهو المجتمع الراسمالي ، أي مجتمع أصحاب رؤوس الاموال الموظفة في الصناعات الكبيرة .

واذا كان المجتمع حتى الآن انتقل من وضع الى وضع مقابل له ، فالمجتمع الراسمالي سينقلب الى مجتمع آخر ، بناء ايضا على ضرورة مبدأ النقيض ، كمبدأ عام في الوجود كله . ووضع المجتمع الذي سيتحول اليه المجتمع الراسمالي هو المجتمع العمالي . لان المجتمع الصناعي او الراسمالي ينطوي ايضا على طرفين متقابلين : على القلة من اصحاب رؤوس الاموال وهم ملاك المصانع من جانب ، وعلى الكثرة من العمال الاجراء في المصانع من جانب آخر . وبالصراع بين الطرفين سيصير الامر الى العمال ، ويصبح المجتمع مجتمعا عماليا .

ومعنى ان الامر سيصير الى العمال ـ حسب منطق استخدام « النقيض » في دائرة المجتمع ـ ان ملكية المال المتمثل الآن في المصانع سيؤول الى العمال، وسيصبحون هم اصحاب الصناعات !!

والفلسفة الماركسية عندما استخدمت مبدأ « النقيض » في دائرة المجتمع لم تقف عند حد ان تقول: ان المجتمع صائر حتما الى مقابله وذاهب بالضرورة في هذا المقابل ، بل تضيف الى ذلك القول بأن انتقال المجتمع من وضع الى وضع النقيض له يصير في انتقاله وتحوله من مرحلة الى مرحلة بالتدريج ، حتى اذا وصل الامر الى نقطة معينة فلا بد من « انقلاب » ليتم التحول والانتقال . وذلك كالماء في تحوله الى بخار ، فانه يسير بفعل الحرارة في تحوله من مرحلة الى اخرى ، ثم دفعة واحدة ينتهي الماء ، ويكون الامر كله الى بخار .

ولذلك لا ينتظر المذهب الماركسي اوضاع المجتمعات ، وبخاصة وضع المجتمع الراسمالي ، حتى تتحول الى المجتمع العمالي من ذاتها ، بل ينادي بالانقلاب وتدخل المؤمنين بالشيوعية في تعجيل امر هذا الانقلاب في المجتمع .

والسؤال الذي يعقب به اي باحث على استخدام الماركسية مبدأ النقيض في تبرير تحول المجتمع الى مجتمع عمالي هو : احقيقة اصبح العمال في المجتمع الشيوعي الآن هم ملاك الصناعات والاراضي الزراعية، كما بشرت الماركسية الجماهير بفلسفة النقيض ؟

ايقف تحول المجتمع ـ بناء على مبدأ النقيض، وأن الشيء ، أي شيء ، لا يلبث ان يصير الى نقيضة كلما وجد على حال خاص ـ عند حد المجتمع العمالي ؟ ام ان الحتمية والضرورة التي تراها الماركسية في مبدأ النقيض كطابع عام له تدفع الملاحظين لاحوال المجتمع الى ترقب انبثاق مجتمع آخر عن المجتمع العمالي يكون نقيضا له ، ثم عن هذا النقيض سينبثق مجتمع آخر هو نقيض له كذلك ... وهلم جرا ؟

فاذا سلبت ملكية المصانع من العمال في مجتمع شيوعي وبقوا اجراء او اشبه بالاجراء ، فما بشرت به فلسفة الماركسية تحت استخدام مبدأ النقيض في صيرورة للمجتمعات يبقى في نطاق « النظر والتصور » دون « الواقع » . وسنرى انها تكافح « النظر » وتركز الايمان بـ « الواقع » .

واذا لم يترقب المجتمع الشيوعي ـ وهو المجتمع العمالي ـ زوال نفسه وفناءه ، وتحوله الى مجتمع مضاد له تماما ـ فانه عندئذ اما الا يساير منطق الفلسفة التي قام عليها والتي يستخدمها في تبرير وجوده وصيرورة وضع أي مجتمع اليه ، وهي الفلسفة الماركسية ، واما انه بعد ان صار الى الوضع الذي ارتضاه زعماء الثورة البلشفية في سنة 1917 عاد الى

« العقيدة » التي لا تعلل بالمنطق والفلسفة ، واصبح لذلك مجتمعا ذا عقيدة لا تناقش . وحينئذ لا يكون المجتمع الذي يضع « العلم » موضع العقيدة ، والذي يطلب الى افراده مكافحة « الرجعية » في صورة الايمان والاعتقاد ، أي ايمان واي اعتقاد ، والذي يطلب اليهم « التحرر » دوما من الايمان والاعتقاد .

مبـــدأ التطور :

أما مبدأ التطور فقد استعارته الماركسية من « دارون » ، واستخدمته في التدليل على ان الحال التي يصير اليها الكائن الموجود افضل من الحال التي كان عليها من قبل ، واكثر قيمة واولى بالتبعية . والمجتمع ككائن من الكائنات الموجودة سيصير في تحوله من وضع الى وضع ، وعندئذ يكون وضعه التالي لوضع سابق عليه هو افضل وادخل في معنى القيمة ، واجدر اذن بان يتبع . ومنطق ذلك ان المجتمع العمالي ـ وهو المجتمع الشيوعي ـ افضل من وضع المجتمع السابق عليه وهو الرأسمالي ، وهذا افضل من المجتمع الاقطاعي الذي تحول عنه ، والاقطاع افضل من المجتمع الملكي الذي تقدم عليه .

ومن مبداى « النقيض » و « التطور » ابرزت ظاهرة ملازمة لهما ، على انها ظاهرة عامة في الوجود ، وهي ظاهرة « التغير » يخضع لها كل كائن في انتقاله من وضع الى نقيضه ، وفي تطوره من مرحلة الى مرحلة اخـــرى .

وبابراز هذه الظاهرة وبأنها مصاحبة لوجود كل شيء ، تحاول الماركسية ان تدعي ان ثبات « القيم » الاخلاقية في الحياة الانسانية امر يضاد طبيعة الاشياء وطبيعة الوجود ، وان القيم لذلك تتغير كما يتغير كل شيء . واذن الفضائل في سلوك الانسان تختلف من وقت لوقت . وما يعد فضيلة في وقت لا يصح ان يبقى دوما على انه فضيلة ، بل قد تكون الفضيلة في ضـــده .

ومعنى هذا الادعاء الذي تدعيه الماركسية عن طريق ظاهرة التغير ـ ان الذي ورد في رسالة الاديان او قامت عليه الفلسفة الاخلاقية المثالية من مثل ان « العدل » و « الحرية » الفردية والمحافظة على « حرمة » النفس والمال والعرض ، فضائل ـ قد يتحول الى رذائل ، وتكون الفضيلة في ضده حسبما تاتي به عوامل التغيير والتبديل في الحياة .

واذا كان مبدأ النقيض تقصد به الماركسية اقناع الناس بضرورة تحول المجتمعات الى المجتمع الشيوعي العمالي مهما طال الامر ، وان هذا المجتمع العمالي هو المصير المحتوم للانسانية ـ فانها تهدف من مبدأ التطور اقناعهم بافضلية هذا المجتمع نفسه في القيمة وبذلك يكون اندفاع الناس الى قبول هذا المجتمع ـ وكذا الى السعي في تحقيق وقوعه ان لم يكن تم بالفعل في مجتمع ما ـ ليس لانه القدر المحتوم للبشرية عامة ، ولكن لانه الافضل الذي لا يدانيه في الفضل مجتمع سابق عليه .

كما تستهدف بظاهرة التغير التي تصاحب المبداين ، تسفيه راي الدين ورأي الفلسفة الاخلاقية المثالية في القيم والفضائل ، ورمى كليهما بالغباء وعدم الفهم لقوانين الوجود ، وبالتالي عدم مسايرة طبيعة الحياة. ورجال الدين وكذا الفلاسفة العقليون المثاليون «رجعيون» يقفون بالحياةعند خط معين. وبينما غيرهم ينظر الى الامام حسبما توحي قوانين الطبيعة ، ينظرون هم الى الخلف ويستمرون في نظرتهم الى هذا الخلف غاضين البصر عن ركب الحياة وسيره قدما .

وبهذا او ذاك تبني الماركسية في قيمة المجتمع الشيوعي بمقدار ما تهدم في القوى التي تقف في طريق اقبال الناس على التبعية له ، وفي مقدمتها الدين والمثالية العقلية . وهي لا تبني في جانب وتهدم في جانب آخر بالادعاء على هذا النحو فحسب ، بل ايضا باستخدام مصطلحات تجذب الميل الى ناحية ، وتنفر من البقاء في ناحية اخرى . فهي تستعمل كلمة « التقدمية » في جانب ما تدعو اليه ، وهو مصطلح جذاب . بينما تستعمل « الرجعية في جانب ما تحاول هدمه وتقويضه ، وهو الدين والفلسفة الاخلاقية المثاليـــــة .

ولكن الماركسية في تطبيق ظاهرة « التغير » على القيم الانسانية تحاول الخداع في واقع الامر ، كما اثبت نفس الشيء تطبيقها لمبدأ « النقيض » على المجتمع : اذ وقفت بهذا المبدأ عند المجتمع الشيوعي . وبذلك اوقفت سير المبدأ وحدت من اعتباره كقانون عام للوجود له طابع الدوران والاستمرار فيما يدور فيه .

فالقيم الانسانية هي المستويات العليا في السلوك الانساني . هي النهايات لتطور الانسان في انسانيته . واذا كانت هي نهايات لتطور الانسان في انسانيته فهي

لا تقبل الزيادة ، وبالتالي لا تقبل « التغير » ، وتصبح عندئذ طرفا واضحا مقابلا لما عليه غير الانساني ، مما له طبيعة الحركة والحياة ، وهو الحيوان .

وكون القيم هي المستويات العليا في السلوك الانساني ، يتضح من تطور الانسان وانتقاله من مرحلة الى مرحلة حتى بلوغ المرحلة النهائية وهي مرحلة الرشد . فالانسان الطفل حيوان في سلوكه ، يتصرف طبقا للغريزة كما يتصرف الحيوان . وقلما يتدخل الشعور الانساني ، وهو خاصة الانسان ، في هذا التصرف . وبالتدريج شيئا فشيئا يحل الشعور بجانب الغريزة في حياة الانسان أثناء سير تطوره ، حتى يتحكم الشعور ، عن طريق تكون العادات الانسانية المهذبة ، وعن طريق الفهم السليم لطبيعة الحياة – وفي داخلها طبيعة المجتمع – فاذا تحكم الشعور الانساني وكانت له سيادة على الغريزة اصبحت للانسان خاصة الانسانية وتميز تمييزا واضحا من الحيوان .

واهم ظاهرة يتحدد بها السلوك الغريزي هي « الانانية » . واهم ما يعبر عن الخاصة الانسانية هو « الجماعة » ، او الاعتراف بالمجتمع اعترافا يبدو في التطبيق العملي كما يعيش في دخيلة النفس . والانانية تنكر كل حق للغير في الوجود ، بينما الجماعية تدعو لدعم حق الغير في الوجود عن طريق التعاون فيما يحقق حياة افضل للاثنين ، وفيما يدفع الاضرار والاعتداء عليهما .

وليست « القيم » الانسانية الا « النماذج » العملية التي يتحقق فيها معنى « الجماعة » كما توضح هي مظاهر التعاون المختلفة نحو حياة انسانية افضل .

واذا كانت القيم هي النماذج العليا في السلوك البشري ، واذا كانت هي التعبيرات عن الخاصة الانسانية التي يصل اليها بالتدريج ، واذا كانت هي التي تنطق بسيادة الشعور الانساني والرشد الانساني على الغريزة الحيوانية في الانسان – فانها لا تتغير اطلاقا بعد ذلك . لان الانسان اما ان يصير الى انسانية او يبقى في الحيوانية . والقيم – كما ذكرنا – هي التي توضح صيرورته الى الانسانية .

الانسان نفسه يتطور ويتغير نحو الانسانية . ولكن القيم ، وهي التعبيرات عن الانسانية ، باقية خالدة .

مبـــدأ الواقـــع :

ومبدأ الواقع الذي عرف لـ « اوجست كونت » ولـ « فيرباخ » ولـ « اشتين تال » ، أكدت الماركسية قيمته لتدفع به اولا وبالذات القوى المعادية – وهي القوى « الرجعية » – وبالاخص الدين والفلسفة الاخلاقية المثالية .

مبدأ الواقع ينكر ان يكون لما وراء الطبيعة ، وهو الوحي ، وان يكون للعقل في الطبيعة نفسها ، اعتبار في المعرفة ووزن في الحكم على الوجود وفي تخطيط سلوك الانسان وتحديد غاية المجتمع البشري اذ ان ما يلقي به وحي السماء وتأتي به رسالة الاديان – في نظره – خرافة ، وما يدركه العقل الانساني باديء ذي بدء من نفسه ويحاول ان يصور به الطبيعة التي يعيش فيها الانسان وهم وخداع .

ولذا فان « الواقع » – وليس غيره من دين او عقل – هو الذي يجب ان يملي على الانسان ويلقنه ، ويجب على الانسان ان يتعلم منه اولا ويطيعه بعد ذلك . والواقع الذي نعيش فيه هو الطبيعة التي نحسها وندركها بابصارنا واسماعنا ، ونلمسها بايدينا ، ونضرب فيها باقدامنا . فلندع هذه الطبيعة المحسوسة تتكلم ، ولنسر فيها على هدى ما تنطق به لا على هدى الله ولا على نور العقل . فليس لله وجود اطلاقا ،وليس للعقل نور الا ما يشع عليه من منطق الطبيعة المشاهدة .

ليس الله موجودا لانه ليس هناك وجود وراء الوجود المادي . ولو كان له وجود مادي لادركناه بالحس ، ونحن لا ندركه بالحس ، فليس موجودا ، وليس العقل وجود مستقل عن الجسم المادي . ووجوده اذن مرتبط بالوجود المادي وتابع له ، فليس له استقلال حتى يكون له نور واشعاع منفصل عن اشعاع الطبيعة المادية ، وليس له منطق ينفرد به عن منطقها ، بل الطبيعة تنطقه فينطق ، وتحمله على التفكير فيفكر ، وتحدد له اتجاه التفكير فيتجه فيما يحدد له من اتجاه .

واذا كانت الطبيعة المادية هي الوجود ، واذا كان منطقها هو المعبر وحده – فالمعرفة التي تحصل عن طريق منطق الطبيعة هي المعرفة السليمة اليقينية . والعلم بعد ذلك ليس هو علم ما وراء الطبيعة ، وليس هو علم الوحي الديني ، وليس هو

تصور العقل الانساني من نفسه . هو علم الواقع والطبيعة المشاهدة . والاجدر اذن بالعبادة ليس الله كما يدعو رجال الدين ، وليس الانسان كقوة مدركة ، كما يدعو رجال الفلسفة العقلية ، وانما الاجدر بالعبادة هو « العلم » ومحراب العابد ليس الكنيسة ، وليس البحث « النظري » ، بل هو « المعمل » الذي تجري به التجارب على خصائص هذه الطبيعة المادية .

والحضارة الانسانية لا يكونها تراث الماضي الروحي او العقلي ، بل يكونها فحسب ما ينتج عن هذه التجارب الطبيعية . يكونها « العلم » وما له من نتائج مادية في حياة الانسان . و « الآلة » ابرز هذه النتائج ، والصناعة في مختلف جوانبها من افضال الآلة على الانسان . والحضارة الصناعية لذلك هي الحضارة الحقة التي يجب على الانسان أن يستمر على البناء فيها لتحقيق حياة افضل .

ولكي تضفي الماركسية على « العلم » هالة من القداسة ، وتجعل له كيان المعبود الذي يجب على العابدين أن يتقدموا في عبادتهم له بقربان — والقربان هنا الاسهام في نمو الحضارة الصناعية — دعت الشيوعية الى « الايمان » من جديد ، ودعتهم الى « الاعتقاد » بتثليث آخر : العلم والمجتمع ، والدولة . واصبحت الفلسفة الماركسية دينا وعقيدة .

وهنا يلاحظ انها بتأكيدها مبدا الواقع لتقوض الدين والايمان ، أنتهت من جديد ، عن طريق الواقع نفسه ، الى الدين والايمان . ولكن ليس الى دين الله ، الى دين الطبيعة ، وليس الى الايمان بالله ، بل الى الايمان بمصنوع الانسان .

وتقديس العلم وتأليهه يجعل له سيادة على الانسان ، وليس فى خدمته . وتقديس المجتمع وتأليهه يدعو افراده الى التضحية والافناء فيه دون انتظار جزاء منه . وتقديس الدولة وتأليهها يجعلها تطاع دون أن تناقش .

ليس هناك اذن الا الاله الجديد . والاله الجديد هو ذلك « الثالوث » الذي ادعت الماركسية أنه من واقع الطبيعة التي ترى وتشاهد مع انه نفسه لا يرى ويشاهد . فنحن لا نرى العلم ، بل نتصوره . ولا نرى المجتمع وانما نتصوره ايضا على انه جملة من الروابط المشتركة بين الافراد ، ولا نرى الدولة وانما نحس آثارها فحسب فى « التنفيذ » . نحن لا نرى الا تجارب ، والتجارب ليست هي العلم ، بل هي مقدماته . ونحن لانرى الا افرادا يحيون حياة آمنوا بها ، ويعيشون عيشة ارتضوها لانفسهم او أكرهوا عليها . والافراد ليسوا هم المجتمع ، وانما هم لبنات فيه . ونحن لانرى الا افرادا مشرعين مقننين ، وأفرادا آخرين حارسين ومنفذين . والمشرعون والمنفذون من الافراد فى خدمة الدولة وليسوا هم الدولة نفسها .

والاله الجديد فى الدين الجديد اذن فى الواقع المشاهد . وقد انكرت الماركسية الله من قبل ، لانه لا يوجد فى الواقع المشاهد . وبذلك تنكر بناء على تبرير خاص ، ثم تعود فتؤمن بما يقوم على ذلك التبرير الخاص ذاته .

وفى الدين الجديد ليست هناك خشية من اله الا اله العلم والمجتمع والدولة ، والعلم والمجتمع والدولة من صنع الانسان ، بدليلأن الانسان البدائي يوجد من غير علم وغير دولة . فوجود هذا الثالوث وجود طاريء على وجود الانسان . واذن هو من خلق الانسان وليس من خلق نفسه . ويوم يبتعد عنه الانسان ، يوم يتوقف وجوده ، وتتوقف حياته ، ومن ثم يسري به الاضمحلال فالفناء . فهو اله عاجز عن الخلق وان بدا فى صورة عملاق خالق . وهو اله لا يستغني عن غيره ، وان بدا انه يعطي الحياة لغيره ، وهو بعجزه وباحتياجه فى واقع امره لايستطيع أن يوجه الانسانية الى الخير . وهو لا يفتقد فحسب تمييز الخير من الشر ، بل مع ذلك يفتقد القوة الذاتية التي توجه اما الى الخير واما الى الشر .

العلم — وهو ركن فى الثالوث المؤله — يدفعه الانسان نحو الخير ونحو الشر ، وهو لايدفع نفسه . وكذلك الشأن فى المجتمع والدولة يدفعهما الانسان — وهو القائد والموجه — نحو الخير ونحو الشر ، وهما لايندفعان من ذاتهما نحو هذا او ذلك .

واذن فالانسان الذي كان من واجبه فى هذا الوضع أن يكون معبودا أصبح عابدا . والماركسية بذلك لا تدعو الى « النكسة » فى الانسانية واسترقاق الانسان واستذلاله لـ « وثن » لايملك لنفسه الحياة والاستمرار فيها مستقلا عن غيره ، فضلا عن أن يوجه غيره ويقوده . وانما فى الوقت الذي تفرغ فيه الماركسية قلب الشيوعي من الايمان بالله الخالق فتنزع

منه الخشية ، تعوضه بدين وبايمان يدعوه الى الخير والشر سواء . لان اله هذا الدين وهو « العلم » – كما حددته – لايتصل بطبيعته ومن ذاته بخير ولا شر . طبيعته طبيعة محايدة .

والدين الذي يسوي بين الخير والشر ، لاتأمن الانسانية من سيادة الشر بين اتباعه . والاله المحايد بين الخير والشر ، قد يتقدم اليه عباده بالشر على انه قربان ، اكثر مما يتقدمون اليه بالخير على انه قربان ايضا .

ولكنها الماركسية تحرض الناس على « الانقلاب » باسم مبدأ النقيض ، وتخفي وجهها من توقع انقلاب في المجتمع الشيوعي اذا ما صار اليه الوضع يوما ما .

وتحرض الناس باسم التطور على التنكر للقيم الانسانية والمستوى الانساني الفاضل ، وتبشر في الوقت نفسه – عن طريق فلسفتها – بحياة فضلى ومجتمع افضل .

وتحرض الناس على انكار الله ، وانكار الدين ، وتضعهم امام دين وامام اله هو من صنع الانسان وليس خالقا له ، هو نفسه « جاهل » بمصير الانسانية رغم انه « العلم » .

الـــديـــن :

1)) **دعـوة الديـن :** امـا الديـن – في مقابل الماركسية – فانه يدعو الى الايمان بالله الخالق ، المستغني عن غيره ، والمستمر في الدوام ، والباقي الذي لايتحول الى حال آخر او وضع آخر ، والذي يعلو افراد الانسانية جميعها ، هو للناس كلهم « قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا » . هو الذي حددت رسالته الخير والشر : « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » . ودعا رسوله الى الخير وحده: وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » والخير الذي يدعو اليه الدين هو التعاون في سبيل حياة افضل : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، والاخوة في الانسانية : « يا ايها الناس ان خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » هو عدم الغواية وعدم النزوع الى الشر وسلوك طريقه : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين » .

الله رب الدين اذن يعلم الخير والشر ، كما يعلم الجهر وما يخفى ، ويريد الخير وحده ، لان في الخير سلامة البشرية وتعاونها واخاءها . وفي التعاون والاخاء ازدهار الحياة الانسانية ونماؤها .

2)) **سيادة الانسان :** والله رب الدين يعلم الارض والطبيعة كلها . ويقدر الطبيعة البشرية خاصة من بين كائناتها ، على انها لاتخضع الا الله وحده ، ولا تعبد الا اياه . وهي اذ تعبده وحده تسلم الى الخير وتفعله ، وتدرك الشر وتتجنبه . تسلم الى الانسجام والسلم وتسعى نحوهما . وتدرك الخصومة والاضطراب وتحاول تجنبهما . وكما يقدر الطبيعة البشرية على انها تعبد الله وحده ، يقدرها ايضا على انها يجب ان تسود على ما عداها من كائنات الطبيعة . (ولقدكرمنا بنيءادم، وحملناهمفيالبر والبحر،ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) . « هو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » . « هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » . « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه .... » .

وهنا ، في نظر رسالة الدين ، يسعى الانسان الى « العلم » ، « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، ليسود به الانسان على الطبيعة ، ولكن لا ليعبد العلم ويؤلهه . ويسعى لبناء الحضارة المادية والصناعية . « وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » . ولكن ليضيفها الى القيم الروحية والانسانية .

وهنا ، في نظر رسالة الدين ، يسعى الانسان الى تكوين المجتمع . « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . ليرعى افراده ولكن لا ليفنى الافراد فيه . ويسعى الى تأسيس الدولة : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » . لتقيم العدل والتوازن ، وتحفظ على رعاياها حقهم في الحياة ، وتصون حرماتهم الشخصية من النفس والمال والعرض، ولكن لا لتطاع دون مناقشة ، ويسلم لها الزمام ولو كانت جائرة أو سالبة للحرمات الشخصية من نفس ومال وعرض .

الدين لا يطلب من الانسان أن يعكس آية الحياة والوجود ، فيعبد من كان خلقا له من : علم ، ومجتمع ، ودولة . يريد أن يظل طبيعيا يتصرف وفق قوانين الطبيعة نفسها ، طالما هو مانح الوجود والنمو والتطور لغيره ـ فأجدر بهذا الغير أن يكون في خدمته وتبعيته.

3) **سيادة القيم الانسانية :** وسيادة الانسان التي يدعو لها الدين هي في واقع الامر ليست في سيادة هيكله المادي ونموه الحيواني ، بل في سيادة القيم الانسانية من : العدل ، والحرية ، والاخاء ، والمساواة ، وصيانة الحرمات الشخصية ... اذ لا يلحظ الدين في الانسان فقط انسانيته وميزته البشرية . وهذه لا تتمثل الا في القيم الانسانية وحدها.

واذن الدين يطلب من سيادة الانسان ، وسيادة القيم الانسانية ، استقرار السلم بين الناس ، وتحقق التوازن والعدالة بين الافراد واشاعة روح الاخوة والتعاون .

ويجب ان يكون ما يأتي به الانسان بعد ذلك مما يحصله من علم ، وما يقيمه من مجتمع ، وما يؤسسه من دولة في خدمة القيم الانسانية وسيادتها . فاذا عكس الوضع وأصبحت القيم الانسانية ، وأصبحت البشرية كلها في خدمة العلم والمجتمع والدولة ، يومئذ لا يتحقق سلم ، ولا عدالة ، ولا اخوة ، ولا تعاون . يومئذ يسود الطاغوت وتسود النزوات وبالتالي يسود الاضطراب والقلق ، وهنا لا تحقق الانسانية في رسالتها وانما الطبيعة نفسها تخفق في التعبير عن قيمتها الحقيقية .

اذ قيمة الطبيعة في ان يتجلى خضوعها للانسان؛ وقيمة الانسان في أن يكون ذا مستوى انساني فاضل :

وقيمة الكون كله في ان يدل على خالقه ، بما فيه من دقة وانسجام ، وتحكمهما قوانين لا شذوذ في ادراك الانسان لها .

وهذا كله ما تسعى اليه رسالة الدين .

4) **نكسة الشيوعية :** اما الشيوعية فهي تحول عبادة الانسان لـ « وثن » يسخر ، ولا يستطيع أن يسخر ويوجه غيره . وتحول طبيعة الانسان من طبيعة سائدة الى طبيعة مسودة ، ومن طبيعة حرة كريمة ذات مشيئة الى طبيعة يتحكم فيها من لا مشيئة ولا ارادة له ، لا استقلالا ولا تبعا ، وتسوي بين الخير والشر في التوجيه ، وتحول القيم الانسانية الى قوالب فارغة، تملؤها بما ترغب ، لا بما يجب لصالح الانسانية وحدها .

والهها ـ وهو العلم ـ يتغير اليوم عنه بالامس ، وسيغيره الغد القريب ثم الغد البعيد بعده ـ وقداسته بالامس اذن لم تكن تخيلا ووهما . وعبادته عندئذكانت خرافة ، لانه تغير اليوم عنه بالامس . وقداسته اليوم ستصبح في الغد ايضا تخيلا ووهما ، وستصبح ايضا عبادته خرافة ، لانه سيتغير في الغد عنه اليوم . وهكذا ...

5) **الفرق بين الدين والشيوعية :** انه الفرق بين دعوة طبيعية ، ودعوة هي نشاز عن الطبيعة . الدين يساير طبيعة الانسان وطبيعة الكون كله ، فيحرص على الالفة والاخوة في حياة الانسان ، على نمط ما يشاهد الانسجام في الطبائع الكونية الاخرى . أما الشيوعية فهي دعوة الى الانقلاب والاضطراب . سلمها في الحرب ، وحريتها في الرق ، ومساواتها في السلب ، وأمنها في الاثارة والقلق .

انها قامت على مبدا « النقيض » ، فالتضاد في حياة مجتمعها يلعب الدور الاول ، وانسانها مردد بين طرفي النقيض . هو بين الحياة والموت ، وبين القيد والانطلاق ، قيد في الانسانية ، وانطلاق في الحيوانية ، وبين الانسان واللا انسان .

ان الدين يدعو الى الوئام بين الروح والجسم لدى الافراد . والشيوعية تحكم الجسم في الروح ، وتفرض على العقل سيادة المعدة . انها اجدر بحياة الحيوان ، وابعد عما يليق بكرامة الانسان .

القاهـرة : (دكتور محمد البهى)

الدين في معركة التغريب والتبعية الثقافية

للاستاذ : أنور الجندي

لــم يتعرض فرع من فروع الفكر العربي للغزو الثقافي كما تعرض (الدين) ذلــك لان الدين كان ولا يزال في العالم العربي وفي الشرق دعامة هامة من دعامات الثقافة ومقوما من مقومات الامة العربية الاسلامية ، وعنصرا حيا ايجابيا غير منفصل من عناصر السياسة والاجتماع والاقتصاد .

ولقد كان الاستعمار يعرف خطر (الدين) واثره في الحياة العربية ومدى اثره في الايمان بالحرية ومقاومة الغاصب وانماء القوة وحراسة الثغور ، ولما كانت هذه العوامل من اخطر الاخطار على بقاء الاستعمار فقد كانت خطته في القضاء على مصدر هذه القوة : وهو الدين واللغة والتاريخ ، وكان الدين اهمها وقد اعد خطته في مقاومة الدين على نحو دقيق خفي يسري في معالم الفكر والحياة سريانا بطيئا حاسما في المفاهيم المختلفة .

وقد امتدت هذه الخطة فشملت الثقافة والصحافة والتعليم والترجمة والبعثات الاجنبية ومفاهيم الاجتماع وتحرير المراة ، من اجل هذا انطلقت دعوات الاستشراق والتبشير ، وظهرت مجموعات من دعاة التغريب ، ولما كان دين الغالبية في العالم العربي هو الاسلام ، فقد كانت الحملة كلها قد ركزت عليه باعتباره مصدر الثقافة والفكر والتراث المشترك .

ولقد استهدف الغزو الثقافي الى محاربة الاسلام القضاء على روحه القوية في مجال الحياة والفكر حتى تنطوي قوته وفعاليته في مجال مقاومة الاستعمار .

وكان التعصب الديني واضحا في هذه الحرب التي صدرت عن حقد بالغ وخصومة عنيفة ولم تصطنع في اي جانب من جوانبها « المنهج العلمي » الذي ابتدعه الغرب واقام على اساسه ابحاثه ونتائجه .

وكان ابرز الاخطاء التي طبقها الغرب في الحديث عن (الاسلام) انه لم يحاول ان يفرق بين المسيحية والاسلام في مفاهيمهما ومقوماتها، ولذلك حمل في الحرب على الاسلام نفس المعاول التي حملها في محاربة المسيحية ابان عصر النهضة بغية اقصائها عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بعد ان تبين للغرب جمودها وعجزها عن مسايرة التطور ، وبعد ان نفذت اساليب الكنيسة وظهرت اخطاء رجال الدين في تسلطهم واستبدادهم وجمودهم ووقوفهم في وجه الحرية وغلوهم في التعصب وبعدهم عن التطور .

ولقد كان (الاسلام) مختلفا اشد الاختلاف عن المسيحية في هذه الناحية ، فان الاسلام لم يكن دينا فحسب ، ولكنه دين ونظام اجتماعي واقتصادي وسياسي كامل ؛ ولقد كان الاسلام متطورا دائما وقادرا على الاستجابة للحضارة وللزمن وللبيئات المختلفة ، وقد دخل هذه التجربة من قبل ، ولم يكن للاسلام كهنوت له صفة السيطرة والتحكم في الناس والوساطة بينهم وبين الخالق .

ولذلك فان المقارنة بين المسيحية والاسلام من هذه الناحية باطلة ، كما ان محاولة اخضاع الاسلام كدين ونظام لما خضعت له المسيحية – التي هي دين فحسب – ليس من الحق في شيء ، ولكن التعصب وشهوة الحقد الاعمى ، والرغبة في القضاء على روح الدين ، وتنحية الاسلام عن ثبوته في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية حالت بين دعاة التغريب والغزو الثقافي وبين كشف هذه الحقائق .

ولم يستطع اتباع المستشرقين والمبشرين من مفكرينا التعرف الى هذه الفوارق ، لانهم اتصلوا بالفكر الغربي قبل ان يستكملوا مفاهيمهم في الفكر العربي ومقوماته .

واذا كان للاسلام في هذه الفترة التي بدا فيها الغزو الثقافي مغمز ، فانما كان في تطبيقه لا فيمقوماته واصوله هذه المقومات والاصول التي ظلت طوال القرون ضياءا هاديا وقوة حية ، فان انصراف المسلمين عن مفاهيم الاسلام وضعف الحكومات ، وسيطرة الاتراك العثمانيين اربعمائة عام والتخلف في ميادين الحرب والسياسة ، والانصراف عن القوة والمقاومة ، قد احل عصرا من الضعف والركود والتواكل والقوقعة وفرض سلطان الحكام المستبدين والعلماء الجامدين الذين اغلقوا باب الاجتهاد ووقفوا عند التقليد ، مما خلق غشاء رقيقا من الاوهام والبدع والخرافات التي حاولت ان تحجب جوهر الاسلام ونقاءه وتحجره وراء طبقة كثيفة من هذه الزيوف .

غير انه لم يخل جيل من مصلح ينبري ليكشف هذه الزيوف ، ويدعو الى الاسلام المصفى ، ويحاول ان يعود بالناس الى بساطة الاسلام الاول ويسره وحقيقته الكامنة المختفية .

وقد كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب في اواخر القرن السابع عشر الميلادي هي نقطة الانطلاق في تحرير الاسلام من زيوف القرون الثلاثة التي فرضها الحكم العثماني الجامد الذي انتهى الى الضعف والفساد ، بينما بدأت اوربا تستيقظ وتنقل اثار العرب وتترجمها وتكون حضارتها وثقافتها الجديدة ، وتتنبه الى دورها في القضاء على الاسلام والسيطرة على الشرق في محاولة للانتقام من هزيمة الحروب الصليبية ، وخشية من اتساع نطاق الاسلام وتطويقه لاوربا عن طريق تركيا العثمانية التي وصلت الى اسوار (فيينا) وبعد ان توقفت من الجانب الاخر عن طريق الاندلس عند مصب نهر اللوار .

ولقد كانت خطة الغرب في السيطرة على العالم العربي والاسلامي تهدف اساسا الى القضاء على الاسلام :

1 ـ كقوة حرة قوية لا تقبل الذل والاحتلال .
2 ـ القضاء على جوهر الدين في مفاهيم الجهاد والمقاومة والحرية .
3 ـ اقصاء الاسلام عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وقد اتجهت حملات الغزو الثقافي الى وجهتين : الدين بصفة عامة والاسلام بصفة خاصة .

ولما كانت الحملات موجهة من الفكر الغربي المسيحي، فان كل الحملات التي وجهت الى (الدين) كان مقصودا بها الاسلام اساسا ، وقد تمثلت هذه الحملات على الدين في انه ظاهرة من الظواهر الاجتماعية لم تنزل من السماء ولم يهبط به وحي وانما خرج من الارض كما خرجت الجماعة نفسها .

وان الديانات قيود واغلال التزمها الناس بدعوى انها منزلة خالدة ، وان وضع الدين في جانب العقل يقضي بهدمه ، وان الدين لا يخلق الانسان ، ولكن الانسان هو الذي صاغ الدين وليس الدين الا صدى الالم الذي يتردد في نفوس المظلومين ، وان الدين حادث (عمراني) له قدره (التاريخي) وليس له صلة بالاقتصاد .

وقد كانت كل هذه الاتهامات بعيدة عن الحقيقة، وقد واجه الاسلام حملات غزو ذات جوانب متعددة منها :

1 ـ الحملة على مفاهيم الاسلام وكتابه وتاريخه .
2 ـ الغزو عن طريق بعث اديان جديدة كالبابية والبهائية .
3 ـ الغزو عن طريق تعميق تيار الالحاد في العالم العربي .

وقد اشترك في هذه الحملات عدد كبير من المستشرقين والعلماء ، في مرحلة طويلة امتدت منذ عام 1830 واستمرت اكثر من مائة عام ، ولم يقف الفكر العربي مكتوفا امام هذه الحملات ، وانما واجهها بقوة ودحض اكاذيبها وكشف عن خداعها وتضليلها وتعصبها وكشف الغشاء عن الاباطيل التي برع الغزو الثقافي في حمل لوائها البراق ، والتي خدعت الكثير من دعاة التغريب في العالم العربي ؛ فصدقوا شعارات الفكر الغربي وكلماته ذات الرنين ، وخدعهم المبشرون الذين تلقوا عليهم العلم في جامعات اوربا .

والعجيب ان كتاب اوربا قد انقسموا ازاء العقائد الشرقية والاسلام واللغة العربية وتاريخ العرب وامجادهم قسمين : وان مفكرين ذوي قدر وصيت عاليين قد انصفوا العرب ، ومع ذلك فان نظريات

المبشرين والمستشرقين كانت دائما لها الغلبة ، وكانت هي التي تتردد في صحف مصر والعالم العربي لا على انها نظريات قابلة للنقض ، ولكن على انها حقائق ثابتة ، ومما يذكر في هذا الصدد ان (رينان) عند ما عرض آرائه عن العرب والسامية وراجعه فيها (جمال الدين الافغاني) لم يجد امامه الا ان يعلن انه سيعاود النظر في مراجعه على ضوء ما اورده جمال الدين في الرد عليه ، ومع ذلك فان دعاة التغريب حملوا هذه النظريات في الهجوم على الاسلام والامة العربية ، واللغة العربية كحقائق تفرض فرضا .

وقد واجه الفكر العربي في قوة وصراحة ووضوح وعلى نفس المنهج العقلي والمذهب الغربي في البحث كل ما عرضه المبشرون والمستشرقون وخصوم العرب والاسلام ، وكشف زيفه ، وابان ان هذه الحملة لم يقصد بها الا توهين عرى الاسلام وتشويه صورته ، وصرف اهله عنه .

وقد عمل الفكر العربي جاهدا على رد كل الشبهات التي اثارها المبشرون والمستشرقون ودعاة التغريب ، وكشف الفكر العربي عن جوهر الاسلام في انه عقيدة ونظام ، وان مبادىء الاسلام وتعاليمه صالحة للمجتمع على اختلاف الزمان والمكان ، وان اركان العقيدة الاسلامية بسيطة قوامها التوجيه ، وقد اقر الاسلام حقوق الحرية والاخاء والمساواة بين البشر ، والغى العصبية وفوارق الاجناس والالوان والدماء ، وجعل اساس التفاضل بالعمل ، وحرم العصبية القبلية ، ودعا الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر المحبة بين الناس ، وحمل لواء الجهاد في سبيل الدفاع عن العرض، والارض ، والوطن ، ونهى عن عبادة غير الله ، وتشمل الشريعة الاسلامية كافة التكليفات الشرعية العملية ، وتنظيم العلاقات بين الناس في الاسرة والمجتمع بما يحقق قيام مدنية فاضلة تقوم فيها العلاقات على دعائم ثابتة ودعا الى الحج كمؤتمر اسلامي عام .

وقد نظم الاسلام المجتمع على اساس الخلق والتعاون والتكافل ، واقام الاسرة على اساس المودة ونظم العلاقات بين الناس ، وفرض نظام الشورى في الحكم ، واعلن احترامه للكرامة الانسانية والعدالة وعدم التفريق في القضاء بين الغني والفقير او الامير والسوقة، واعطى توزيع الاعمال بمقدار الكفاية ، وعالج الفقر بنظام العدالة الاجتماعية ، وجعل للفقير في مال الغني حقا معلوما هو الزكاة تجمعه الدولة ، واوجب على ولي الامر ان ينفق على الفقير العاجز ، وللقاضي ان يحكم له بما يكفيه من بيت مال المسلمين ، واوجب على اهل كل قرية ان يقوموا بسداد حاجة فقرائها ان لم تكف الزكاة ، واعطى المراة حقها ، ومنحها حرية الارادة في البيع والزواج والشراء ، وحث على طلب العلم واقام الحكم العقلي فيه على اساس البرهان (قل هاتوا برهانكم) .

وقام الاسلام على قاعدة : لا ضرر ولا ضرار وعلى سد الذرائع ، واعطاء الوسائل احكام المقاصد والغايات ، فكل ما افضى الى مباح فهو مباح ، وكما اباح اعطاء الظن الغالب حكم اليقين المجزوم به ، وقرر تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض ، ودعا الى المساواة بين المسلمين في الاحكام وكذلك بينهم وبين من له ذمة وعهد ، فان لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، وعمل على تقدير كثير من الاحكام بما تعارف عليه الناس واعلن ان من اجتهد واخطا فله اجر واحد،ومن اجتهد واصاب فله اجران .

وكان (الاسلام) واسع الافق في لقاء الحضارة الغربية الحديثة ، وقد حرر الفكر العربي نفسه بفتح باب الاجتهاد قبل ان تصل طلائع الغزو الغربي ، فان علماء القرن الثامن عشر قد دعوا الى فتح باب الاجتهاد بعد ان ظل مغلقا فترة طويلة ، واعادوا تفسير قوانين الاسلام وكشفوا عن وجه الاسلام الحقيقي بعد ان رفعوا الغشاء الذي خلفه الجمود والتقليد في الدولة العثمانية .

وكانت الحركات الوهابية والسنوسية والمهدوية ، وهي حركات منفصلة قامت في الحجاز وليبيا والسودان علامات على وضوح مفاهيم الاسلام الحقيقية من تحرير الفكر وتحرير الوطن في نفوس دعاتها ، قد عملت هذه الدعوات على التحرر من قيد التقليد والعودة بالاسلام الى منابعه الاولى وفي نفس الوقت قاومت الاستعمار التركي والغربي .

كما توافرت في (الاسلام) خلال معركة المقاومة التي شنها على الغزو الثقافي والتدخل الاجنبي مرونة واضحة في تقبل الحضارة وتمكين المجتمع الاسلامي من التطور والعمل للتوفيق بين الحضارة وبين اسس القيم الروحية والفكرية العربية التي كانت اساسا ضروريا لبناء المجتمع الجديد .

القاهرة : انور الجندي

دواء الشاكين وقامع المشككين

- 22 -

للدكتور تقي الدين الهلالي

المصادفـــة :

قـــــال المصنف في الفصل السادس عشر : ان القول بالمصادفة ظاهرة الشذوذ لا يقبله العقل ولا يخضع لاى طريق من طرق الحساب . لكن مع كوننا مدهوشين لمفاجآتها ، لانشك انها خاضعة لقانون صارم لا يتخلف ابدا . وقد تقدم في أول الكتاب مثل وضـــع عشرة افلس في كيس مرقومة بارقام من واحد الـــى عشرة ، وانك اذا وضعتها فيه وهززته حتى اختلط بعضها ببعض ثم ادخلت يدك آملا ان تقع على رقم واحد تكون فرصة نجاحك واحدا من عشرة ، اي عشرة في المائة ، واذا نجحت ثم ادخلت يدك مرة اخرى مؤملا ان تقع على رقم اثنين يكون حظك من النجاح واحدا من مائة ، وهكذا فلا تصل الى العاشر حتى يكون حظك من النجاح واحدا من بلايين تفوق الحصر ، والان اضرب لك مثلا آخر ، افرض ان عندك كيسا يحتوي مائـــة قطعة من الرخام ، تسع وتسعون منها سود ، وواحدة بيضاء ، هز الكيس هزا عنيفا ثم اخرج واحدة ، فحظك من النجاح في ان تقع يدك لاول مرة على القطعة البيضاء يكون واحدا من مائة ، ولو فرضنا انك نجحت ثم رددت القطعة البيضاء الى الكيس وهززته مرة اخرى حتـــى اختلطت القطع ثم ادخلت يدك مؤملا ان تقع على القطعة البيضاء للمرة الثانية على التوالي ، فان حظك مـــن النجاح يكون واحدا من عشرة الآف ، واذا ادخلت يدك للمرة الثالثة يكون حظك من النجاح ثلاث مرات علـــى التوالي واحدا من مليون ، ثم جرب مرة اخـــرى او مرتين فان حظك من النجاح يرتقي الى الحساب الفلكي ، يعني الى بلايين لا نهاية لها .

وبذلك ترى ان نتائج المصادفة مضبوطة بقانون دقيق ، كما ان الواحد نصف الاثنين ، والاثنين نصف الاربعة .

ثم ضرب المصنف مثلا آخر ببطاقات اللعب يشبه ما تقدم ، وحاصله انك اذا خلطت بطاقات اللعـــب وادخل كل لاعب يده في وعائها واخرج البطاقات التي تنوبه على سبيل المصادفة فان ذلك يكون مستحيلا لم يحدث قط منذ اخترعت هذه اللعبة .

ثم ضرب المصنف مثلا آخر برجل ماهر في اللعب احضر طفلا صغيرا لا يعرف هذه اللعبة ولعب معه وبعد اربع وثلاثين حركة صدرت من الطفل كما لو كان لاعبا ماهرا وغلب الطفل ذلك اللاعب لكان ذلك في غاية الاستحالة والبطلان .

واكرر القول : ان قصدي بهذا المبحث في المصادفة ان اقيم البرهان الذي لا ريب فيه وان استرعي انتباه القارىء بطريقة علمية واضحة الى ان جميع مقومات الحياة لا يمكن البتة ان توجد على كوكب واحد في وقت واحد بالمصادفة المجردة .

وتوضيح ذلك ان تقول : ان حجم الارض ومسافة بعدها من الشمس ، ودرجة حرارة الشمس ، واشعتها الباعثة للحياة ، وغلظ قشرة الارض ومقدار المـــاء ، ومقدار ثاني اوكسيد الكربون وحجم النتروجن ووجود الانسان وبقاءه على قيد الحياة ، كل ذلك يدل علـــى وجود القصد والتدبير والنظام الدقيق المضاد للفوضى وان ذلك مضبوط بقوانين حسابية لا محل فيها للمصادفة ولا يمكن احتمالها ، ولو مرة في بليون مرة ، واذا اعترفنا ولابد لنا من الاعتراف ، فهل يعقل ان نؤمن ولو في مـــرة من بليون مرة مع ما اوتينا من عقل ونصدق ان وجودنا ووجود سوانا في هذا العالم الفسيح المحكم الصنع حدث على سبيل المصادفة .

لقد وجدنا ان تسعمائة وتسعة وتسعين وتسعمآت وتسعة وتسعين وتسعمائة وتسعة وتسعين 999. 999.999 ثلاث مرات في مقابلة واحد ضد الاعتقاد بان جميع الاشياء وجدت على سبيل المصادفة . والعلم لا ينكر هذه الحقائق كما بيناها ؛ وعلماء الحساب يعترفون بان هذه الارقام صحيحة ؛ والان تقابلنا مقاومة عنيفة عنيدة من قوم اصروا على افكار استقرت عندهم .

لقد كان اليونانيون القدماء يعرفون ان الارض كروية الشكل ، ولكن مدة الفي سنة قد مضت قبل ان يؤمن الناس بهذه الحقيقة ويصدقوها .

ان كل فكر جديد لابد ان يلقى انكارا وسخرية وذما ، ولكن الحق يعيش ويرسخ وان جحد الجاحدون.

لقد انتهت المخاصمة ورفعت القضية اليكم ايها الحكام ونحن في انتظار ما تحكمون به واثقين مطمئنين باحقاق الحق وازهاق الباطل .

تعليقـــــات :

1 – قوله : واكرر القول ان قصدي بهــذا المبحث في المصادفة الخ .. اقول : هذا الفصل هــو خلاصة فصول الكتاب كلها ، ومن قرا هذه المقالات بامعان وفهمها يصير الايمان بالله انه الخالق البارىء المدبر لشؤون هذا الكون عنده معلوما بالضرورة ولا يشك فيه ابدا ، الا اذا عمي وصم وترك عقله جانبا وجحد ما يعلم انه حق فهذا يخادع نفسه ويكذب حسه فلا يستحق الخطاب لانه من شرار الدواب (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون) وقد حثنا الله سبحانه على النظر في كتابه العزيز في غير ما آية ، وتقدمت الاشارة الى بعض ذلك ونعيد شيئا منه فنقول على سبيل التنبيه ، قال الله تعالى : قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يومنون .. وقال تعالى : (افلم ينظروا الى السمــاء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) ، وامثال هــذه الايات الداعية الى النظر واعمال الفكر الموصل يقينا الى الحقيقة ، وهي الايمان بالله على طريقة الراسخين في العلم الموقنين كثيرة ، اما من امتنع من النظر واستعمال العقل الذي هو من اعظم النعم ، بل هو اعظمها لانـــه الموصل الى المعرفة التي هي طريق السعادة فلا حيلة فيه فنذره يعمه ويتخبط في ضلاله ، واكثر الكافرين في هذا الزمان عموما وخصوصا في البلاد الاسلامية ، انما كفروا تقليدا لمن ظنوا انه بلغ درجة العصمــــة في اوج المعرفة، فمثلهم كمثل القرد مع النجار حين اراد محاكاته في نشر الخشبة فدخل ذنبه في شقها وانطبقت عليــه وبقي محبوسا حتى جاء النجار فضربه ضربا شديــدا فكان ما لقي من النجار اشد عليه مما لقيه من انطباق الخشبة على ذنبه ، ومن الغريب انك تراهم يتـــددون بالمستعمرين ويصفونهم بالخداع والقســوة والامعان في التوحش ثم يقلدونهم تقليدا اعمى في رذائلهـــم ولا يقلدونهم في فضائلهم ، فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، فلا المقلد بالكسر ولا المقلد بالفتح يستطيع ان يجيب عن شيء من البراهين العقلية بله النقلية التي اودعناها هذه المقالات ، فهما بين امرين: الجهل او الجحود ، فليختارا احدهما وما فيهما خيــر لمختار، فقد ثبت بالبراهين التي لا تقبل الريب ان الحياة انما وجدت على وجه الارض بالعناية الربانية والقــدرة الكاملة والعلم والحكمة التامة التي تحيرت فيها عقول المخلوقين وعنت لها وجوه الباحثين والمفكرين ، وظهر ان دعوى المصادفة حديث خرافة ، وجهل وسخافة ، كطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ، وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

2 – قوله : ولا يمكن احتمالها ولو مــرة في بليون مرة : حجة قاطعة يسلمها كل ذي عقل باعجاب واطمئنان ، وقد تقدم تفصيل ذلك في تضاعيف هــذا الكتاب الذي هو غذاء للالباب .

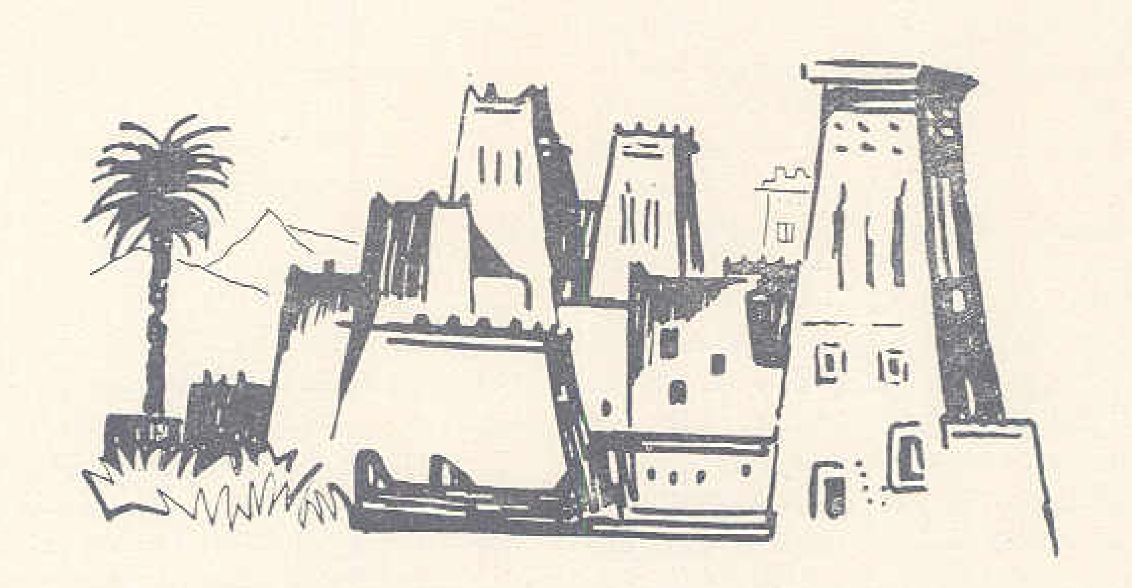
3 – قوله : لقد كان اليونانيون القدماء يعرفون ان الارض كروية الشكل ، ولكن مدة الفي سنة قــد مضت قبل ان يؤمن الناس بهذه الحقيقة ويصدقوها ، اقول : هذا في امريكا بلاد المصنف وفي اوربا ، امـــا في بلادنا فلا يزال خلق كبير لا يصدقون بذلك ، وبعض من يدعي علم الدين يزعم ان القرآن مصرح بــان الارض ليست كرة جهلا منهم ، لا بما ادركه العلماء اليونانيون منذ الفي سنة فقط ، بل بما حققه علماء الاسلام منــذ الف سنة ، نذكر منهم الشيرازي والغزالي وابن رشد وابن تيمية وابن القيم ، وقد حدثت لي في هذه المسالة قصة طريفة اتحف بها القراء كنت في سنــــة 1346 مراقبا للمدرسين في المسجد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام ، فزار المدينة الشيخ عبد الله بن بليهد ونزل في ضيافة الحكومة في دار مجاورة للمسجد النبوي ،

وهو اذ ذاك رئيس القضاة فى البلاد السعودية ، فذهبت لزيارته وكان معي رفيقي وصديقي القديم الاستاذ الشيخ محمد بن عبد الرزاق المصري اصلا ، الحجازي مهاجرا وسكنى ، وهو من خيرة العلماء السلفيين ، وكان فى ذلك الوقت خطيبا فى المسجد النبوي ومشاركا لي فى المراقبة ، فلما جلسنا فى مجلسه دعا لنا بالقهوة التي تشرب بلا سكر ، وهي تحية كل زائر فى بلاد العرب ، ثم سال عن حالنا فاجبناه بخير وشكرنا ملاطفته ، ثم قال لنا : اريد ان اسالكما عما يعتقده اهل الامصار ، يعني اهل المدن الكبرى فى البلاد الاسلامية من زعمهم ان الارض كرة ، وانتما قد خالطتماهم فما هي شبهتهم فى هذه الدعوى ، فقلنا له : انهم يستدلون بادلة عديدة اقواها عندهم اختلاف الليل والنهار ، فان الشمس فى كل وقت تطلع على قوم وتغيب عن آخرين ، واذا كانت غائبة فى بلد فهي طالعة فى بلد آخر ، وهذا امر مشاهد ومعلوم ، ومن ادلتهم ان المسافر فى البحر يرى نفسه دائما فى دائرة ، واذا راى سفينة من بعيد فاول ما يشاهد منها رؤوس الصواري ، ثم يشاهد مداخنها ، ثم تتكشف كلها ، وحتى فى البر ، اول ما يشاهده المسافر من المدينة رؤوس المنارات والابراج. قالوا : ولو كانت الارض كلها على شكل بساط لظهرت الشمس لاهل الارض كلهم فى وقت واحد وغابت عنهم فى وقت واحد ، ومن ادلتهم على ذلك اننا لا نرى من الشمس والقمر والكواكب الا نصف دائرة ، فلابد ان النصف الاخر وراء نصف الكرة الاخرى ، وتشاهد كل طالع كانه خارج من الارض ، وكل غارب كانه داخل فيها ، ولم نرد ان نقول له : ان كثيرا من الناس قد داروا حول الارض فتوجهوا الى الشرق واستمروا على ذلك حتى رجعوا الى بلدهم من جهة الغرب لعلمنا ان عقله لا يتحمل ذلك ابدا ، ومع ذلك غضب علينا غضبا شديدا ، وقال لنا : اتركا هذه العقيدة فانها فاسدة وباطلة وان اصحابها زنادقة لا يريدون بها الا ان ينكروا استواء الله على عرشه ثم يجحدون وجوده ، فقلنا له : نحن لم نقل ذلك اننا نعتقد هذه العقيدة ، وانما سالتنا عن ادلة القائلين بها فاخبرناك ، فقال : بلى انكما ، تعتقدانها ، فعلمنا حينئذ ان المدرسين قد اشتكوا اليه واخبروه بما دار بيننا وبينهم من بحث فى ذلك ، وحينئذ رمقتنا ابصار الحاضرين باحتقار وازدراء واخذوا يسخرون منا ويقول بعضهم لبعض : ما اسفه القائلين بهذه العقيدة واضعف عقولهم ، لو كانت الارض كرة كما يزعمون لكانت رؤوسنا الى اسفل وارجلنا الى فوق ، ولماذا لا تسقط هذه الجبال والاحجار والصخور ، ولماذا لا تنصب البحار فى الهواء وما اشبه ذلك ، فسكتنا ولم يبق لنا قول واذعنا لصولة الجهال ، وكان ذلك فى رمضان ، فطلب منا الشيخ ان نفطر معه كل يوم ، اما انا فلم اعد اليه ، واما صاحبي فكان يتردد عليه ، غير اني قرات الرسالة العرشية لشيخ الاسلام ابن تيمية التي اقام فيها الدليل والبرهان القاطع على كروية الارض وجميع الاجرام السماوية ، ومما قاله فيها : ان جهات الارض كلها فوق وليس فيها تحت ، وانما التحت هو بطن الارض اي مركزها ووسطها ، قال : فلو القيت حجرا بالمشرق وحجرا بالمغرب فنزلا فى الارض ولم يجدا مانعا لاجتمع الحجران فى وسط الارض ، ولو جعلت بدل الحجرين انسانين لالتقت اقدامهما فى المركز ، فخططت على ذلك بخطوط حمر ، وبعثت الكتاب اليه فازداد غضبا وقال لمن حضر عنده : الا تعجبون من الهلالي يريد ان يعرفني بما فى كتب شيخ الاسلام ، وانا لم ازل ادرسها منذ طفولتي واكاد احفظها عن ظهر قلب ، ان كلام شيخ الاسلام عال لا يستطيع الهلالي ان يفهمه ، ثم اخذت اطالع كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم ، فوجدته قد صرح بان الارض كرة وعلل بذلك باختلاف الليل والنهار فبعثت اليه الكتاب مع رفيقي الشيخ محمد بن عبد الرزاق ، فلما قرا كلام ابن القيم فكر طويلا ثم قال له : اما الجهة التي نحن فيها فهي سطح نشاهده بالعيان ، فاذا كانت الجهة الاخرى كرة فلا ادري ، وبعد ذلك لقيت الشيخ محمد بن عبد اللطيف وهو كبير علماء آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى ذلك الزمان ، فقال لي قد بلغني ما جرى بينك وبين ابن بليهد وهو مخطىء فيما زعم فتحت يدي ثلاث رسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية كلها تشهد بكروية الارض ، وانما قلت لك هذا لكيلا تظن ان جميع علماء المملكة السعودية يرون راي ابن بليهد فى هذه القضية ، وهذا الشيخ اعني ابن بليهد كان آية فى الادب العربي وعلوم الدين وكان طاعنا فى السن ، ولكنه يستحضر كلما قراه بالفاظه غالبا ، فيقول مثلا قال المؤلف الفلاني فى الكتاب الفلاني فى الصفحة الفلانية ما نصه ويمليه من حفظه ، اما ما عدا ذلك فلم يكن له به علم ، ورايت رجلا آخر يشبهه فى علم الادب وحفظ نصوصه ، وهو السيد عبد الله بن سعيد السلاوي فكان لا يسمع بحادثة الا تمثل بابيات وامثال للعرب متعددة ، واخبرني ان والده الزمه ان يحفظ كتاب نفح الطيب وهو اربعة من المجلدات ، فقال فحفظته ، والسيد عبد الله بن سعيد السلاوي هو اول وطني فى المغرب واول مقاوم للاستعمار حين كان المغاربة فى غمرة ساهين وكان جمهورهم يعتقد ان مقاومة الفرنسيين كمقاومة

البشر للعفاريت او الاقزام للعمالقة ، وقد جاهـــر بمقاومته فنفاه ليوطي من بلده سلا الى وجدة ، وفيها كنت اتردد عليه وكان يسر بلقائي ، واذا ابطأت عليـــه يرسل فى طلبي فرحمة الله عليه ، وفى يوم من الايام قال لي قاضي القضاة بشر السيد عبد الله بن سعيد باني تحدثت فى قضيته مع المراقب المدني فوعدني بانـــه سيسعى فى اصدار العفو عنه فما عليه الا ان يكتب كتابا الى المرشال اليوطي يطلب فيه العفو . فذهبت اليـه واخبرته بذلك فتبسم وقال لي قل له : اني اتاسـف عليك ان ترضى بمثل هذا لنفسك او لاحد من المواطنين . ماذا اقول فى هذا الكتاب ؟ اقول اني مذنب التمـس العفو من اجنبي مغتصب لا حق له فى الاستيلاء علـى وطننا ولا فى الحكم فيه ، فضلا عن ان يكون له حق فى نفيي لاني ابيت الخضوع والتملق للمستعمر الظالم . فاليوطي هو الذي يجب عليه ان يطلب العفو مني لانه اعتدى علي واغتصب ارضي ثم نفاني من بلدي . قال ولقد كتبت احتجاجا الى رئيس جمهوريتهم فى كراس وبعثته فى البريد فلم يتركوه يصل اليه ولن اخضع لعدو مغتصب ابدا . وعلمت بعد ذلك ان اليوطي زار وجدة ومر بباب داره فاشير عليه ان يخرج اليه فابى :

ذي المعالي فليعلون من تعالى
هكذا هكـــذا والا فـــلا لا

مكناس : الدكتور تقي الدين الهلالي



العلاج النفسي في الإسلام

للأستاذ : جمال بغدادي القادري

ان الذي يمعن النظر في الاسلام تتجدد لديه جوانب العبقرية الاصيلة الكامنة في مراميه الخالدة ومقاصده الانسانية ، بل يتحقق عند الباحث انسجام الاسلام الدائم مع الاوضاع الاجتماعية الجديدة والمطالب الحياتية المتغيرة ؛ كان الاسلام ادرك ما تصير اليه حياة الانسان في المستقبل القريب والبعيد في بيدائه او قريته او مدينته ؛ وبهذه الواقعية المتطورة تتلمس كلمة الله العليا الخالدة خلوده سبحانه .

فهذه حياتنا اليومية الصاخبة المنطلقة الى الامام وهي تدفع الانسان دفعا حثيثا مكلفة اياه بمهمات تزداد تعقيدا ومشقة فلا تترك له فرصة الاستجمام النفسي ولا الاصالة الفكرية واصبح الانسان في المجتمعات المادية سنا في الدولاب ليس له وجود ذاتي ؛ كان هذه الحضارة المادية الطاغية من عجينة لاتنفعل مع روحانية الانسان ، هذا الكائن المؤلف من الامال والاحلام والحب والطموح في حاجة الى حضارة لا تهمل هذه المكونات النفسية والا اصبح في صراع مع ميوله الفطرية ولا توازن مع متطلبات النفس الملحة ، ولعل هذا اللاتوازن بين حاجيات الجسد وبين حاجيات النفس هو الذي يفسر لنا كثرة الامراض العقلية والاضطرابات النفسية ، وشيوع حوادث الانتحار وتفشي الحيرة والقلق بين الناس لان الانسان وجد نفسه عبدا للالة في وسط مادي ساحق ؛ اذا كان الجسد يتحمل المجهود المبذول فهو اكثر تحملا من العقل ، ولذلك كانت الامراض العقلية والنفسية اكثر عددا من امراض الجسم بجميع انواعها ، ولقد دلت الاحصاءات على ان فردا من بين خمسة عشر فردا لابد من ان يدخل الى مستشفيات مرضى العقول (هذه النسبة العددية ذكرها « بيرز » على حالة سكان نيويورك) وفي مجموع الولايات المتحدة يبلغ عدد الاشخاص المحتجزين لضعف العقل والجنون اكثر من ثمانية امثال مرضى السل الذين يعالجون في المستشفيات ويقبل كل عام ما يقرب من 68.000 حالة جديدة في المؤسسات التي يعالج فيها المجانين واذا استمر القبول بهذا المعدل فان قرابة المليون من النشء والاحداث الذين يوجدون اليوم في المدارس سيكون في وقت ما داخل مستشفيات الامراض العقلية .

ومعنى هذا ان المذاهب الاجتماعية والحياة الصاخبة في المدن اقلست في تحقيق التوازن العقلي والاستقرار النفسي ، وان المدنية المعاصرة كلما تعقدت كلما ارتفع مرضى العقول والنفوس ، فكيف واجه الاسلام هذا الوضع الخاص بانسان القرن العشرين ؟ وكيف اتي بالعلاج النفسي لازمات الانسان الدائمة ما دام الاسلام هو الرسالة الخالدة الصالحة لكل زمان ، والنظام الذي تتحقق به السعادة الكاملة ؟

لقد نزل الاسلام على العرب وهم في بيئتهم الاجتماعية الصحراوية التي لم تشتمل على المشاكل التي نعيشها اليوم ؛ ومع ذلك فقد تنبا الاسلام الى البلسم الذي من شانه ان يقي الانسان من الاضطرابات النفسية المختلفة سواء في امسه او في يومه او في غده.

وكانت اللبنة الاولى التي وضعها المفهوم النفسي الاسلامي هي لبنة الايمان ، والايمان يرادف الاطمئنان النفسي في مصطلح الطب العقلي ، وقد اتفق جميع المحللين النفسانيين على ان السبب العميق لكل الامراض النفسية هو الاضطراب والصراع

سواء كان جنسيا او عقائديا او اجتماعيا او ذاتيا ، فكلما حصل تزاع بين عادات الانسان وميوله من جهة ، وبين مقتضيات البيئة الخارجية المتمثلة في المؤسسات وانظمة التربية وانماط السلوك من جهة اخرى ، تكونت العقد كمرحلة اولى نحو الجنون في نهاية المطاف ، فما دامت الثقة غير متوفرة في قلب الانسان وما دام الاطمئنان غير حال في عقله كان مهددا دوما بالمرض النفسي ، والاسلام جاء ليقضي على الميكروب النفسي الاول وهو القلق والاضطراب والفصام بتركيز الايمان في قلب الانسان ، ففي الايمان اعتقاد ان لافرق بين حياة الارض وحياة السماء ، فلا فصام ولا نزاع بين متطلبات الدنيا ومتطلبات الحياة الاخرى ، بل هنالك ترابط دائم لاينفصم ، وفي الايمان ثقة هادئة في عدالة السماء وفي الولاء لله وحده فلا عبادة لمخلوق وبهذه الثقة وبهذا الولاء تصبح النفس في حرز وحمى من انحلال الشخصية وانفصامها ؛ فالاسلام حصن ضد هذه الآفات التي تصيب الانسان وهي آتية له من نفسه ، لان المرض النفسي يصدر من النفس وقد يكون انعكاسا من المجتمع ايضا ولذلك وجب اصلاح المريض النفسي اصلاحا نفسيا اجتماعيا، وهذا ما فعل الاسلام حين جعل هذا الايمان وهذه الثقة في الله لاتكمل ولا يكون لها مدلول الا اذا كان لها سلوك اجتماعي لان الحياة الاجتماعية السليمة سد منيع ضد الاضطرابات ، وهذا السلوك الاجتماعي يتمثل في الحب ، الحب بأوسع معانيه الانسانية : حب الفقير والعطف عليه ،حب الانسان من اي لون كان او جنس او بلاد ، بل حب الناس كافة ، حب الحيوان ، وحتى الجماد لانها من صنع الله ، وهذا الحب الشامل من شانه ان يقضي على عقد الاستعلاء والغرور وعقد النقص والانانية واسباب الاثرة ، وهذه العاطفة تدريب اجتماعي حاسم نحو العمل السليم . والحب من شانه ان يحقق السلام ، سلام النفس والعقل حتى ان الاسلام هو دين السلام ، وان التحية الاسلامية هي تحية السلام والاخاء ، قال الرسول : (لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه) — وقال تعالى : « انما المؤمنون اخوة » .

بهذه الحواجز المنيعة حمى الانسان في الاسلام من الاسباب الاولى للامراض النفسية ، ولعل هذا هو الذي جعل العلماء العرب المسلمين اسبق المفكرين الى ميدان التطبيب النفسي قبل مدرسة شاركو في باريز وفرويد في النمسا ، كان الطبيب العربي فخر الدين الرازي يعتقد ان تلاوة القرآن والعمل به شفاء من الامراض الروحية الخبيثة ، قال في كتابه « مفاتيح الغيب » : (واعلم ان القرآن شفاء من الامراض الجسمانية ، اما كونه شفاء من الامراض الروحانية فظاهر ، وذلك لان الامراض الروحانية نوعان : الاعتقادات الباطلة والاخلاق المذمومة ، اما الاعتقادات الباطلة فاشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الالهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر ، والقرآن مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه المطالب ، وابطال المذاهب الباطلة فيها ، ولما كان اقوى الامراض الروحانية هو الخطا في هذه المطالب والقرآن يشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب من العيوب الباطنة لاجرم كان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني ...) ان اثر القرآن على النفس هو من قبيل الايحاء من شدة الاعتقاد .

ولكن امهر الاطباء النفسانيين العرب هو دون ريب ابن سينا الذي صال وجال في كل علم وفن ، ان الشيخ الرئيس اتى في كتابه « القانون » بالبذور العميقة لاسلوب التحليل النفسي الفرويدي القائم على طرح الاسئلة للتعرف على اصل المرض وآثاره الاولى ، استعمل هذه الطريقة العلاجية لعلاج مرض العشق ومرض المانخوليا ، وقد نقل النظامي السمرقندي قصة ذلك الفتى الذي اعتقد انه قد صار بقرة واصبح يطالب بذبحه حتى يؤكل من لحمه ، وقد حار الاطباء في علاجه الى ان علم به ابن سينا فصدق ما رواه الفتى المريض وجعل يشاركه اعتقاده بانه صار بقرة وانه حان ذبحه فشرع في ذبحه فعلا وعند ذلك اعلمه الطبيب ابن سينا انه لايجوز ذبح بقرة هزيلة فلا بد من ان تطعم حتى تسمن ، وصدق الفتى مقالة الطبيب الرئيس ولكنه حينما بدا تناول الطعام زالت عنه تلك الاوهام ، وشفي من مرضه ، ان مايحكى عن تشخيصات الرئيس ابن سينا لتعتبر آية في العلاج النفسي البصير .

وبالاضافة الى هذه المهارة الطبية في ميدان الامراض العقلية امتاز العلماء العرب بعلاج فريد في نوعه استمدوه من صميم روح الاسلام وهو ما يتعلق بعلاجهم للامراض الخلقية كالغضب والحسد ، يقول العلامة ابن مسكويه في بيان تاثير الغضب في الجسم والعقل : (الغضب في الحقيقة هو حركة للنفس يحدث لها غليان دم القلب شهوة للانتقام ، فاذا كانت هذه الحركة عنيفة اججت نار الغضب واضرمتها فاحتد غليان دم القلب وامتلأت الشرايين ، والدماغ يصبح

مظلما مضطربا يسوء منه حال العقل ويضعف فعله ويصير مثل الانسان عند ذلك مثل كهف مليء حريقا .. فلذلك يعمى الانسان عن الرشد ويصم عن الموعظة وليس له فى تلك الحال حيلة وانما يتفاوت الناس فى ذلك حسب المزاج) ؛ وقد كتب ايضا الامام الغزالي كتابات رائعة فى هذا المجال حول اسباب الغضب ونتائجه وطرائق علاجه ، ومن آرائه حول العلاج ما ذكره فى الاحياء قال : (وللتخلص من الغضب يجب ازالة هذه الاسباب باضدادها ، فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع ، وتميت العجب بمعرفتك بنفسك .. وتزيل الفخر بانك من جنس غيرك ، اذ الناس يجمعهم فى الانتساب اب واحد .. وانما الفخر بالفضائل .. واما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه .. واما الهزل فتزيله بالجد فى طلب الفضائل والاخلاق الحسنة ، وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل) اي بالتفكير فى اصل هذا الغضب وفى معرفة مصادره ، واما العمل فهو العلاج الفعلي بالقول اولا كأن يذكر (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فان لم يتحقق ذلك ، فاجلس ان كنت قائما ، واضطجع ان كنت جالسا ، واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة ، وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله : ان الغضب جمرة توقد فى القلب ، الم تروا الى انتفاخ اوداجه ، وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليقم) . ولا احسب ان علم النفس الحديث يستنكر هذا العلاج الحكيم .

وخلاصة القول ان الاسلام وضع الحجرة الاساسية لاساليب العلاج النفسي بعد ان تنكر لما عهد فى الجاهلية من وسائل قائمة على التمائم والخرزات والايمان بتاثير الجان والارواح الخبيثة — لان العلاج فى الاسلام يقوم على الاستبصار وهووقائي اكثر منه علاجي ، فلا نجد التفصيل العلاجي المعروف عند الاطباء الاختصاصيين وانما اكتفى بان قدم العلاج الوقائي الانساني الذي يصون العقل ويحمي النفس ، واننا لا نلمس عند الاطباء العرب ابتعادا كبيرا عن روح القرآن ، بل نجدهم يتخذون نفس المنطق ونفس المنهاج ، ولذلك كانوا اسبق المفكرين الى التحليق فى عالم النفس وادراكهم بخفاياها وزواياها ، بل تعدى علمهم من علاج الانحراف السلوكي فى الاخلاق وهذا ما لم يعهد به عند المحللين المعاصرين مع العلم ان المرض الاخلاقي انحراف نفسي فى مراحله الدنيا .

وهكذا حق القول بان الاسلام اتى بالجديد فى حقل العلاج النفسي بعد ان ميزه على كافة الاساليب الاخرى المعروفة فى دنيا الطب قديما وحديثا .

الرباط : جمال الدين البغدادي



ميلاد عالم جديد

للاستاذ :

أبو الحسن علي الحسني الندوي

اذا تساءلنا ما هو اليوم – من ايام التاريخ – الذي يستحق من الانسانية اعظم تقدير واجلال ، ويستحق ان يذكر فلا ينسى ، ويستحق ان يعتبر اليوم الخالد والخط الفاصل في ادوار التاريخ ، وبين عهد وعهد بل بين عالم وعالم ؟ .

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذي تشترك في اجلاله والاحتفال به وابداء السرور فيه الانسانية على اختلاف طبقاتها واختلاف اممها وشعوبها ، واختلاف نزعاتها وفلسفاتها ، لانها سعدت فيه بعد شقاء طويل ، ونهضت فيه بعد عثرة دامت قرونا ؟ .

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذي يعتبر ميلاد العالم الجديد وفاتحة العهد السعيد ، ورمز انتصار الفضيلة على الرذيلة ، وقوى الخير على قوى الشر ، والعدل والمساواة ، والرحمة والمواساة ، على الشقاوة والقساوة ، والهمجية والضراوة ، وانتصار الحياة المنظمة والشريعة الكاملة على شريعة الغابات وقانون العصابات ، وبالاختصار انتصار العلم والايمان على الجاهلية باوسع معانيها انتصارا خالدا ؟ .

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذي ولدت فيه قوة جديدة نشيطة لمكافحة الشر وصد تيار الفساد لتكوين المجتمع الجديد القائم على اساس الايمان ، والعمل الصالح والتقوى وخدمة الانسانية مؤلفة من افضل رجال (اقل الناس تكلفا وابرهم قلوبا واعمقهم علما) يغامرون بحياتهم وامكانياتهم وما هم فيه من رفاهة وسعة عيش وهناء بال في سبيل سعادة المجموع البشري ، واخراجه من ظلمات العصر القديم الى نور العصر الجديد ، ومن عبادة الناس جميعا الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، يتحملون في سبيله كل غائلة وخسارة وكل تطور وانقلاب ، لايثنيهم عن ذلك عداء او خلاف ، ولا يحملهم على عكس ذلك وداد او صداقة (اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » .

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذي ولدت فيه الامة العربية ولادة جديدة ، بل ولدت فيه لاول مرة وظهرت على مسرح التاريخ اول مرة ، واستحقت ان تسمى « الامة » اول مرة . فقد عاشت قبل ذلك قبائل متشتتة وعصابات متناحرة ، وسيادات متحاربة وشعبا يعيش على حاشية الامم وفي عزلة عن العالم ، لا شأن له في مجاري الامور او مصير الامم ، وسياسة الدول ، ومناهج الحياة ، واخلاق المجتمعات واتجاه الانسانية وميولها ، ولا سهم له في المكتبة العالمية ، غير قصائد قيلت في حوادث محلية واغراض تافهة تجلت فيها عبقريته اللغوية وحريته الفردية وقوته في التعبير وسعة لغته يقولها فتنتشر في باديته وحواضره وتبلغ اوج التقدير والاحترام فتعلق في الكعبة من غير ان يطلع عليها الادباء والمثقفون في خارج الجزيرة العربية او تنقل الى لغة من لغات العالم المتمدن ، ويعرف هذا الشعب بصدق لهجته وقوة عارضته وجودة خيله وشغفه بالحرية والمساواة والبساطة والتقشف في الحياة ، وشدة القتال في الحروب وحسن الثبات والمحافظة على الانساب افضل اخلاق وسجايا ومواهب يعرف بها شعب من شعوب البادية ، فاذا بهذا الشعب المنطوي على نفسه القابع في بطون جزيرته يصبح أمة تقرر مصير الامم وتغير اتجاه العالم ، وتفرض على المجتمع الانساني مدنيتها المقتبسة من الدين الجديد المتشبعة بروح التقوى والامانة وتصبح لغتها المحصورة

في جزيرتها لغة العالم الجديد المقدسة ، يحرص على دراستها واتقانها والتفنن في علومها وآدابها كبار الاذكياء في العالم وتصبح معرفتها والتفقه فيها واجبا من واجبات الدين وشعارا من شعائر المتدينين لايبلغ بغيرها رجل الى ذروة الشرف ولا يقلد منصبا من المناصب في القضاء والفتوى والتعليم .

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذي تجدد فيه الامل في الانسانية ومستقبلها ، وغلب التفاؤل على التشاؤم المؤسس على المآسي والمهازل التي قام بها الانسان في كل بقعة من بقاع البسيطة وفي كل امة من الامم ، والمؤسس على سخافة الانسان في العقل والعقيدة والعمل ، ومحاولته لتدمير المدنية وابادة الانسانية حتى يئس الانسان نفسه من مستقبله وحرم نفسه حق البقاء وجدارة الحياة واستحق العقوبة العاجلة وانقراض الجيل الانساني ، ولكن بطلوع فجر هذا اليوم استحق ان يفسح في اجله ، ويمد في حياته ، ويعتمد عليه ، في بناء المجتمع الجديد ، وفي احياء ما اندرس من الفضائل والمعاني السامية ، وفي اعادة كرامة الانسان الى الانسان ، وفي الاخذ على يد الظالم والانتصار للمظلوم ، وفي الحياة الجديدة التي تليق بشرفه وتتفق مع غاية خلقه ومع اهداف هذا الكون ، وكان هذا اليوم تمديدا لحياة الانسان على هذا الكوكب وفرصة جديدة له في البقاء والازدهار يدين لهذه المنة كل من ولد بعد هذا اليوم ، وكل من عاش في العصر الذي يليه .

كان الجواب من غير نزاع ومن غير تردد : هو اليوم الذي ولد فيه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم .

انه هذا اليوم الذي وجدت فيه الانسانية الايمان الذي فقدته وافلست فيه من مدة طويلة ، الايمان بظاهر هذا الكون ووحدانيته ، والايمان بمصيرها وبالبعث بعد الموت بعد ما يئست من مستقبلها وتهالكت على هذه الحياة وعبادة الشهوات ، والايمان بسلسلة الرسل وهداة السبل ، بعد ما تسلط عليها الدجالون المحترفون الذين يأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والايمان بقيمة الانسان وكرامته بعدما انكرتها وثارت عليها وامتهنتها امام الاحجار والاشجار، والحيوانات والانهار ، والملوك والامراء ، والاغنياء والاقوياء ، فاصبحت تؤمن بان الدنيا خلقت لها وانها خلقت لله ، وان لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى ، كل بني آدم من آدم وآدم من تراب ، واصبحت تؤمن بالحقوق والواجبات ، فلكل حق وعليه واجب ، وليكن رفيقا في المطالبة بحقه مقتصدا في التمتع به ، قويا نشيطا في اداء واجبه «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» والنساء شقائق الرجال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، الى آخر ذلك من التعاليم المتزنة والتوجيهات الحكيمة التي جاء بها محمد (ص) ، وبفضلها وجد المجتمع الرشيد السعيد الفاضل الكامل الذي لايوجد له نظير في التاريخ ، وعلى اساسها يقوم هذا المجتمع في كل عصر ومصر ، وفي كل زمان ومكان .

ولم يكن في هذا اليوم ظهور لهذه المبادىء وتعريف بهذه التعاليم المتزنة والتوجيهات الحكيمة فقد كان ذلك مرارا في فترات مختلفة من الزمان ـ وان لم تكن في هذا الطور الكامل ـ وكانت صيحات ترتفع حينا بعد حين ثم تغيب في دياجير الظلام ويبتلعها المجتمع الفاسد لانه ليس وراءها فرد يجازف لاجل ذلك بحياته واسرته وكل مايتمتع به من شرف ومركز ومتعة ، ولم يكن وراءها جماعة تراهن في سبيل ذلك لكل ما تملكها من حاضر او تؤمل فيه من مستقبل ، ولكن البعثة المحمدية كانت مقرونة ببعثة امة جديدة ، امة تعيش لهذه الدعوة المقدسة وتعيش على هذا الجهاد المقدس « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » امة تهب نفسها لهذه الدعوة وتربط حياتها بحياتها .

ويتزعم هذه الامة الجديدة الخالدة ـ التي نيطت بها هذه الدعوة ـ العرب الذين آمنوا بصاحب هذه الرسالة الجديدة بصدق واخلاص ووضعوا ايديهم في يده وحكموه في نفوسهم واموالهم واملاكهم واخضعوا له رغباتهم وإراداتهم فكانوا اصحابه الاولين وجند الله المنصورين وحملة هذه الدعوة وامناءها ورسلها واصحاب النصيب الاوفر في فقهها ووعيها والاستماتة في سبيلها وتحمل الخسائر والنكبات لاجلها حتى ارتبط مستقبل هذه الدعوة بمستقبلهم ، وبقاؤها ببقائهم حتى استطاع الرسول وساغ له ان يقول في ساحة بدر : (اللهم ان تهلك هذه العصابة لن تعبد) .

ومكن الله لهؤلاء العرب في الارض ، واعزهم بعد الذل ، واغناهم بعد الفقر ، وقواهم بعد الضعف ووحدهم بعد الفرقة واسبغ على لغتهم المحصورة في جزيرتهم القداسة الدينية ، وكتب لها الانتشار في العالم

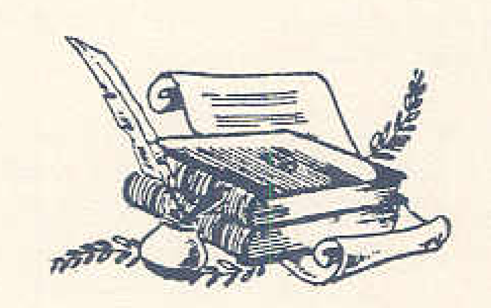
وغرس حبها في القلوب حتى امحت امامها كثير من اللغات وكانت لغة الشرق الاوسط الوحيدة ، ونطق بها بنو آدم من ضفاف دجلة الى جبال الاطلس واصبحت لغة الدين والعلم والتاليف في العالم الاسلامي الجديد الفسيح ، ومنح العرب مركزا سيبقى معهم على رغم الحركات الشعوبية في العالم الاسلامي والقوميات المتطرفة ما داموا متدينين بدين الاسلام مؤمنين بتعاليمه ، عاملين بفرائضه ، عارفين بمحمد (ص) فضله ومنته مصدقين بانه هو الذي نال به الانسان الكرامة ، ونال به العرب الشرف والزعامة .

هذا هو العالم الجديد الذي يعيش فيه الناس ويغتبطون به ويتمتعون فيه بالحرية ، والمساواة وكثير من الحقوق التي كانت مهضومة محجورة في العالم القديم ، وتتقدم فيه المدنية الى الامام ، وهذا هو العالم الذي يعيش فيه العرب متمتعين بمركز جديد، وبحياة جديدة ، وبلاد لاصلة لهم بها الا عن طريق الاسلام وطريق محمد عليه السلام ، ولا عهد لهم بها الا بعد البعثة المحمدية على صاحبها الصلاة والتحية ، ولا نشعر في غالب الاحيان ان مصدر هذا الانقلاب ومصدر هذه السعادة التي نتمتع بها جميعا هو هذا الحادث السعيد الذي حدث في هذا اليوم ، ولادة محمد (ص) ، خاتم الرسل وامام الكل ومنير السبيل .

ان ذلك اليوم ، هو اليوم الذي يحق ان تنشد فيه الانسانية في اعتزاز واهتزاز ، وفي بلاغة وايجاز :

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء

الهند لكنهو : ابو الحسن علي الحسني الندوي





أضواء على آيات قرآنية

للاستاذ حسن بغدادي القادري

- 5 -

البحث الثالث :

قال الله عز وجل : (ويا ءادم اسكن انت وزوجك الجنة ، فكلا من حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) سورة الاعراف ، الاية 19 . وجاء فى سورة البقرة ـ الاية 35 قوله تعالى : (وقلنا يا ءادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) (*) .

سبق لنا ـ فى البحث الاول ـ الكلام على قوله تعالى : (لايمسه الا المطهرون) ، ومن جملة ما ذكرناه : ان الآية الكريمة لاعلاقة لها بالنهي عن مس المصحف الشريف ، وانما النهي وارد فى السنة لا فى الكتاب ، وكان ذلك فى مقالين متتابعين بالعدد الثالث والرابع من هذه المجلة .

وفى البحث الثاني ـ كان الكلام على قوله تعالى : (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) وان ملخص ما قيل : ان « الكتاب » المذكور فى هذه الآية الكريمة يراد به اللوح المحفوظ ـ كتاب الله الذي فى السماء مكنونا محفوظا ـ وذلك لعدة شواهد وادلة من القرآن نفسه تعينه ، وترشد الى آيات اخرى جاءت مفسرة له بأوضح بيان واكمل تفصيل ، لا كما يفهم ارتجالا ويقوله الجمهور تقليدا من ان الكتاب هو القرآن ـ زيادة على ما حققه المحققون وذهب اليه العلماء من ائمة التفسير والحديث والفقه واصول الاحكام .

وكان هذا البحث فى مقالين ايضا نشر بالعددين: (الخامس والسادس) من هذه المجلة ، فليرجع الى ذلك من يشاء ، ونحن عند الانصياع والرجوع الى ما هو الحق ، مذعنين لمن يثبت لنا غير ما ذهبنا اليه بالدليل والبرهان من كتاب الله عز وجل ، او ما صح من حديث رسوله الكريم (ص) ، وقد التمسنا ذلك من اخواننا العلماء المتضلعين من علوم القرآن والحديث ، متشوفين الى زيادة ما عندهم من تحقيق ـ فى الآيات المذكورة ـ تطمئن اليه النفس ، او ملاحظة على موضوع البحثين السالفين بكل ما له او عليه ، متقبلين ذلك بمزيد الترحيب وخالص الشكر ، تنويرا للاذهان ، وخدمة للحقيقة المنشودة التي هي ضالة الجميع .

والى حد الآن لم يرد ما يلفت النظر او يشمز الى موضع الضعف والوهن فيما سلف من البحثين الموضوعين على بساط المناقشة تحت اضواء القرآن المنير وانواره الكاشفة .

لنعد الى البحث الثالث ـ موضوع حديثنا اليوم ـ وهو بحث لايقل خطورة عن سابقيه وفيه من الاشكال ما فيه ، بل تعداه الى صميم العقيدة ولوازم الايمان ، وتعرض له بعض علماء الكلام ممن صنفوا فى العقائد والتوحيد متونا وشروحا وحواشي ، ولم يكتف هؤلاء بالوقوف على سرد الروايات حتى جعلوا ذلك من العقائد الاسلامية التي يفسق منكرها ويرمى بالضلال والاعتزال ، بل حكم عليه من بعضهم بالارتداد

(*) الآيتان واردتان على شيء واحد ، غير ان ماجاء فى احداهما يزيد على الاخرى بكلمة « رغدا » وجملة « وقلنا » وذلك فى سورة البقرة ، ومن سنة القرآن ان يتضمن التكرار للقصص فوائد فى كل منها لاتوجد فى الاخرى ، وجاء فى آية الاعراف « فكلا » بالفاء ، وفى آية البقرة « وكلا » بالواو ، ولكل تعبير فائدة مقصودة ومعنى يراد ، وذلك يطلب من المطولات وليس هذا محل بيانه .

عن الدين كفرا والحادا من غير حجة قاطعة من كتاب الله او ما تواتر من حديث الرسول ، وانما تعصبا لراي المذهب والطائفة ، وتقليدا لقول فلان وحكم علان .

وذلك ان الجنة التي سكنها آدم وزوجه بامر الله لهما بقوله : (ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة) قد اختلف العلماء من اصحاب المذاهب سلفا وخلفا في هذه الجنة ما هي ؟ واين هي ؟ هل هي جنة ارضية ؟ او هي جنة سماوية غير جنة الخلد ؟ ام هي جنة الخلد نفسها التي اعدها الله للمتقين ؟ .

فذهب في تعيينها بالاسم والمكان طائفة وهي تقول وتجزم انها جنة المأوى دار الثواب التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة جزاء بما كانوا يعملون من الصالحات ، وتزعم هذه الطائفة ان هذا قول اهل السنة والجماعة،وما عداه فهو قول اهل الزيغ والابتداع من المعتزلة والقدرية كما يقول ويرجحه بعض المفسرين كالقرطبي في تفسيره الجامع لاحكام القرآن .

وطائفة ثانية تقول : انها جنة من جنان الارض ــ بستان فيها ، محتجين لذلك بعدة وجوه كما ياتي قريبا ، والبعض منهم يعينها بارض عدن ، والبعض يقول : انها على رأس جبل بالمشرق تحت خط الاستواء ، وحملوا الهبوط على الانتقال من بقعة الى بقعة كما في قوله تعالى : (اهبطوا مصرا) ، وقد حكى ذلك كثير من المفسرين منهم صاحب البحر المحيط ابو حيان الاندلسي ، وجمال الدين القاسمي في تفسيره المسمى « محاسن التأويل » .

والطائفة الثالثة تقول : انها جنة سماوية ولكنها غير دار الخلد ، وبعضهم يسميها جنة عدن ، كما جاء في تفسير ابي حيان عند قوله تعالى لابليس بعد امتناعه من السجود لآدم قال تعالى : (اهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين) قال : والضمير منها لم يتقدم له مفسر يعود عليه ، فقيل يعود على الجنة ، وكان ابليس من سكانها ، وقال ابن عباس : كانوا في جنة عدن لا في جنة الخلد ، وخلق آدم من جنة عدن ، نقل هذا عند تفسيره للآية 13 من سورة الاعراف .

هذه الاقوال الثلاثة ، او نظريات مزاعم الطوائف الثلاث في مسالة جنة آدم ، ولكل طائفة وجهة في الاحتجاج والتدليل على ما ذهبت اليه ، وبالاخص الاولى والثانية من الطائفتين المتقابلتين في القول بانها جنة الخلد ، او بستان من بساتين الارض .

وهناك قول رابع يقول : ان الكل ممكن ، والادلة متعارضة ، فوجب التوقف وترك القطع .

اما اصحاب القول المحتكر الذين يزعمون او يزعم بعضهم ــ انه قول اهل السنة بالخصوص ، وانه عقيدتهم وحدهم ، من كون الجنة التي سكنها آدم وزوجه جنة الخلد ــ وان القول بغير ذلك هو قول المعتزلة والقدرية ــ هكذا بغير تحفظ ــ فاقول : ان هذا الزعم ليس بصحيح ، وهو من باب القاء الكلام على عواهنه من غير مبالاة ولا تدبر رجما بالغيب .

وقد راجعنا الاقوال والنصوص في هذه المسالة فوجدنا كلا من اهل السنة والاعتزال في هذا الاختلاف سواء ، وذلك ان جماعة كبيرة ممن يسمونهم بالمعتزلة ليقولون بما يقوله اهل السنة ، بانها جنة سماوية ، ومنهم واصل بن عطاء والرماني والجبائي المشهور ــ وهو من ائمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره ــ وقد قال عن جنة آدم انها كانت جنة الخلد بمثل ما يقول به الجمهور من اهل السنة ، وكذلك جار الله الزمخشري صاحب الكشاف وهو يشير في تفسيره الى انها جنة الخلد لا غير

اما اهل السنة فان كثيرا منهم ليقولون انها جنة ارضية مثل ما تقوله طائفة من المعتزلة وغيرهم .

نذكر هذا هنا ليعلم ان المسالة ليست مسالة سنة او اعتزال كما يلمز المتعصبون من اهل المذاهب غيرهم تنفيرا وتخويفا لاصحابهم وابعادا لهم من ان ينظروا ، واحرى ان يتفكروا في غير ما هم عليه تعصبا للمذهب بحق او باطل .

جاء في كتاب « حادي الارواح الى بلاد الافراح » للامام شمس الدين ابن القيم قال : قال منذر بن سعيد (*) والقول بانها جنة ارضية ليست بجنة الخلد

(*) لعله منذر بن سعيد البلوطي قاضي قضاة قرطبة بالاندلس اذ لايوجد منذر بن سعيد آخر بين مشاهير العلماء المحققين .

قول ابي حنيفة واصحابه . قال : وقد رايت اقواما نهضوا لمخالفتنا فى جنة آدم عليه السلام بتصويب مذهبهم من غير حجة الا الدعاوي والاماني ، ما اتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا اثر عن صاحب ولا تابع ، ولا موصولا ولا شاذا مشهورا ، وقد وجدنا ان فقيه العراق ــ يعني ابا حنيفة ــ ومن قال بقوله ، قالوا : ان جنة آدم ليست جنة الخلد ، وهذه الدواوين مشحونة من علومهم ليس عند احد من الشاذين ، بل بين رؤساء المخالفين ، وانما قلت هذا ليعلم اني لا انصر مذهب ابي حنيفة ، وانما انصر ما قام لي عليه الدليل من القرآن والسنة . هذا ابن زيد المالكي يقول فى تفسيره : سالت ابن نافع عن الجنة : امخلوقة هي ؟ فقال : السكوت عن الكلام فى هذا افضل . هذا ابن عيينة يقول فى قوله عز وجل : (ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى) قال يعني فى الارض ، وابن نافع امام ، وابن عيينة امام ، وهم لاياتوننا بمثلهما ولا من يضاد قوله قولهما ، وهذا ابن قتيبة ذكر فى كتاب المعارف بعد ذكره خلق الله لآدم وزوجه ، قال : ثم تركهما ، وقال : اثمروا واكثروا واملؤوا الارض وتسلطوا على الوان البحور وطير السماء والانعام وعشب الارض وشجرها وثمرها ، فاخبر ان فى الارض خلقه وفيها امره ، ثم قال : ونصب الفردوس فانقسم على اربعة انهار : سيحون وجيحون ودجلة والفرات (✻) الى آخره ، نقل هذا من كتاب حادي الارواح لابن القيم هكــــذا .

اقول : وهذا الامام ابو منصور الماتريدي ــ وهو من ائمة علماء الكلام وقرين الامام الاشعري فى علم التوحيد ــ قد تبع الامام ابا حنيفة فيما قال به ، واستمع اليه وهو يقول فى تفسيره المسمى بالتاويلات:

نعتقد ان هذه الجنة بستان من البساتين او غيضة من الغياض كان آدم وزوجه منعمين فيها ، وليس علينا تعيينها ولا البحث عن مكانها ، وهذا هو مذهب السلف ، ولا دليل لمن خاض فى تعيين مكانها من اهل السنة وغيرهم . اهـ كلام ابي منصور الماتريدي .

وقال ابو القاسم البلخي وابو مسلم الاصبهاني: كانت ــ اي جنة آدم ــ فى الارض ، قيل بارض عدن ، والهبوط الانتقال من بقعة الى بقعة كما فى قوله تعالى: (اهبطوا مصرا) :

1) لانها لو كانت دار الخلد لما لحق آدم الغرور من ابليس بقوله : (هل ادلك على شجرة الخلد) .

2) ولان من دخل الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى : (وما هم منها بمخرجين) .

3) ولان ابليس ملعون فلا يصل الى جنة الخلد (✻) .

4) ولان دار الثواب لا يفنى نعيمها لقوله تعالى: (اكلها دائم) .

5) ولانه لا يجوز فى حكمته ــ تعالى ــ ان يبتدىء الخلق فى جنة يخلدهم .

6) ولانه لا نزاع فى انه تعالى خلق آدم فى الارض ولم يذكر فى هذه القصة فى جميع ما حكاه الله عن آدم انه نقله الى السماء ، ولو كان نقله الى السماء لكان اولى بالذكر لانه من اعظم النعم واكبر الحوادث فى تاريخ آدم عليه السلام ــ اهـ من تفسير البحر المحيط لابي حيان بتصرف .

✻) سيحون وجيحون ودجلة والفرات (كذا) اقول: لعل الخطأ مطبعي او من الناسخ فى الاصل اذ الصواب: سيحان وجيحان والفرات والنيل . لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ص) قال : سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة . اخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها. قال النووي : اعلم ان سيحان وجيحان المذكوران فى هذا الحديث اللذان من انهار الجنة فى بلاد الارمن فجيحان نهر المصيصة ، وسيحان نهر اذنة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان فهذا هو الصواب فى موضعهما الخ ... (النووي) .

وجاء فى « لسان العرب » : سيحان وجيحان وهما نهران بالعواصم عند ارض المصيصة وطرسوس، وفيه ايضا: سيحان المذكور فى الحديث نهر بالشام ، وجيحون نهر بالهند . وفى معجم البلدان طرسوس : مدينة بثغور الشام من انطاكية وحلب وبلاد الروم قريبة من المصيصة المذكورة من بلاد الارمن .

✻) اقول : وقد سبق لابليس ان هبط منها بعد امتناعه من السجود لآدم وقد خرج منها مذءوما مدحورا كما جاء فى سورة الاعراف وغيرها ، فكيف يجوز له ان يعود اليها مرة اخرى ؟

هذه ست من الحجج الدامغة بقوة الاستدلال على صحة القول بان الجنة التي سكنها آدم وزوجه كانت في الارض لا في السماء ولا هي جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة .

ونضيف الى ذلك ما ذكره ابن القيم في كتابه حادي الارواح من وجوه الاحتجاج ، قال رحمه الله تعالى في سياق حجج الطائفة التي قالت ليست جنة الخلد وانما هي جنة في الارض :

قالوا : هذا قول تكثر الدلائل الموجبة للقول به فنذكر بعضها :

7) قالوا : قد اخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله ان جنة الخلد انما يكون الدخول اليها يوم القيامة ، ولم يات زمن دخولها بعد ، وقد وصفها الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه بصفاتها ، ومحال ان يصف الله سبحانه وتعالى شيئا بصفة ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التي وصفه بها .

8) وصف الله الجنة التي اعدت للمتقين بانها دار المقامة فمن دخلها اقام بها ، ولم يقم آدم بالجنة التي دخلها .

9) ووصفها بانها جنة الخلد ، وآدم لم يخلد فيها .

10) ووصفها بانها دار ثواب وجزاء لادار تكليف وامر ونهي ، وقد ابتلى آدم فيها باعظم الابتلاء .

11) ووصفها بانها دار لا يعصى الله فيها ابدا ، وقد عصى آدم ربه في جنته التي دخلها .

12) ووصفها بانها ليست دار خوف ولا حزن، وقد حصل للابوين فيها من الخوف والحزن ما حصل .

13) وسماها الله دار السلام ولم يسلم فيها الابوان من الفتنة .

14) وقال تعالى في وصف جنة الخلد (لا يمسهم فيها نصب) وقد ند فيها آدم هاربا فارا ، وطفق وزوجه ـ يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وهذا هو النصب بعينه .

15) واخبر الله انه لا لغو فيها ولا تاثيم وقد سمع فيها آدم لغو ابليس واثمه .

16) واخبر انه لا ـ يسمع فيها لغو ولا كذاب ، وقد سمع فيها آدم كذب ابليس .

17) وقد سماها الله مقعد صدق ، وقد كذب فيها ابليس وحلف على كذبه .

18) وقد قال تعالى للملائكة : (اني جاعل في الارض خليفة) ولم يقل اني جاعل في جنة الماوى ، فقالت الملائكة : (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ومحال ان يكون هذا في جنة الماوى .

19) وقد اخبر الله تعالى عن ابليس انه قال لآدم : (هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فان كان الله سبحانه قد اسكن آدم جنة الخلد والملك الذي لا يبلى : فكيف لم يرد عليه آدم ويقول له : كيف تدلني على شيء انا فيه وقد اعطيته ، ولم يكن الله قد اخبر آدم اذ اسكنه الجنة انه فيها من الخالدين ، ولو علم انها دار الخلد لما ركن الى قول ابليس ولا مال الى نصيحته ، ولكنه لما كان في غير دار خلود غره بما اطعمه من الخلد .

20) ولو كان آدم اسكن جنة الخلد ـ كما يقولون ـ وهي دار القدس التي لا يسكنها الا طاهر مقدس ، فكيف توصل اليها ابليس الرجس النجس المذءوم المدحور حتى فتن فيها آدم عليه السلام ووسوس له ، وهذه الوسوسة اما ان تكون في قلبه واما ان تكون في اذنه ، وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين ـ وهو من الكافرين ـ الى دخول دار المتقين .

يتبع

الرباط : حسن بغدادي القادري



للأستاذ : محمد زنيبر

عصرنا ولا شك هو عصر ارادة القوة ، وقد اخذت هاته الكلمة التي اشهرها الفيلسوف «نيتشه» معناها الكامل فى هذا الزمان الذي تكاثر فيه عدد البشر ، واشتد تزاحمهم وتسابقهم ، وتشعبت العلاقات فيما بينهم ، وعظمت اطماعهم واتسعت آفاقهم .

نعم ، فى عصر نيتشه ، اي منذ اقل من تمانين سنة ، كانت الانسانية الواعية تنحصر فى العالم الاوربي ، بينما القارات الاخرى تكاد تعيش على هامش التاريخ وكأنها قطع من كواكب اخرى تنظر الى ما يجري فى الارض بدون اكتراث ولا اهتمام . وكان ابناء اروبا يقارنون بين طبعهم المتصف بالحيوية والنشاط والحركة والطموح ، وطبع شعوب العالم الاخرى المتسم بالجمود والتواكل والكسل ، فيداخلهم العجب ويقر فى اذهانهم انهم النخبة الارستوقراطية وسط الانسانية ، والذي عزز هذا الشعور فى نفوسهم وقوى يقينهم به انهم كانوا يسيطرون على العالم بأسره ويتصرفون تصرف المالك فى معظم اجزائه .

ولذلك ، فان الاروبيين ما كانوا ليحسبوا اي حساب لشعوب القارات الاخرى وما كانوا ليلقوا اليها بالا لانهم واثقون من تأخرها ومن تفوقهم ، فالتنافس او ما يسميه « داروين » (تنازع البقاء) لم يكن له فى نظرهم اي معنى معها ، لان التنافس يكون بين الاكفاء ، وبالفعل ، فقد كان التنافس محصورا بين شعوب اروبا وفى بقعتهم الضيقة الصغيرة ، كانت

هنالك عدة دول تحمل طموحا لانهاية له وتريد ان تتبوا المقام الاول وان تكون كلمتها هي العليا وان تتدرج فى سلم الرقي والقوة الحربية والاقتصادية حتى تصبح هي المحركة لدفة هذه الكرة الارضية بما فيها من قبائل وشعوب وقارات وبحار .

ولكن تلك الدول التي كانت تداعبها هذه الاحلام، كانت متجاورة مع بعضها ، وكان من نتائج هذا التجاور ان اصبحت فى صراع دائم وحروب كثيرة فيما بينها وسعيا وراء توسيع رقعتها وتمكين سيطرتها وانماء املاكها وثرواتها . وكل واحدة تجد الاخرى عرقلة امامها فى سبيل تحقيق مطامحها والصعود الى أوج عظمتها ، وبعد معارك حربية وازمات سياسية وديبلوماسية وثورات مختلفة ، اتجهت كل دولة فى وجهتها ، فمنها من انغمرت فى ميدان الاستعمار وتوغلت فيه اشواطا مثل انجلترا وفرنسا وهولاندا ، ومنها من اتجهت الى شؤونها الداخلية ، فحصرت نشاطها فى انماء ثروتها الاقتصادية والتقدم العلمي والعناية بالفنون الحربية مثل المانيا ، ومنها من ظلت وسطا بين الاثنين مثل ايطاليا وبلجيكا .

واذن ، يمكننا ان نصف هذا العهد الذي امتد الى نهاية حرب 1914 — 1918 بانه عهد سيطرة اروبا، لانها لم يكن لها منافس يذكر خارج حدودها ولان الصراع على السؤدد كان يجري داخلها وبين دولها ، اما بالنسبة لبقية العالم فقد كانت تعيش فى هناء واطمئنان .

اوروبا ويقظة الشعوب النامية :

اما اليوم ، فقد ضاع من اوروبا ذلك الامتياز ، واصبحت جزءا صغيرا من عالم كله حياة ونشاط وطموح ، عالم استيقظ من سباته وكله ظما الى المعرفة والتقدم ، عالم استعاد كل مؤهلاته للحياة ، لقد كانت اوروبا من قبل تستطيع ان تستأثر لنفسها باسرار وحيل ووسائل كانت هي قوام قوتها وسيطرتها ، ولكن تلك الاسرار والحيل والوسائل اصبحت اليوم في متناول الجميع ، فالعلم لم يعد علم اوروبا وحدها ، والتقنيات والفنون والصناعات على اختلاف انواعها لم تعد سرا من اسرارها تدل به وتضن على ابناء البشر .

لقد تعلم ابناء القارات الاخرى ، وتدربوا واكتسبوا تكوينا يتلاءم وحاجيات العصر « وتساوت الاكتاف » كما نقول في تعبيرنا المغربي ، ولم يبق هناك لاوروبا من فضل الا فضل المعلم بعد ان يصبح تلميذه في مستواه .

ولم تكن هذه اليقظة ، يقظة الشعوب الفتية ، بالحادث الذي ترتاح له اوروبا وتحبذه وتصفق له ، بل عملت كل ما في المستطاع لتؤخر وقوعه ولجأت الى كل الحيل والوسائل ، ولما لم ينفعها شيء من ذلك ورات الخطر يحدق من كل جانب بنفوذها وسيطرتها اماطت اللثام عن وجهها وراحت تقاوم التيارات الجديدة التي نبعت في مختلف انحاء العالم فتقابلها باللين والمداراة تارة وبالعنف والقوة اخرى ، فكانت تلك السلسلة الطويلة من الازمات والحروب الاستعمارية التي امتدت على عشرات السنين .

ولم تستطع اوروبا ان تقاوم طويلا ارادة الشعوب الثائرة ، واصبحت تتضايق من هذه الازمات الطويلة المستعصية وهذه الثورات المتاججة في كل مكان وغدت تنفق من كيسها اكثر مما ترد اليه ، فانسحبت من الميدان شيئا فشيئا وسلمت بالامر المحتوم . ولم تجد لنفسها في النهاية بدا من التخلي عن جبروتها وكبريائها ومعاملة امم القارات الاخرى معاملة الانداد .

والحق ان اوروبا المستعمرة كانت تعيش في وضع شاذ وفي موقف ضعف بسبب المتناقضات التي تشوب حضارتها وايضا بسبب غلبة جانب الشهوة لديها على جانب العقل .

فالحضارة الاوروبية ، ان تركنا جانبا مجسماتها المادية ، استطاعت ان تتوصل في الميدان الفكري والاخلاقي ، الى ابراز بعض المثل والمبادىء والافكار التي دخلت في المفاهيم الجماعية واصطبغت بها عقلية الاوروبيين نوعا ما .

ولنا في وثيقة حقوق الانسان مثال واضح ، فهذه الوثيقة ، وان كانت لها جذور عريقة في الديانات السماوية ، يمكن ان نعتبرها من مكاسب الحضارة الاوروبية التي استطاعت والحق يقال ان توجد لها الاساليب السلمية لتطبيقها وتشخيصها في الواقع اليومي .

لكن اوروبا لم تستطع ان تكون منطقية مع نفسها فتؤدي رسالتها الانسانية الى النهاية ، وهكذا ، فقد دفعتها انانيتها وعجرفتها الى حصر العمل بوثيقة حقوق الانسان في نطاق حدودها ، اما خارج تلك الحدود ، فقد اباحت لنفسها التصرف حسب شهوتها ومصالحها .

وهذا الموقف الاناني المتناقض جعلها تعيش دائما بضمير قلق مضطرب وتفقد القوة المعنوية التي يحملها كل من يدافع عن قضية عادلة . ثم انها حينما نقلت اساليبها الحضارية وانظمتها ومنشآتها العمرانية الى القارات الاخرى اوجدت ظروفا اقتصادية وسياسية واجتماعية كان من المحتوم ان تدفع التاريخ الى الامام وتنقلب عليها في النهاية .

وبالجملة ، فالحضارة الاوروبية عندما ننظر الى اسسها العقلية والفكرية ، نجد انها تنحو الى تحرير الانسان وانقاذه من الجبرية الطبيعية والبشرية ، ولكن عندما ننظر الى الصور التي تجسمها في الواقع والى الوجهة التي اقحمها فيها ابناؤها ، نصادف متناقضات وانحرافات ادت الى فشلها المعنوي .

ولا ادل على هذا الفشل من كون اوروبا ، بالرغم من استاذيتها وتفوقها الحضاري ، لم تستطع ان تحتفظ لنفسها في قلوب ابناء القارات الاخرى بقدر من العطف الحقيقي الخالص الذي لاتشوبه شائبة ، فالكل ياخذ عنها ويتعلم منها ، ولكن الكل يستنكف من انانيتها وجبروتها وخداعها وينظر اليها في حيطة وحذر .

وثبة الشعوب النامية تثير المخاوف :

لقد انتهى اليوم عهد السيطرة الاوروبية في العالم، فالقارات الاخرى تحررت كلها تقريبا ، وبدأت شعوبها تنظم نفسها وتتهيأ لتاخذ مركزها الطبيعي بين مختلف الامم ، واخذت اوروبا تشعر بضآلة حجمها ومحدودية امكانياتها بالنسبة لتلك القارات .

ومن شأن هذا الوضع ان يثير في نفسها تخوفات بالنسبة للمستقبل ، فهي ان كانت في الظروف الراهنة تتمتع بتفوق حقيقي في ميادين الانتاج وتتوفر على رصيد ضخم من المؤسسات والمنشآت والعلم والاساليب التقنية ، فلا بد ان ياتي يوم تصبح فيه الشعوب الفتية المتسابقة نحو المدنية والتقدم وقد ادركت شأوها وباتت تنافسها في مضمار العلم والحضارة والانتاج ، ولنا خير شاهد في مثال اميركا التي كانت تقتفي اثر اوروبا بالامس وتاخذ عنها ، فاصبحت اليوم تبزها في كل شيء ، ثم ها نحن الآن نرى الاتحاد السوفياتي والصين واليابان تزاحم اوروبا في سائر ميادين الانتاج .

ولن يفوت زمان طويل حتى نرى امم آسيا وافريقيا تتسابق في خطى مسرعة لتتبوأ مثل هذه الدرجة ، لقد اصبحت كل الشعوب واعية بوسائل تقدمها واصبحت المناهج والاساليب العملية لادراك هذه الغاية ملكا مشاعا بين الجميع ، ولم يعد هنالك اي سر مخبوء او اي عملية سحرية لايعرفها الا بعض المحظوظين ، فالمسألة انما هي مسألة زمان ، والشعب الذي يفهم كيف يقتصد في الوقت هو الذي سيشق طريقه الاول في هذه الوجهة .

امام هذا الخطر الذي يهدد مستقبلها ، بدأت اوروبا تقوم بنقدها الذاتي في خاصية نفسها وتستقري مواطن ضعفها وتتهيأ من الآن لمجابهة الاحداث المقبلة بخيرها وشرها ، ولقد رأت ان سبب ضعفها يكمن قبل كل شيء في انقسامها الى عدة دول تتنافس فيما بينها وتكيد لبعضها ، فقر عزمها على ان تضع حدا لذلك الانقسام وان ترفع القواعد لبناء وحدتها حتى تكون كتلة متماسكة ومستقلة سياسيا واقتصاديا لها تاثير قوي في المسرح الدولي .

اوروبا بين امريكا والاتحاد السوفياتي :

والحق ان تحرر الدول المتخلفة وانطلاقتها لم تكن هي الباعث الوحيد لاوروبا على السير في هذا الاتجاه ، فهنالك ، من جهة ثانية ، النفوذ القوي الذي تتمتع به في العالم كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، ذلك النفوذ الذي تقلص امامه ظل اوروبا واصبحت تابعة بعد ان كانت متبوعة .

فابناء هذا الجيل لايزالون يذكرون كيف ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لم يظهروا على المسرح العالمي كدولتين متفوقتين الا بعد الحرب العالمية الثانية ، وكانت اوروبا قبل ذلك هي الحائزة لقصب السبق والقابضة على زمام السياسة الدولية ، الا ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي كان في يدهما امكانيات عظيمة لتوسيع قوتهما الاقتصادية ، فكل منهما قطر واسع الارجاء يعدل باوروبا مساحة ، وكل منهما يتوفر على موارد كبيرة من الطاقة ، سواء منها ما تولد عن الفحم او عن الغاز او عن الكهرباء او عن البترول او عن غيرها ، والطاقة كما لا يخفى هي اساس الصناعة والتقدم الاقتصادي .

وسرعان ما تفوق هذان القطران على اوروبا في سائر الميادين ، مما جعل مركز القوة والقيادة ينتقل شيئا فشيئا من اوروبا الى هاتين الدولتين اللتين اصبحتا تتنازعان الزعامة على العالم .

ونزلت الدول الاوروبية ، رغم مكاسبها الحضارية الى الدرجة الثانية ، وقد كان نزولها اضطراريا اذ لم يكن لها حيلة في ايقاف التقدم السوفياتي والامريكي ، وقد جاءت ظروف الحرب العالمية الثانية فانهكتها واستنفدت منها الجهد والقوى وآلت بها في النهاية الى حالة من الانهيار والبؤس ، ولم يكن لها بد آنذاك من الاستنجاد بالولايات المتحدة وطلب معونتها ، وكان من نتائج الدين المادي والمعنوي الذي طوقت بهما عنقها ان اصبحت تسير نوعا ما في ركاب السياسة الاميريكية .

والواقع ان انقياد اوروبا لاميريكا لم يكن الا مجاملة موقتة يزول بزوال الاحتياج والاضطرار وبالفعل ، فما ان تنفست الدول الاوروبية الصعداء وبدأت تسترجع قوتها الاقتصادية حتى اصبح بعض القادة الاوروبيين اليوم لايخفون رغبتهم في الاستقلال عن امريكا وتكوين كتلة ثالثة تكون فيها الزعامة لاوروبا.

يمكننا ان نقول ، اذن ، ان فكرة انشاء وحـــدة اروبية هي موجهة في آن واحد ضد الشعوب المتخلفة وضد الكتلة الشرقية وضد النفوذ الامريكـي .

الضغـط الاقتصـادي :

فاذا نظرنا الى الدول المتخلفـة ، نجد ان انشاء وحدة اروبية ستضع في يد اروبا سلاحا قويا تضغط بـه على تلك الدول ، ومن المعلـوم ان نقطـة الضعف لدى الدول المتخلفة هي الاقتصاد ، فهـي في حـالـة تخلفها الراهن لازالت تستفيد من بيع موادها الخـام الى اروبا ، ولكن يظهر ان هذه الباب التي كانت مفتوحة الى حد الساعة ستغلـق نتيجـة لانشاء الوحـــدة الاروبيـــة .

فالسوق الاروبية المشتركـة التـي كثـر عنهـا الحديث في هذه الايـام ستضـع تحت تصرف الدول الاروبية كل ما هي في حاجـة اليه من المـواد ، سواء أكانت غذائية ام معدنية أم صناعية الـخ .. ذلك ان هذه السوق بنيت على اساس التكامل الاقتصادي بين الدول الاروبية بحيث ستكون مغلقة في وجه الـدول الاجنبية عن اروبا ، وتدبير كهذا من شأنه ان يسبب ازمة خانقة للشعوب المتخلفة التي كانت معظم معاملاتها تجـري مـع اروبـا .

ومهما يكن ، فستجد اروبا في يدها وسيلة قوية تحاول بواسطتها الضغط على تلك الشعوب وتركيـز نفوذها لديها ولو بصورة خفية ، وهنا ستاخذ الوحدة شكل المؤامرة ضد الدول المتخلفة ، حيث ستجد هذه الدول نفسـها امام سياسـة اروبية موحدة مدروسـة ومتفق عليهـــا .

ولكن الشعوب المتخلفة ان وجـدت نفسهـا في مازق باديء ذي بدء ، وان تعثرت في الطريق واضطربت فلا بد ان تتغلب على الصعاب من جهتها وتوحـــد صفوفها لتواجه عواقب هذه السياسة وتنظم نفسهـا في شكل وحدة او وحدات تضمن التبادل والتعـاون فيما بينها وتهيئها للاستغناء عن اروبـا . وتلك هـي الفكرة التي تروج اليوم في مختلف المؤتمرات والندوات الافريقية والاسيوية ، وهي ان كانت لاتزال في طـور المشاورات والمباحثات ، فلا بد ان تشق طريقها وتخرج الى حيز الواقع ، اذا مضت اروبا في تطبيق سياستهـا الانانيـــة .

استـرجـــاع القـــوة :

كما ان الوحدة الاروبية تخلق جوا من الصراع يختلف شدة ولينا وظهورا وخفاء ، بين اروبا والمعسكر الشرقي وبين اروبا والولايات المتحدة الاميريكية .

فظهور الاتحاد السوفياتي على المسرح كقـــوة عسكرية واقتصادية ضخمة وكدولـة لها اشعـــاع ايديولوجي بدا منذ زمان يثير مخـاوف الاروبييـن ، ودفعهم الى التفكير في الوحدة .

فالوحدة صورة تجسم رد الفعل عند الاروبيين امـام الخـوف الـذي يساورهم من جهـة الاتحـاد السوفياتي ، ولذلك ، فان الاتحاد السوفياتـي من جانبه لا ينظر بعين الارتيـاح الـى مشاريـع الوحدة الاروبية ، فهو يفضل ان تبقى اروبا في وضعها الحالي منقسـمة الى عدة دول حتى يزول عنه كـل تهديـد ويبقى له مجال للعمل الديبلوماسي .

والحقيقة ان اروبا ان هي استطاعت ان تتوحـد فستكون قوة ضخمة هائلة لا مـن حيث عـدد البشر الذي ينتمي اليهـا ، ولا من حيث الموارد الطبيعية ولا من حيث التقـدم العلمـي والتقنـي ، ولا مـن حيث الامكانيات المفتوحة امامها ، وطبيعي ان يبدي الاتحاد السوفياتي بعض المخاوف امام وجود قوة من هـــذا الحجـم بجـــواره .

اما الولايات المتحدة ، فهي تشعر بأن الوحــــدة الاروبية تهدد زعامتها على الكتلة الغربية وتنزل بهـا من مقام القيادة والتسيير الى مقـام الحليـف الكفؤ الذي يناقش ويحاسب في كل موقف وتدبير ، لقـــد قبلت الدول الاروبية الى حد الساعة دون مناقشـة هيمنة الولايات المتحدة على السياسة العامة في المعسكر الغربي ، لانها ، وهي عزلاء من السلاح الذري شاعـرة بضعفها ازاء جارتها الاتحاد السوفياتي كانت في حاجة الى مساعدة امريكا وحمايتها .

اما الآن وقد اصبحت هذه الدول تفكر في وحدتها فقد تغيرت امامها الظروف واضحت اكثر وثوقا من نفسها ومن قوتها ، ولم تبق للمساعدة الامريكية التي كانت تنظر اليها منذ قبل بلهفة وطمع صبغة الضرورة الملحة ، وهذا ما يفسر لنا تلك المواقف والتصريحات التي صدرت في الشهور الاخيرة عن بعض رؤساء الدول في اوربا الغربية والتي يظهر فيها نوع من الاستقلال في وجهة النظر بالنسبة للخطة الامريكية .

التنافس على المساعدة :

والحقيقة ان الدول الاروبية بعد ما عالجت نفسها من ادواء الحرب واعادت بناء مدنها ومعاملها ودخلت في عهد من الازدهار الاقتصادي تريد الآن ان تستقل برايها وتسترجع مكانتها القديمة .

فالوحدة الاروبية هي اذن فكرة تترجم قبل كل شيء عن ارادة القوة التي تحملها اوربا الهرمة والتي تكلمنا عنها في اول المقال ، فهي محاولة كتلة من الدول شاخت في حضارتها وتريد ان تجدد شبابها وتغالب الظروف والعراقيل وتظهر من جديد على المسرح وهي ذات القدح المعلى .

هذه القوة التي تجسمها فكرة الوحدة الاروبية تثير ، من جهة اخرى ، هواجس الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة معا لانها تهدد نفوذهما المعنوي والاقتصادي في العالم ، وخاصة لدى الدول المتخلفة ، ولا غرو ، فقد استطاع كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ان يبنيا سمعتهما العالمية على بذل المساعدات المالية والتقنية بسخاء وكانا ولا يزالان يتنافسان في هذا المضمار .

وقد ادركت دول الوحدة الاروبية ان موقفها السلبي في ميدان المساعدة للدول النامية سيضر بمركزها العالمي ، فبدات هي ايضا تدلي بدلوها في هذا المضمار ، وما الاجتماع الذي انعقد اخيرا بمدينة بروكسيل بين مسؤولين اروبيين وافارقة لتنظيم الجامعة الاقتصادية الاروبية الافريقية الا دليل على حرص اروبا الشديد على تبوا مركز ممتاز لدى الدول المتخلفة وعزمها على منافسة الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي حتى يبقى نفوذهما محدودا .

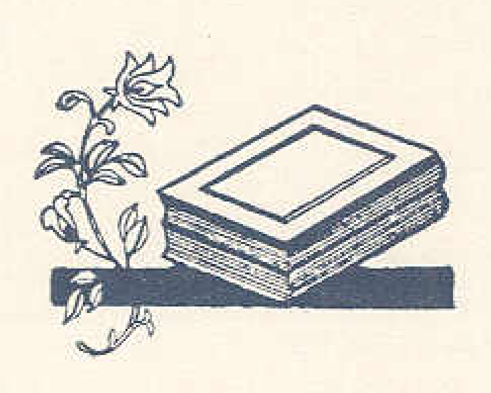
الصراع المقبل :

وهكذا ، فالصراع الجديد الذي سيقدم عليه العالم في المستقبل القريب سيتناول كتلا بشرية ضخمة تضم سائر ابناء المعمور ، ومما سيزيد في حدة هذا الصراع وطوله التكافؤ الموجود او الذي سيوجد قريبا بين سائر الشعوب من حيث التكوين العقلي والثقافي والالمام بمقومات الحضارة الصناعية ، اذ كلما تكافات الاسلحة امتدت المعركة وابتعدت نهايتها .

وفي مرحلة اولى ، سيقوم الصراع خاصة بين الكتل المتقدمة ، في حين ان الدول المتخلفة ستحاول معالجة تخلفها بشتى الوسائل ، ولكن لن تلبث هذه الاخيرة ايضا ان تجد طريقها وتخرج من وضع التخلف لتبرز الى ميدان النزال .

وحينذاك سياخذ التسابق نحو الرقي والتقدم ـ وهذا هو المامول ـ شكلا رياضيا ، اذ ستجعل كل مجموعة من العلم والعقل رائدها وسيكون في ذلك امتحان لذكاء الجميع .

سلا : محمد زنيبر



أصل الصراع بين الكنيسة والدولة في كوبا

بقلم: كلود جوليان

في يناير 1959 وجه الاب « لورانت » مرشد العمل الكاثوليكي الجامعي ، تحية لتقدير انتصار فيدل كاسترو ، قال فيها :

« ان تاريخا جديدا يصنع فى كوبا ، وهو تاريخ تتفوق فيه الروح المسيحية على المادية الوثنية » . لقد بدات الكنيسة تتنفس بطلاقة فى بحبوحة التحرر ، اما فى عهد الدكتاتورية والجرائم الفظيعة ، فان هيئة الاساقفة الكوبيين لم تتخذ موقفا واضحا ، بل ظلت تساير نظام « باتيستا » وتلازم الصمت ، باستثناء بعض التصريحات التي اعلنتها فى مناسبات قليلة ، دون ان يكون لها صدى بعيد . لكنها الان بعد هذا التغير ـ اخذت تشعر بانفساح مجال العمل امامها ، وتيقنت من ان الثورة الحقيقية تواصل حركتها ، ومن ثم فان الكنيسة ستلحقها ـ حتما ـ مظاهر التغير .

وقد جاءت شرارة الخلاف الاولى من مدينة بوسطن » حيث اعلن الاسقف « كيسينج » تحت تاثير التيار المنتشر فى الولايات المتحدة ، ان الثورة الكوبية استولت على ممتلكات الكنيسة . واثر هذا التصريح اضطرت هيئة الاساقفة الكوبيين الى اصدار توضيح يؤكد ان الكنيسة لم تمس فى اي ربع تابع لها ويضيف نفس التوضيح ان الكنيسة الكاثوليكية بكوبا فقيرة لا تملك ما يمكن ان يطبق عليه من اجراءات قوانين الثورة . والحقيقة ان الكنيسة تملك مجالا واحدا هو : مقبرة هافانا الكبرى .. وقد اخذت حكومة كاسترو على الكنيسة انحرافها الى المتاجرة بالقبور ، الا ان هذه الشكاية لم تسجل الا فيما بعد عند ما توترت العلاقات بين الكنيسة والحكومة الكوبية ...

وبعد مرور شهر على سقوط النظام الديكتاتوري وجدت صعوبة ثانية تسببت فى نشوئها بعض الاوساط الكاثوليكية الامريكية التي لم تتمهل فى ابداء غضبها لاعدام القتلة والجلادين فى عهد النظام البائد ...

وقد وجه ثلاثة اساقفة دعوة الى العفو ـ وهو امر لا غبار عليه ـ مستندين الى ان اولئك المحكوم عليهم بالموت هم مجرمون ذوو مكانة اجتماعية مرموقة ...

وفى نفس الشهر عرض رئيس اساقفة« سانتياكو» الخطوط الاساسية التي يجب ان تسير عليها الثورة ، فتمنى قيام : « جمهورية ديمقراطية مستنيرة يمكنها ـ « دون تسوية طوبوية » ان تضمن احترام « كرامة» كل فرد ، واضاف : « بان لا احد يعوزه خبزه اليومي» وان لا احد يستعصي عليه ايجاد عمل لكفاءته ، وبأن الجميع يتوفرون على حظوظ متساوية فى تلقي تربية انسانية » ...

ومنذ ذلك ، غيمت بعض الالتباسات ، اذ ما معنى نظام ديمقراطي فى بلاد قدر لها ان تتحرر من نصف قرن عاشته فى الفساد والديكتاتورية ؟ وما معنى « الديمقراطية » فى قطر 50 ٪ من سكانه اميون ؟

وقد داب اعداء الثورة فيما بعد على اتهام نظام فيدل كاسترو بلا ديمقراطية لانه لم ينظم الانتخابات. وحسب معرفتنا ، فان الانتخابات المزورة التي اجريت فى العهد البائد لم تدفع بالكنيسة الى الاحتجاج وهي التي يتحتم عليها ان تغضب لمثل هذا الخرق الواضح

للاخلاق المدنية ،كما ان الانقلاب الذي قام به «باتيستا» سنة 1952 قبيل اجراء الانتخابات المذكورة ، لم يثر اي اعتراض من طرف هيئة الاساقفة ...

وخلال سنة 1959 كان واضحا ان الحكومة تتحاشى حدوث اية صعوبة بينها وبين الكنيسة .. ففديل كاسترو كان تلميذا سابقا عند الجزويت ، وحصل بفضل تدخل رئيس اساقفة سانتياكو على العفو بعد الهجوم الذي قام به فى 1953 ضد ثكنة مونكادا . واذا كان كاسترو لا يمارس الشعائر ، فانه متأثر بسمات الروح المسيحية التي تجعله يدين — فى نفس الوقت — كلا من الرأسمالية والشيوعية . يضاف الى ذلك انه كان مقتنعا بان الكاثوليكيين — على قلتهم — سيسارعون الى مساعدته مثلما سبق لعدد غير قليل من المناضلين الكاثوليكيين ان التحقوا به فى الاحراش وخاضوا معه معركة التحرير ...

اما من جانب الكنيسة ، فانه بالرغم من جنوحها الى التصالح ، الا انه يلاحظ فى شهر مارس صدور بلاغ يعبر عن القلق ازاء بعض « الالتباسات » الموجودة فى مشروع قانون مدرسي كان ساعتئذ تحت الدرس، وعند ما صدر هذا القانون نص على حذف حصص التعليم الديني من المدارس العامة طبقا لمبدا فصل الكنيسة عن الدولة . وبعد ذلك اعلنت هيئة الاساقفة انه لا يوجد سبب لنزع الثقة من فيديل كاسترو ، وقد اضطلع مرشدون من الكنيسة باعطاء دروس دينية فى المدارس العامة ، الا ان الثورة اكثرت من فتح المدارس بالبادية فلم يعد بمكنة الكنيسة ان توفر العدد الكافي من الرهبان للتدريس فى كل هذه المدارس وهكذا فان الخلاف — فى هذا المجال — تقلصت مسبباته ...

* * *

ثم جاء الاصلاح الزراعي ...

ولكي لا يفسح المجال لبعض المواقف المتناقضة فقد ايد «ايفيليودياز» باسم جميع الاساقفة ، المبادىء « المطابقة لروح واهداف العدالة الاجتماعية المسيحية» وينص نفس النداء على دعوة المسيحيين الى ضمان تطبيق تلك المبادىء ...

ومر الصيف دون زوابع .. ولكن فى شهر نوفمبر انعقد مؤتمر موسع حضره ما يقرب من مليون كاثوليكي ، وكانت الموضوعات التي تناولها الخطباء بعيدة عن السياسة ، وعلى عكس ما كان ينادي به من فوق المنابر الثورية ، فان الحاضرين فى هذا المؤتمر كانوا يهتفون « الاحسان ، الاحسان » ، ولم يسبق ان اجتمع عدد من المسيحيين بتلك الكثرة . والواقع ان المشاركين لم يكونوا كلهم كاثوليكيين ، الا انه فى الوقت الذي تلاشت فيه كل الاحزاب السياسية التقليدية ، كانت هناك جماعات هامة تثبت ان كاسترو ليس وحده قادرا على جمع جمهور غفير . لقد كان انذارا ، ولكنه لم يثر اي رد فعل رسمي ...

وللمرة الثالثة فان صعوبة اخرى جاءت من الولايات المتحدة بعد ان هاجر رهبان كوبيان الى « ميامي » وجعلا ينظمان حملة واسعة للتنقيص من شان الثورة ، مؤكدين بان كاسترو يعمل على ايجاد « كنيسة قومية » ستكون بمنجى من سلطة روما ، وخاضعة لتأثير الكنيسة الاسبانية . وفى يناير 1960 اصدر « ايفيلو دياز » رئيس اساقفة سانتياكو تكذيبا لهذه المزاعم ، واكد بان جميع الاساقفة يمارسون نشاطهم فى حرية ويسر ، وواضح ان هيئة الاساقفة كانت تقصد الى تسوية المشاكل تجنبا لكل تصادم ..

وفى شهر مايو 1960 التجأ زعيم حركة ديمقراطية الى الولايات المتحدة وراح يؤكد بأن كوبا سائرة فى طريق الشيوعية ، وفى 16 مايو صرح « بيريز سيرانت » بقوله :

« ليس بوسعنا ان نقول ان الشيوعية توجد على ابوابنا ، لانها — فى الحقيقة مستقرة بين جدراننا ، رافعة صوتها كأنها توجد فى موطنها ... »

وقد كان هذا التصريح بمثابة الاشارة الواضحة الى الاحتجاجات الكاثوليكية المرتكزة على فكرة « معاداة الشيوعية » .

وخلال شهر يوليو بدات الاصطدامات فى ابواب الكنائس بين الثوار الذين يهتفون « نعم لكوبا ، ولا ، لامريكا » ، وبين الكاثوليكيين الذين يصيحون « نعم لكوبا ، ولا ، لروسيا » ! وفى هافانا اقيمت صلاة خاصة لاحياء ذكرى انتصار فرانكو على القوات الجمهورية الاسبانية .. ومنذ تلك الاشارة اصبحت النزعات

متعددة وعنيفة . وندد كاسترو بالرهبان الاسبانيين ووصفهم بالفاشيشتية والفلانج ، وبأنهم « مسيحيون مزيفون لانهم لا يتوجهون الى الكنيسة للصلاة ، وانما لحبك المؤامرات ... »

وهكذا سجل صيف 1960 تحولا ملحوظا في علاقات الكنيسة بالحكومة الثورية . وهو تسجيل في نفس الوقت - لتحول سياسي هام للثورة الكوبية .. فقد احتدمت حرب البترول ، وحرب السكر بين واشنطون وهافانا على اشدها ، وجعلت كوبا ترد على كل مقاطعة اقتصادية تقررها الولايات المتحدة ، بتأميم الممتلكات الامريكية . ذلك ان الثورة لا تتوفر على اسلحة اخرى لضمان استمرارها . وكانت هذه هي الفترة التي اختارها « بوراما سفيدال » الاسقف المساعد بهافانا ، للاحتجاج على تضاعف المراقبة الحكومية في المجالين الاقتصادي والاجتماعي . على انه يتحتم الاختيار بوضوح ، فهيئة الاساقفة سبق لها ان ايدت الاصلاح الزراعي الذي هو السبب الاساسي الهام في نشوب التوتر مع الولايات المتحدة؛ واذن كيف يمكن لهذه الاصلاحات ان تطبق اذا لم تفرضها الدولة ؟ وكل هذه الاصلاحات مهددة باجراءات اقتصادية انتقامية من واشنطن ، لذلك فان كل تصفيق للتحولات الاجتماعية والاقتصادية التي حققها فيديل كاسترو ، لن يكون له معنى اذا اقترن بادانة الوسيلة الوحيدة المتوفرة له لتحقيق تلك التغييرات ، وهذا هو موقف هيئة الاساقفة . الا ان المعارضة الشديدة لن تبرز الا في 7 غشت 1960 ضمن رسالة جماعية نشرها الاساقفة وابدوا فيها ارتياحهم من الاصلاح الزراعي ، ومشاريع التصنيع والاجراءات المختلفة لتخفيض غلاء المعيشة وتشييد للمدارس والمستشفيات والمساكن ، والقضاء على الفساد والعاب القمار . ثم تتغير لهجة الرسالة لتناهض بشدة « ازدياد تسرب الشيوعية في وطننا » ..

وكان فيديل كاسترو قاطعا :

« ان من يدين ثورة مثل ثورتنا ، يرتكب خيانة في حق المسيح ، ويكون بوسعه اعادة صلبه من جديد »

وبعد مرور شهر ، صرح « بيريز سيرانت » :
« ان الفكر السائد في كوبا شيوعي بكل وضوح » .

واستمر الخطاب بنفس اللهجة ، دون ان يطرأ اي عنصر جديد : فالحكومة تسرد المنجزات الاقتصادية والاجتماعية للثورة ، تلك المنجزات التي لم تجرأ هيئة الاساقفة على نكرانها ، لانها تعمل على تحسين ظروف حياة الشعب الكوبي ...

ومن جانب الكنيسة توجه بعض التحفظات ، او ينقد تدخل الحكومة في كل المشاريع ، وتندد بالاخص بالشيوعية .

وطيلة التاريخ الكوبي ، لم يشاهد - في فترة قصيرة - مثل ذلك العدد من رسائل الكنيسة والتصريحات الاسقفية ، فهل معنى ذلك ان الكنيسة اصبحت لاول مرة حرة في التعبير عن افكارها ؟ مهما يكن فان هذا الطوفان من التصريحات والتحذيرات يفاجئنا خاصة بعد الصمت التام الذي ظل مخيما على جنباتها في عهد ديكتاتورية « باتيستا » .

وفي الوقت الذي كان الضغط البوليسي الخانق ممسكا بزمام البلاد ، صدرت رسالة كنسية واحدة يوم 2 مارس 1958 ، يطلب فيها الاساقفة تكوين حكومة وطنية ائتلافية . غير ان هذه الرسالة تعوزها الدقة ، اذ ان الاساقفة لم يكلفوا انفسهم عناء تحديد صيغة سياسية ، ولا حاجة بنا الى تبيان لاواقعية مطلب الرسالة ، فتأسيس حكومة تضم جلادي باتيستا وفدائي كاسترو ، يعد محض خيال . لقد سنحت عدة فرص - سواء في مجال المذهب او الاخلاق - لكي تسمع الكنيسة صوتها ، ولكنها لم تغتنم تلك الفرص . وان افترضنا ان كاسترو فرض نظاما ديكتاتوريا على كوبا ، فانه يتحتم - ساعتئذ - الاقتناع حسب منطق الاساقفة - بان ديكتاتورية يسارية هي اخطر بكثير من ديكتاتورية يمينية .

على ان انصار كاسترو أساءوا التصرف بعد ذلك التحطيم الفريد للقيود في تاريخ كوبا ، فقد اعتبروا الكنيسة اما مشايعة لفرانكو ، واما صنيعة للامبرياليين وكانت بعض الاستفزازات من جانب الكنيسة ، مثل اقامة صلاة على شرف فرانكو ، وادلاء الكاردينال « كيشنك » بتصريحات متهورة ، حججا متمناة من انصار كاسترو للتمسك باتهاماتهم للكنيسة . يضاف الى ذلك ان نسبة 50 ٪ من الاكليركية الكوبية هي من اصل اسباني ، وتستمد سلطتها من اساقفة يقيمون باسبانيا ...

ومع ذلك فقد حاول كاسترو جهده الا يدين فى خطاباته مجموع الاكليركية .

والواقع ان الاكليركية كانت فى البداية منقسمة على نفسها ، الا ان الوضع اخذ يتضح شيئا فشيئا .. فاذا كان غير صحيح ان كوبا اصبحت شيوعية ، فمما لا جدال فيه ان النشاط الشيوعي اخذ يتمركز بوضوح ، ومنذ ان هاجمت هيئة الاساقفة هذا الاتجاه، اخذت الاكليركية تسترجع وحدتها تحت سلطة الاساقفة وضد الخطر الشيوعي ...

وكان كاسترو كثيرا ما يستشهد بالمسيح والانجيل فى خطبه بطريقة خالية من الحذاقة ، مصدرها السذاجة اكثر من سوء النية ، مما عمل على اغضاب « المؤمنين » ، ولكن الاساليب البوليسية بالاخص هي التي تسببت فى المشاكل للكاثوليكيين ، وابعدت ثوارا وطنيين مخلصين ، فاسحة المجال للشيوعيين . وعندئذ انقسم المسيحيون الى اتجاهات ثلاثة عامة :

1) غالبية عظمى اتخذت موقفا ضد النظام مستندة الى عدائها للشيوعية ، ومدينة فى الجملة اعمال الثورة .

2) اقلية تؤكد فى الوقت نفسه ثوريتها وعداءها لاتجاه كاسترو ، وتريد انقاذ الثورة من قبضة الشيوعية داعية الى اتجاه فيدبلي بدون فيديل كاسترو ، لانه — فى رايها — المسؤول عن سيطرة الشيوعية على الثورة .

3) جماعة قليلة — لايعرف الى اي حد هي كاثوليكية ، ظلت مؤيدة للنظام ...

وهكذا طرح الاشكال : هناك ثورة اقتصادية واجتماعية تتنامى فى كوبا ، وتحاول ان تقدم العلاج لكل الادواء التي لاتنكرها الكنيسة ، وتحقق منجزات جبارة لاتعارض الكنيسة فى صلاحيتها .. الا ان هذه الثورة قامت فى البداية بدون مشاركة الكنيسة ثم اخذت فيما بعد تشق طريقها فى جو من الحرب المفتوحة مع الكنيسة .. فكيف تطورت الامور ؟

ان كوبا لم تتخلص من الاستعمار الاسباني الا بعد مرور مائة سنة على تحرر امريكا اللاتينية ، والى مدخل هذا القرن كانت الكنيسة تبدو وثيقة الارتباط بالاستعمار الاسباني ، ولم تتمكن خلال خمسين سنة من اتخاذ طابع كوبي اصيل ، اذ لايزال اكثر من نصف الاكليركية اسباني الاصل — لذلك فان الكنيسة تبدو، فى نظر معظم الكوبيين كهيئة اجنبية ، وتجد نسبة راهب واحد لكل عشرة آلاف مواطن ، وتكاد تكون الاكليركية منحصرة فى الجماعات الحضرية ، وقد قابلت راهبا من اصل اسباني كان فى كوبا وطرد منها ، فاخذ يحدثني عن الرهبان فى البادية ، فلما اخبرته انني لم ارقظ راهبا واحدا فى البادية الكوبية اجابني وهو يبتسم ابتاسمة حزينة : « اننا فى كوبا نطلق اسم بادية على كل الاجزاء الخارجة عن العاصمة » ! اي انه لا يعتبر مراكز الاقاليم الكبرى ، والضيعات الآهلة ، اجزاء من البادية ، وكثيرا ما نخترق مناطق فلاحية شاسعة دون ان نعثر على جرس واحد او نلمح ثوب كاهن .. لان البوادي لم تبلغها تعاليم الانجيل ...

وطيلة فترة الاحتلال وبعد الاستقلال ، حصرت الكنيسة اهتمامها فى سكان الحاضرة بعامة ، وفى الطبقة البورجوازية بخاصة . وكان هدفها الاول هو الاستيلاء على « الصفوة » للاعتماد عليها فى توسيع تاثير الكنيسة داخل مجموع البلاد ، الا ان الماساة فى بلد مثل كوبا ، آتية من كون الصفوة جد مبتعدة عن الجماهير وجاهلة لرغائبها .. وقد اسست معاهدة ثانوية وجامعة كاثوليكية ، ولكن يمكنك ان تبحث ، بدون جدوى ، عن مدرسة كنسية فى البادية ...

ان اكثر من نصف سكان المناطق الفلاحية اميون، ولم تفعل الكنيسة اي شيء لتعليمهم ، والآن تشيد المدارس الابتدائية فى كل الاقاليم ، ولكن الحكومة هي التي تشيدها وليست الكنيسة ، وصحيح انه من الصعوبة بمكان الوصول الى سكان البادية نظرا لتشتتهم ونظرا لفقر الرهبان ، وخلال ستين سنة لم تعر الحكومات المتتالية بالا لهذه المشكلة ، كما ان الكنيسة اقتدت بها فى لا مبالاتها ...

وها هي ذي ثورة يقودها طلبة ينتمون الى الطبقة الوسطى ، وتجعل من الاصلاح الزراعي هدفها الاساسي ، فكان ان اصبح الفلاحون هم المستفيدون من هذا الاصلاح ، وارتفع مستواهم المعيشي سريعا ، وشيدت لهم قرى ومدارس ، واصبحوا — بفضل التنظيمات الشعبية — هم الدعامة الاولى الحامية لنظام الحكم .. اما الاكليركية فلم تكن تعرف اولئك الفلاحين المعاضدين للثورة ، ولا يمكنها ان تقبل نيابة

جماعة لائكية لانها في نظرها ـ غير موجودة ، والحركة الكاثوليكية كما نفهما في اوروبا جد حديثة العهد ، وقليلة الانتشار ، وكثيرا ما تظاهرت الاكليركية بالسلطة دون ان تترك للائكيين فرصة المبادرات . وقد كتب الاساقفة في رسالتهم المؤرخة ب 7 غشت 1960 يؤكدون ان « الشعب الكوبي كاثوليكي » والحقيقة ان الشعب الكوبي هو بكل بساطة غير متدين ، والكنيسة ـ مع استثناءات قليلة ـ لم تكلف نفسها عناء الاتصال بالشعب لسبر اغواره .

ومنذ سنتين انهمكت الحكومة الثورية في اعطاء علاقات الاحتظاء Concubinage صفة قانونية ، حرصا على النظام وعلى كرامة المواطنين . وايضا من اجل وضع مسطرة للحالة المدنية . وقد كانت هذه العمليات تتم بكثرة بينما الكنيسة لا تحرك ساكنا ...

واخذت اكواخ الفلاحين القذرة المنتشرة في الهواء الطلق تختفي لتخلفها قرى جديدة قائمة حول « دكان الشعب » الذي يقدم المواد الغذائية باثمان زهيدة ، ولم ار في اية قرية من هذه القرى الجديدة اي مركز مؤقت يشهد على حضور الكنيسة او على رغبتها في ان تشارك الفلاحين يقظتهم ، واليوم وطبقة الفلاحين تعيش مرحلة الامل ـ مثلما عاشت بالامس ، فترة البؤس ، فانه يلاحظ تغيب الكنيسة المفجع ...

والواقع ان هناك ما يبرر عداء الشعب الكوبي الكاثوليكية .. فهو قد عانى طويلا من الاستعمار الاسباني الذي حمل معه الكاثوليكية الى الجزيرة ، وعانى اكثر من اية طبقة اجتماعية اخرى ، من الانظمة الفاسدة والديكتاتوريات التي وجدت الكنيسة في ظلها جو الانسجام ، ومن المسلم به انها لم تكن من القوة بحيث يمكنها معارضة الحكومات التي جعلت من هافانا ماخورا للامريكيين يأتون اليها لنهب الخزينة العامة ، ونشر الاكاذيب والجرائم السياسية في واضحة النهار . الا انه يلاحظ ان الكنيسة ، بنفس المسؤولين، وجدت قوة عجيبة لمهاجمة « الشيوعية » دون ان تتنبه الى ان عملها هذا يضطر اشخاصا مخلصين الى التخلي عن الثورة ، وافساح المجال لتخلفهم عناصر من اليسار المتطرف ...

لقد كان « جوزي مارتي » مفخرة كوبا ، وبطل الاستقلال الذي قتل في معركة 1895 ، ماسونيا ، ولم تكن شيعة الماسونية التي كان ينتمي اليها معادية للكاثوليكية ، وانما كانت عبارة عن جماعة للتعاون . وبعد موته ظلت الماسونية محتفظة بتاثيرها دون ان تلتحم في صراع مع الكنيسة ، ومن الناحية العلمية فان مختلف الطبقات المجتمعة لم تكن تنطوي على عداء الكنيسة ...

ذلك هو تشخيص الوضع قبل ان يتولى كاسترو الحكم ، ولم يكن الشعب يكن عداء شديدا للامريكيين. كان يظهر نفس اللا مبالاة سواء تجاه الولايات المتحدة او تجاه الكنيسة بل يمكن القول انه كان اكثر استعدادا للتفاهم معها نتيجة للمواقف التي اتخذتها المنظمات الكاثوليكية في المدن ضد باتيستا ، ونتيجة لتدخل الاسقف « بيريز سيرانتي » الذي انقذ حياة فيديل كاسترو سنة 1954 ...

فلما سقطت دعائم الديكتاتورية ظلت آفاق المستقبل مفتوحة ، وقابلة لكل الاحتمالات : فلو ان الولايات المتحدة ابتهجت بقيام الثورة وامدتها بالمعونة، لاعترف الشعب الكوبي بالجميل وشايع الاتجاه الامريكي .. ولو ان الكنيسة ترجمت مساندتها للثورة بطريقة لا تقتصر على الالفاظ ، لاصبح الشعب بجانبها ، غير ان الموقف الذي اتخذته الولايات المتحدة جعل الغضب ينفجر في جميع اطراف الجزيرة ، ذلك الغضب الذي جسمه شعار : « نعم لكوبا ، ولا ، لامريكا» كما ان موقف الكنيسة نجمت عنه حملة قوية معادية للاكليركية ...

وقد كانت الولايات المتحدة متاكدة من قوتها فلم تتصور ان الثورة ستتابع طريقها ، اما الكنيسة فهي جد رزينة ، وجد ضعيفة لا يمكنها ان تشارك في اللعبة النهائية ، وتأييدها للاصلاح الزراعي لا يغير كثيرا من الواقع ، فعندما دعا الاسقف « ايفيليو دياز» سنة 1959 جميع المسيحيين الى المشاركة في تحقيق الاصلاح الزراعي ، عم الفرح الحكومة الثورية والمواطنين الا ان الاصلاح الزراعي ومثله الاصلاح المدني ، يمس بالدرجة الاولى البورجوازيين الذين خصتهم الكنيسة في الماضي بعنايتها الفائقة ، ولذلك فان هيئة الاساقفة والاكليركية لا يمكنها ان تتخلى بسهولة عن هذه الطبقة ومن ثم فقد اصبح الاختيار عملية دقيقة بالنسبة للكنيسة ، لان الطبقتين البورجوازية والمتوسطة اللتين كانتا سند الكنيسة اخذتا تجهران بعدائهما للثورة ، وتسبب ذلك في مشاكل عويصة .. فالرهبان يرفضون الابتعاد عن جماعاتهم ، وهذه الجماعة ترجع كل

الاضرار التي تلحق بها الى الشيوعية ، والاكليركية الكوبية تعتبر الشيوعية سجدارا يزرع فيها الخوف والفزع . وهناك اعتبارات اخرى ، فالكنيسة الكوبية فقيرة ، وقد رايت فى سنة 1958 اسقفا قبل تسلم النقود من باتيستا ليصلح معبدا تهدم خلال احدى المعارك ...

والآن بعد ان حطمت الثورة الامتيازات وطبقتها، فمن سيسدى للكنيسة عطاء تصرفه على معاهدها ومستشفياتها ومشاريعها ؟

ليس بالامكان صنع التاريخ من جديد : فمن غير شك ان الكاثوليكيين الكوبيين لم يكونوا من الكثرة بحيث يمكنهم ان يقدموا للثورة مشاركة فعالة . وعلى كل حال فان عددا قليلا هو الذي ساوق التيار الجديد ...

واننا نتساءل عن المصير الذي كان ينتظر الكنيسة الكوبية لو انها اتخذت موقفا اكثر ايجابية ؟

لا ندري ، ولكن الشيء المحقق هو ان مشروع معاضدة الثورة لم يدرس بجدية.. فبعد الاستحسانات الشفوية ظهرت التحفظات ثم التحذيرات من انتشار الشيوعية فى الوقت الذي لم تكن هذه الاخيرة تشكل خطرا حقيقيا ، ثم جعلت الكنيسة تشن حملة عداء ضد الشيوعية بشكل قوي لم يسبق له مثيل فى كوبا التي عاشت تقلبات هامة فى تاريخها ..

ومنذ هذه الفترة اصبحت ردود فعل الحكومة اكثر لذعا ومجانبة للحذاقة .. فهي لاذعة لدرجة ان تصور الاكليركية الكوبية خاضعة لاوامر مدريد وواشنطون ، وهي مجانبة لحسن التصرف لانها اعتمدت على رهبان مثل « لانس » . وقد شوهت هذه الحملة فى الخارج فنسب الى فيديل كاسترو انه قال: « ان تكون معاديا للشيوعية معناه انك معاد للثورة » فى حين انه قال : « ان تكون معاديا للشيوعية ، او معاديا للسامية ، او للكاثوليكية معناه انك معاد للثورة » ...

وفى نفس الوقت الذي ازداد فيه التوتر بين هافانا وواشنطون ، تدهورت فيه العلاقات بين الكنيسة والحكومة . ومن غير شك ان الاسباب مختلفة الا ان حجر الزاوية فى كلتا الحالتين ، هي الشيوعية . أخطر من ذلك ان العاقبة كانت واحدة : فقد تخلى الاعضاء المتعدلون عن الثورة وخلفهم شيوعيون لم يتوانوا فى اظهار عدائهم للكاثوليكيين وللامريكيين ، واصبح استيلاؤهم على مراكز الحكم تبريرا قبليا لكل التحذيرات ولكل الادانات من جانب الكنيسة ...

والآن ، هناك ثورة تتنامى بمساندة فلاحين لم تنغرس فى نفوسهم تعاليم الكنيسة بعمق ، وضد بورجوازية مصيرها مرتبط بمصير الكنيسة .. ثورة ارادها كاسترو « انسانية » نال فى عهدها الحزب الشيوعي الصغير حظوة ، رغم انه لم يساعد الثوار .. ثورة ليس للكنيسة فيها مكان ، وتتابع طريقها ضد الكنيسة فى بعض الاحيان ، ان الموقف يبعث على الرثاء، فمن السهل ان تقبل القطيعة بين جماعة ثورية وبين الكنيسة التي لم تعرف كيف تثبت حضورها فى الثورة .. ولكن هذه الخصومات لن تؤدي الى شيء ، اذ المشكل الحقيقي هو معرفة لما ذا لم يكن تجنب هذا التدخل والاشتباك بين الاحداث ، ثم استخلاص النتائج بالنسبة لمستقبل الكنيسة فى الاقطار التي تتحرر من الاستعمار السياسي ، وتشرع حالا او بعد حين — مثل كوبا — فى خوض غمار الثورة ضد الامبريالية الاقتصادية ،ذ لك ان مثال كوبا يثير سؤالا طرحه « جورج هوردان » فى الصيغة التالية :

« هل توجد جبرية فى نهاية هذا القرن العشرين الذي تتم فيه كثير من التغييرات الاجتماعية والسياسية تحتم ان يكون الشيوعيون هم الرابحون ، وبعض اشكال الحرية هي الخاسرة ؟

هل المسيحيون واللائكيون ، وكل الذين يعيشون فى المدينة ، غير صالحين للعمل او انهم طابعيون لدرجة لا تسمح لهم بان يمارسوا العمل ؟ »

ان بعض الكاثوليكيين الكوبيين يطرحون هذا السؤال بعد فوات الاوان ، ولكن بالامكان لقلقهم هذا ، ان يكون مفيدا للمسيحيين خارج كوبا ...

استقلال الجزائر وانعكاساته الدولية

للأستاذ : المهدي البرجالي

هذا الاستقلال الذي انخرطت في سلكه الجزائر اليوم منضمة الى قافلة التحرر الاتاني العالمي الواسع، هذا الاستقلال الوليد الذي يباركه العالم كله ، وترنو اليه ملايين الاعين العربية والاسلامية في كل مكان كم يبدو — من الناحية النظرية طبيعيا بل ومن غير الطبيعي تاخر حدوثه الى هذه السنة الحالية بالذات ، وينبني هذا التقدير على اساس اعتبار المعطيات والحقائق التقدمية الضخمة التي يعيشها عالمنا الحاضر ، والتي بلغت — نوعا ما — قمة نضجها وتبلورها منذ سنة 1960 وما بعدها الى الان .

ومن ابرز هذه الحقائق واقواها : ان الاوضاع العالمية — بصورة عامة — قد اخذت تتجه اتجاها متوازيا في مختلف الميادين ، وذلك نحو تحول جوهري حقيقي ، لاشك اننا نعيش كثيرا من مظاهره الان ، ولكننا قد لا نكون مدركين جميعا عمق النتائج الانسانية والتاريخية والحضارية التي من الممكن ان ينتهي اليها بعد ان يستنفد جميع حتمياته وعوامله ، وفي نطاق هذا التحول وبتاثير منه كان من الضروري حقا الانتهاء الى تصفية أكثر مظاهر النظام الاستعماري القديم في اقل من عقد من السنين ، وكان من اللازم ايضا ان يؤثر ذلك على كل اشكال العلاقات الدولية بصفة عامة فتنمحي فعلا اغلبية مظاهر التبعية السياسية الاستعمارية بمختلف اشكالها ، وتصبح العلاقات بين الدول الكبرى والمستعمرات السابقة في كثير من الحالات — علاقات عادية مالوفة تسودها روح الندية والمساواة بشكل يختلف في قيمته ومفعوله ، وتطورت الاحوال في آسيا وافريقيا وامريكا الوسطى على هذا النحو ، ولم يعد في مستطاع الدول التوسعية الغربية ان تتحمل المزيد من عمق المشاكل الناشئة عن الاصطدام بالتاريخ ، فاصبحت في كثير من الحالات تمنح الاستقلال منحا ، بل وتسرع في ذلك احيانا بعض الاسراع المزوج طبعا بمشاعر الخيبة والمرارة.

وقد غدا في امكان المراقبين للنتيجة لذلك ان يدركوا حتمية العوامل التي تقود الى تصفية النظام الاستعماري القديم ، وانهاء وجوده ، فلم يعد مستغربا عند الكثيرين منهم ان يسجلوا تطورات باهرة في هذا الميدان تتمثل في امتداد آثار الروح الاستقلالية العالمية وشمولها حتى الجزر الصغيرة والمواقع المهملة التي ليست لها اهمية عالمية تذكر ، غير انه بقدر ما كانت التطورات في هذا الميدان تتوالى لتكتسب صبغتها الطبيعية العادية ، كان استعصاء الموقف في الجزائر وتحجره المستمر مدعاة لكثير من مشاعر الاستغراب العميق ، بل والاندهاش في بعض الاحيان : لماذا تشذ الجزائر وحدها — الى جانب بعض الاقطار القليلة الاخرى — عن مجرى الحتمية التاريخية المعاصرة ، ويجتهد في ابقائها خارج نطاق التاثر بمدلول هذه الحتمية التي هي نتيجة تطور عالمي شامل وبعيد الجذور ؟ لقد ترددت — ولاشك — اصداء تساؤلات من هذا النوع في كثير من الاذهان ، وكانت طبيعة السلوك الفرنسي في الجزائر تزيد بالطبع من تعقد الاجابة عن هذه التساؤلات ، وتضاعف من صور الغموض الماثل في واقع الحالة على وجه العموم ، وقد كانت بعض الاوساط المتاثرة بوجهة النظر الفرنسية في اوربا تدلي احيانا ببعض التعليلات المبتسرة لشرح واقع هذه الظاهرة الماثلة ومحاولة تبرير بعض الجوانب منها على الاقل ، فقد كان يقال على اساس ذلك ان المشكلة الجزائرية تنطوي على كثير من عناصر التعقيد الخاصة بها ، والتي تجعلها متميزة عن كثير من المشاكل

المماثلة لها في مختلف الانحاء ، وكان موضوع مستقبل الجالية الفرنسية يثار احيانا على صورة او اخرى بصدد الاستدلال على ذلك ، وكانت هناك نواح اخرى في الموضوع تصطنع اصطناعا ويلقى بها دائما في مجال البرهنة على تعقد القضية الجزائرية وتشعب جوانبها على هذا النحو او ذاك ، الا ان كل ذلك لم يكن ليؤثر على أي مصدر من مصادر الرأي العالمي ، البعيدة عن الانفعال بالاتجاهات الامبريالية العتيقة ، ولم يكن له ايضا ان يعدل من وضوح الحقيقة السافرة ، وهي ان الوضع الاستعماري الذي كان ماثلا في الجزائر يشكل مظهرا من اغرب مظاهر الشذوذ والنشوز في العالم ، وذلك بالنظر للتطورات التاريخية الحاسمة التي اصبحت تتحكم في توجيه مصاير الامور والاحوال على وجه الارض ، لقد كان من الجائز ان تدرك الاوساط التوسعية مثل هذه الحقيقة ، وتعمل على التلاؤم معها بشكل عملي وصحيح ، الا ان هذه الاوساط ايضا – بالنظر لكثير من الاعتبارات – لم يكن لها لتتخذ مثل هذا الموقف ، وليس من المعقول ان ينتظر منها ذلك ما ما دام لاينسجم مع طبيعة اتجاهها من اساسه . والنظام التوسعي القديم – وان كان يمثل حقيقة واحدة ومشتركة – فانه كان يتقمص احيانا صورا مختلفة وتقوده اهداف وغايات متعددة تتراوح من مجرد الاحتفاظ بالقواعد والمحطات عند البعض ، الى الامعان في سياسة الابادة البشرية عند البعض الاخر ، والوضع السابق في الجزائر – وان كان لا يعكس كل مظاهر الحالة الاخيرة فانه كان يماثلها في كثير من الجوانب ، فقد كان هناك اتجاه – في ظلال هذا الوضع يرمي الى اقرار نوع من الادماج المطلق ليس لمداه من نهاية الا تجريد الحقيقة الجزائرية من محتواها الطبيعي العادي وتحويلها بالتدريج الى حقيقة مصطنعة يتيسر معها اسلوب الابادة السياسية في الاخير بشكل دقيق وغير مباشر ، وبالطبع فان التحديات التي واجه بها الشعب الجزائري مثل هذه الاتجاهات هو الذي اثر عليها وساعد على اقبارها من الاساس .

* * *

وتقوم الدولة الجزائرية الآن تجسم الكيان العربي في المغرب الاوسط كما يجب ان يكون هذا الكيان في نوعيته وتركيبه واتجاهاته ، وتطورات الوقائع على هذا النحو الطبيعي المعقول ، واستقرارها في الاخير على اساس سليم من مثل هذا النوع ، كل ذلك يشكل مظهرا من اهم المظاهر التي تضفي على الاستقلال الجزائري اهميته واعتباره وتحدث فيه كثيرا من الانعكاسات التي تمتد على آفاق دولية وعالمية واسعة ، فاستقلال الجزائر يرتبط – في هذا النطاق – بالتطورات العالمية على اوسع نطاق محتمل ، وهذا الارتباط يجعل الاستقلال الجزائري شديد التفاعل مع الواقع التحرري الانساني في بقية المناطق الواقعة تحت وطاة التبعية لحد الان سواء في افريقيا او آسيا وغيرهما ، ويتضح ذلك من مغزى وجود الكيان الجزائري ، والمدلول الذي يعبر عنه ذلك من وجهة النظر الفلسفية والواقعية ، ذلك ان قيام هذا الكيان متحررا مستقلا يعني – بكل بساطة الانتصار المطلق على مبادىء الاستلحاق الصرف ، والابادة السياسية المنظمة ، والاستخلاف الجنسي القاهر ، وكل هذه حالات تشاهد لها امثلة عديدة بالاقطار المستعمرة في افريقيا بصورة اخص ، وآسيا في نطاق محدود ، وليس من شك في ان المثال الجزائري ستكون له في هذا المجال انعكاسات مهمة وعميقة تتاثر بها الحركات التحررية سواء بجنوب افريقيا او انكولا او الموزمبيق او غير ذلك على اختلاف ما تمثله الاوضاع في هذه الاقطار من جوانب وحقائق فليس ممكنا في اية حالة معقولة ان تلاقي الاتجاهات التوسعية الاستلحاقية مثل هذا المصير الذي لقيته على الصعيد الجزائري دون ان تتوافر الشروط الضرورية من الناحية المبدئية لامكانية تحقيق حالة مماثلة لذلك في الاقطار الاخرى التي تعيش شعوبها في نفس الاوضاع والظروف ، فمبدأ انفتاح الظواهر من هذا النوع قد اصبح اكثر امكانية من أي وقت مضى ، والمثال المنتج الخلاق الذي يعكسه الواقع التحرري الجزائري قد اصبح في مستوى الاعطاء لمناهج حقيقية صحيحة وجديرة بالتقفي والاتباع ، وتبقى مع ذلك ضرورة اكيدة لوعي المثل ، ومعرفة الاستفادة من روحه ومنهجيته على وجه صحيح ، وذاك قد يكون كافيا – على ما يبدو – للاعانة على تحقيق تحول مهم في الواقع النضالي الذي تعيشه شعوب المستعمرات البرتغالية وغيرها ، على ان الاهمية التي يكتسيها الاستقلال الجزائري لا تنحصر فقط في اعطاء الامثلة المنهجية والاستحثات على تطبيق مدلولاتها بصورة من الصور ، ان هناك من جانب آخر امكانية للتاكيد بان قيام الدولة الجزائرية من شانه ان يحدث انعكاسات اخرى على مجموع الصعيد العربي والافريقي تتجاوز في مداها النطاق النظري ، ويمكن ان تسفر عن نوع من النتائج لها اهميتها على الصعيد الواقعي العملي ، فقد كان النظام التوسعي البرتغالي والاوضاع العنصرية

الناشرة التي تسود جنوب افريقيا ، كان القوامون على هذه الانظمة يعتمدون كثيرا — من الناحية السيكولوجية والسياسية والدولية — على ما لهم من اوجه التشارك والتماثل مع الوجود الامبريالي فى الجزائر ، وكان لهم من ذلك — فى بعض الحالات — اساس يرتبطون — فى نطاقه — بنوع من التحالف غير المباشر يمتن وشائجهم فى المواقف والقضايا ، ويلحم بين وجهات نظرهم وانواع سلوكهم سواء على صعيد الامم المتحدة او غيرها ، وكانت حالات التصويت فى المنتظم العام تعكس مظاهر غريبة من التساند فى الحال والمصير بين مندوبي البيض السائدين فى بعض اقطار افريقيا وبين مندوب احدى الدول الكبرى التي ترتبط بالواقع الاستعماري القائم آنذاك فى الجزائر ، بل ان رواد العنصرية فى افريقيا — ما فتئوا — منذ بعيد — يمدون فى حبل الوسائل المؤدية الى اقرار حالات من التضامن الفعلي يستهدف تحديد النطاق حول الحركات التحررية فى القارة ابتداء من جنوب افريقيا الى شواطىء الجزائر ، ومن صور التشابك المعقد فى هذا الصدد : ما يلاحظ على سياسة الحكم القائم فى (روديسيا) من تلاحم مع اتجاهات الاحوال فى (كاطانغا) و (انكولا) و (اتحاد الجنوب الافريقي) وما يستبان فى اطار ذلك من تنقلات كان يقوم بها الغلاة وقادة المنظمات المتطرفة بين الجزائر وكاطانكا عبر اتحاد روديسيا وبمباركة مطلقة من المسؤولين العنصريين فى (بريطانيا) وغير ذلك ، فهناك فى قلب القارة الافريقية حلقة توسعية عنصرية تمتد زعانفها عبر الشمال والجنوب وتتسم بنوع من الخطورة لا يدانى ، وكان من المفروض ان تكون الجزائر معبرا رئيسيا لها الى مجالات العمل والنشاط فى اوربا ، وباتصال مع كافة المنظمات المتطرفة فى القارة البيضاء ، وقد برهنت كثير من البوادر والارهاصات ، بل اكدت ذلك بعض الوثائق المعتمدة ان الصهيونية الاسرائيلية كان لها ايضا تداخلات دقيقة مع الضالعين فى احكام هذه السياسة وتوجيه دفتها ، وعلى الرغم من ان السياسة الاسرائيلية تستهدف فى الدرجة الاولى تحقيق اكبر قدر من التوسع التجاري و (النفوذي) فى مختلف انحاء القارة الامر الذي لا يسمح لها بكشف كافة اتصالاتها مع العنصرية البيضاء . . على الرغم من ذلك فان اسرائيل لم تكن على نفس الدرجة من التحفظ بالنسبة لموقفها من متطرفي الجزائر الذين ترتبط وشائجهم فعلا بالغلاة فى اواسط افريقيا ارتباطا قويا ومتينا ، وعلى ضوء هذه القضايا التي لا تزال افريقيا السوداء تعيش بعض فصولها المعقدة الغامضة، يمكننا ان نضع استقلال الجزائر فى اطاره القاري والدولي الواسع ، هذا الاطار الذي نستطيع ان ندرك فى دائرته قيمة المضمون العربي والافريقي بل والاسلامي الذي يكتسيه الاستقلال الجزائري ، ومدى الانعكاسات التي من اللازم ان تكون له فى آفاق القارة وما وراءها عبر كل ذلك ، وعلى هذا الاساس فالملاحظ ان الشمال الافريقي — على امتداد الشاطىء المتوسطي الجنوبي قد اصبح بعد استقلال الجزائر — تظله وضعية عربية مشتركة ان كان لها من مفهوم دولي اساسي فهو مناوأتها — فى الدرجة الاولى — للاتجاهات التوسعية والاوضاع التمييزية فى قلب القارة الافريقية ، وفى مستطاع الشاطىء العربي الافريقي بالنتيجة لكل ذلك ان يشع على افريقيا كثيرا من مظاهر المؤازرة النضالية التي يوجد (الكونغو) كابرز مثال لها من خلال تطورات الاحداث فى ربوعه طيلة الشهور الكثيرة الماضية ، كما ان انغلاق هذا الشاطىء امام المتطرفين العنصريين فى افريقيا — وقد كانت الجزائر احد منافذهم الرئيسية — ان انغلاق هذا الشاطىء من شانه ان يضع هؤلاء المتطرفين امام نوع من العزلة (السيكولوجية) والسياسية ذات اهمية نسبية لا تنكر ، لكن اهم من ذلك هو ما يمكن ان يكونوا قد فقدوه بسبب استقلال الجزائر من مزيد حرص السياسة الفرنسية سابقا على مؤازرتهم ، واضطرارها الى احتضان بعض اتجاهاتهم فى الخطة والسلوك والسير .

وليس من المعقول — بحق — ان نستشرف على اساس ذلك — اي انقلاب مسرحي مفاجىء على صعيد السياسة الفرنسية نحو افريقيا البرتغالية والجنوبية وان ننتظر نوعا من الترابط بين باريس وتيارات الاتجاه التحرري فى القارة على شكل او آخر ، فالاعتبارات (الاطلسية) لها فعلا وزنها المهم فى هذا المجال ، كما ان البعض من المؤثرات السيكولوجية وحتى المصلحية — فى دائرة معينة — لا يجوز ان تبيح — بالضرورة — حدوث مثل هذا الانقلاب او تحتم وجوده على الاقل بصورة فعالة ، الا انه من الجائز مع ذلك الاعتقاد بان نسبة الحماس التي كانت تحدو كثيرا من المسؤولين الفرنسيين فى هذا السبيل لابد ان يحدث عليها — بعد استقلال الجزائر — ما يخفف من حدة حرارتها الى درجة محسوسة ، خاصة وان السياسة الفرنسية — كما تنم عنه بعض افاقها العامة الحاضرة — تكاد تكون شديدة الكلف باستعادة صلاتها الافريقية السابقة على اساس جديد يتميز بايجابيته وتطوريته ، وهناك من الملاحظات العامة ما يوحي بان هذه السياسة

قد تتبنى فعلا بعض الاتجاهات العملية في هذا السبيل، وان كان ذلك لايعدو لحد الان نطاقا ضيقا ومحدود الابعاد بدرجة بالغة .

على ان هناك عاملا آخر جديدا من شانه ان يحدو بالحكومة الفرنسية الى انتهاج سبيل اكثر وضوحا في هذا الميدان ، ويضطرها في الامد البعيد الى « مسايرة » خطوات التحرر الافريقي ولو بصورة ثانوية بسيطة وذلك كله على ضوء الاستنتاجات التي يمكن ان نستخلصها من استقلال الجزائر ، والعامل الجديد هذا يتمثل في تطورات السياسة الامريكية بافريقيا ، والتزامها على عهد الحكم الديمقراطي الحاضر — نهجا خاصا يتسم ببعض المرونة وشدة الحساسية ازاء الاوضاع الافريقية ، ومما لا ريب فيه ان انتهاء المعارك بالجزائر وقيام الدولة الجزائرية من شانه ان يفتتح آفاقا اخرى للاهتمام الامريكي بالشؤون الافريقية على وجه عام ، فاستتمام الوجود العربي كمال استقلاله في القارة ، واتجاه دول المغرب العربي الى تحقيق مزيد من الارتباط الايجابي بالمشاكل والقضايا الافريقية ، كل ذلك لابد ان يشكل — بالنسبة للسياسة الامريكية — عاملا مثيرا من الطبيعي ان تستجيب لطبيعة اثارته ، وذلك ببذل مزيد من حيث الجانب الاقتصادي والفني ، وما هو من نوع ذلك ، وليس مفهوم هذا اننا نستمرىء بقاء القارة في حالة عوز واضطرار دائم الى المساعدات الاجنبية ، فالواجب بالطبع هو تخطيط آفاق المستقبل على اساس الاستغناء عن هذه المساعدات، والانطلاق من نقطة العمل على تشييد بناء اقتصادي سليم ومتوازن ومتطور .

انما الذي يهم في هذا المقام هو تسجيل هذه الظواهر من النشاط الدولي في ارجاء افريقيا .. هذه الظواهر التي من الطبيعي أن تزداد سعة وتكاثرا بعد تطور الاحوال الناشئة عن استقلال الجزائر ، وانفتاح آفاق جديدة للتفاعل الدولي على صعيد القارة، والملحوظ في هذا الصدد ان تطورات التفاعل الدولي هذه تسير فعلا في طريق الامتداد والتوسع بصورة دائمة ، وتتناول في نطاقها قضايا الصراع المباشر او غير المباشر حول السوق الاوربية المشتركة وظواهر التوتر النفسائي الناشيء عن عواقب الاتجاه الى الوحدة السياسية والاقتصادية في اوربا خارج نطاق العائلةالاطلسية الى غير ذلك ، وليس يعنينا — بالطبع — مصير هذهالظواهر واتجاهاتها داخل النطاق الاوربي الامريكي ، انما الذي يثير الاهتمام بصورة اساسية هو اتجاهات الاحوال الافريقية داخل القارة ذاتها ، ومدى الارتباط الموجود بين هذه الاحوال من جهة وبين مستقبل الفكرة التحررية الافريقية من جهة اخرى ، والمهم — في هذا الصدد — هو ان ظهور القوى التحررية الجديدة التي لاشك ان استقلال الجزائر قد ساهم في تعزيزها وتمتينها على اوسع نطاق ممكن — ان ظهور هذه القوى من شانه ان يساهم — كما فعل من قبل — في اعطاء الوجود العربي الافريقي مضمونا حيا ومنتجا وفعالا ، وقد كان مؤتمر البيضاء الاساس الاقوى لتجسيم هذا المضمون ، واعطائه صبغة ايجابية ملحوظة ، وذلك نتيجة للاحوال المنبثقة عن هذا المؤتمر في مختلف الميادين اقتصادية وسياسية ودولية وانسانية ، والذي يبدو واضحا الان ان ميثاق الدار البيضاء سيتوافر امامه — بعد استقلال الجزائر — مزيد من الفرص لتذليل عدد من اوجه الخلاف التي كانت تواجهه ببعض الدول المنتسبة الى الكتلة الافريقية المدغشقرية ، وليس من شك في ان من اهم نقط الاختلاف التي كانت موجودة من قبل : الاحوال التي كانت تسود الكونغو بعد اعلان استقلاله ، ومناهج الحل المفترضة لها على هذا الشكل او ذاك ، ثم قضية الجزائر التي كانت تبدو في مفهومنا جميعا باعتبارها قضية نضال ثوري تحرري ، وكانت تتمثل في اذهان هؤلاء الاخرين بحسبانها مجرد ازمة ثقة وتفاهم وقلة استعداد للتعاون ، وكم كان هناك من ذيول لهذا الاختلاف في المفهوم السياسي والقانوني والانساني للمشكلتين الجزائرية والكونغولية ، والذيول هذه قد امتدت في وقت من الاوقات عبر آفاق التقارب الافريقي ، مطوقة سبيل هذا التقارب بسحب جد داكنة ، ومسفرة في الاهم الغالب عن مجموعة من الحقائق التي يلوح انه لا يوجد احد على استعداد للترحيب بها كما يجب ان يكون الترحيب ، غير ان الذي يبدو واضحا الان ان حل المشكلة الماثلة في الجزائر — بالاضافة الى اتجاه الاوضاع في الكونغو نحو صورة من التطور البناء — كل هذا يجب ان يؤدي في الاحوال العادية الى مراجعة المواقف المتخذة من قبل ، ومحاولة النفوذ من خلالها الى سبيل آخر اكثر تلاؤما مع تطورات الاحوال الجديدة في القارة ، واعمق استجابة لمقتضيات هذا التطور بكل ما ينم عنه من اتجاه الى التحرر المطلق في ظل من البناء والانتعاش والنهوض .

واذا ما وجهنا النظر — من جانب آخر — الى الاستقلال الجزائري وعلاقته بالاحوال العربية الخاصة والانعكاسات التي يجوز ان يحدثها فى هذا الميدان فانه سيمكن لنا ان نلاحظ بعض الظواهر المعينة التي لها دلالتها فى هذا المقام ، والظواهر هذه هي ظواهر نفسانية على وجه اخص ، وتتصل — فى مجموعها — بصميم الشعور العربي ، وما تتوافر فيه من خصائص وامكانيات تتراوح بين السلبية والايجابية بدرجة غير محدودة ، وفى مجال هذه الملاحظة نستطيع ان نتبين مقدار الانفعال العربي بنهاية الصراع المستعر اواره منذ اكثر من سبع سنوات ونصف فى ارض الجزائر ، ونوع الحقائق اللامعة التي اسفر عنها بما يدركه العالم اليوم، وليس المجال هنا — فى الواقع — مجال التقدير لمجرد البطولة وروح الافتداء ونكران المصير الشخصي ، فقد سجل التاريخ العربي — بحق — وفى خضم المشكلة الفلسطينية ذاتها سنة 1936 — 1937 انواعا من روح الايثار والاستبسال لا يمكن نكران قيمتها من الناحية التقديرية المبدئية ، انما الصورة الجديدة التي اسفر عنها الاستقلال الجزائري ، والتي كان لابد ان توحي للوجدان العربي بكثير من بواعث التأثر والانفعال ، هذه الصورة تتراءى بصورة اخص فى ظاهرة التنظيم المنهجي الخاص الذي اكتسته الثورة الجزائرية وفاعلية هذا التنظيم — بعد الله — فى تامين ثبات الثورة واكسابها قدرا من المناعة الشاملة لا تضاهى ، ان هذه المنهجية البديعة الخلاقة ، وهذه المقاييس الدقيقة الحية ، وهذه العقلية الدينامية الرياضية ، وهذه الروح المستوعبة المستقصية ، كل ذلك كان لابد ان يثير الوجدان العربي كما لم يثر من قبل ، وكان من الضروري ايضا ان يفضي بالعقل العربي الى مجال التفهم العميق لهذه الحقائق ، والبناء عليها ان كان هناك من ارادة فى التصميم والبناء.

وقد بدرت فى بعض الاوساط العربية — على اساس ذلك — بوادر الحديث عن المثال الجزائري وامكانيات الاهتداء به فى انطلاقة جديدة نحو حل المشاكل العربية المعقدة ، وفى قمتها مشكلة الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين ، وليس هناك مجال متوافر يمكن من متابعة هذه الفكرة وتحليلها على هذه الصورة ، الا ان الذي يظهر جليا من اول وهلة ان المنهجية النضالية الثورية — وان كانت فاعليتها الحقيقية ذات اثر ايجابي لا يمكن نكرانه — الا انه ليس من اليسير دائما اعتمادها اعتمادا اتباعيا مطلقا دون النظر فيما يتصل بها من حقائق وملابسات ، والقضية الفلسطينية لها مميزات وخصائص تقتضي الكثير من اسهامات العقول والايدي والمشاعر ، اما التنظيم فهو فى جميع الحالات مجرد اطار مستوعب ، والمهم بالنسبة لمشكلة كالمشكلة الفلسطينية هو التثبت من قيمة المحتويات التي يضمها هذا الاطار، واغلب الظن ان الانعكاسات التي خلفها المثال الجزائري فى الذهن العربي قد لا تسفر بالنسبة لهذا الموضوع عن نتائج سلبية ولكن — بالطبع اذا كان الاستعداد للتلقي والهضم والتمثل متوافرا بصورة صحيحة وكافية وهذا هو الجانب الاساسي فى واقع القضية الفلسطينية على العموم .

* * *

هذا وكما ان للاستقلال الجزائري جملة انعكاسات آتية تتمثل آثارها — كما راينا — فيما يلاحظ من اتجاهات الاحوال فى الوقت الحاضر سواء على الصعيد الافريقي او فى المجال الغربي الخاص ، فان هذا الاستقلال يرتبط كذلك ببعض الحقائق التي تتصل بالعالم الدولي وذلك على اوجه تختلف فى مدى الاهمية والظروف والنتائج .

وارتباط الاستقلال الجزائري بالحقيقة الدولية فى نطاقها الواسع — هو ارتباط نظري بالدرجة الاولى — لان هذا الارتباط لم يستتم بعد كل عناصره التكوينية الاساسية ، وليس له ان يفضي بالنتيجة لذلك الى ما يمكن من تقديره على اساس واقعي ملموس ، ولهذا فان انعكاساته على الصعيد الدولي العام تتصل كثيرا بما يجوز تقديره واعتباره ، لا بما يمكن ملاحظته عن طريق التحليل للواقع الماثل ، وعلى اساس التسليم بهذا المبدا فاننا نستطيع ان نستشف كثيرا من الامكانيات الدولية التي ينطوي عليها استقلال الجزائر بهذا الاعتبار ، ومن ذلك ما يجوز ان يلاحظ من علاقة بين قيام الدولة الجزائرية من جهة ، وبين حظوظ الغرب فى تماسكه مع نفسه وروابطه مع (العالم الثالث) من جهة اخرى ، فقد كانت الجزائر — فى الواقع — مصدر مضايقة جديدة لمصالح التوسع السيكولوجي الغربي فى كثير من اقطار افريقيا وآسيا ، وحتى امريكا الوسطى والجنوبية ، وقد مرت كثير من الفترات التي اشتدت فيها وطأة هذه المضايقة ونتائجها ، وذلك الى الحد الذي كان يقود الخارجية الامريكية احيانا الى الاعراب عن ذلك للمسؤولين الفرنسيين سواء عن طريق الوسائل التعبيرية العادية، او بالاحجام عن التصويت حول الجزائر فى بعض جلسات المنتظم العام للامم المتحدة ، وثمة حالات عدة كان التفاوت فى وجهات النظر خلالها بشان الجزائر يؤدي

ـ فى بعض الحالات ـ الى استثارة انواع من الازمات فى مجال العلاقات الفرنسية الامريكية بل وايضا فى حظيرة الحلف الاطلسي بالذات ، وقد بلغت هذه الحالة اوجها بعد انقلاب السياسة الفرنسية فى العهد الحالـــي ، وتبلورها فى شكل اتجاهات ذات صبغة استقلاليـــة ملحوظة . وهناك ـ من جهة اخرى ـ كثير من صـور التازم الاخرى الذي كان يصيب العلاقات بين فرنسا وبعض الدول الاخرى نتيجة الاختلاف حول موضوع الجزائر ، ومن بين مظاهر ذلك : الخلاف الفرنسـي اليوغوسلافي الذي استطال فترات مديدة ، واجتاز مراحل واشواطا ذات حدة قوية جدا خاصة بعد قيام الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فى خريف سنـة 1958 ، والتحام العلاقات بينها وبين بلغراد بصـورة علنية ومتينة ، ومن آخر المظاهر التي تذكر فى هـذا المجال : الخلاف الفرنسي السوفياتي الذي نشب اوائل السنة الحالية فى موضوع الجزائر ايضا وكان اساسه : اقدام الحكومة الروسية على الادلاء باعترافها النهائي بالحكومة الجزائرية .

وهناك الكثير من المعضلات الدولية الاخرى التي كانت الجزائر اساسا لشمولها على نحو او آخر ، وبقدر ما كان الوضع الثوري يتطور فى هذا البلد بقدر ما كانت سحب التوتر تغشى كثيرا من اجواء العلاقات بين الدول الغربية ذاتها ، وبين هذه الدول والاقطار الواقعـة فى المعسكر الشيوعي او المنتسبة للكتلـة الافريقيـة الاسيوية ، او المنتمية الى نظام الجامعة العربية ، واهم الانعكاسات التي ينتظر ان يخلفها الاستقلال الجزائري فى هذا الصدد هي الافضاء الى تصفية هذه التعقيدات الديبلوماسية من اساسها ، وترميم الاثار الحادة او المزمنة ، التي كانت تخلفها فى مضمار العلاقات الدولية من جهة والعلاقات بين الغرب والعالم العربي والاسلامي من جهة اخرى .

وليس المهم فى الواقع ـ ان يؤدي استقلال الجزائر الى تهييء الظروف الصالحة لانهاء هذه التعقيـدات بصورة عضوية تلقائية ، وانما المهم اكثر من ذلك هو ان تتمكن الدولة الجزائرية سريعا من استكمال كل عناصر فاعليتها الدولية الواسعة ، وان تتضاعف امكانيـات نشاطها داخل الاسرة العالمية المتحررة ، وان تتهيأ لها ـ مع شقيقاتها العربيات ـ عوامل القدرة على اتخـاذ المبادرة من اجل تحقيق رسالة النهوض والتطور ، ثم من اجل المساهمة فى بناء عالم متحرر قوامه الحريـة والعدالة والازدهار .

سلا : المهدي البرجالي



الجزائر

تتخلص من نير الاستعمار

للأستاذ : أبو العباس أحمد التيجاني

جاء فى الاساطير القديمة ان اناسا حكم عليهم بالعقوبة المعروفة بعقوبة البرميل وصورتها ان برميلا ضخما منصوبا قرب بئر ومن تحت البرميل قنوات مدفونة فى نهر هناك على ان اطلاق سراح الجاني يكون عندما يملأ البرميل من البئر ، ذلك اصح ما تشبه به النكبة التي اصابت الجزائر وظلت وباتت ترزح تحتها قرنا وثلث قرن ، الاستعمار من اصله استعباد مقنع ظاهرته التي لا تخفى على الخاص والعام انه يرمي الى خصاء الشعوب الامر الذي جعله ممقوتا فى حد ذاته ، وفيما يخص الجزائر زاده مقتا الى مقته انه دخل من اشنع ابواب الغدر والمكر ، وبيان ذلك ان غزو الجزائر من طرف فرنسا كان عام 1830 ميلادية ، وهذا الغزو لم يكن لمجرد خلاف سياسي بين دولتين كما هو المتعارف ، بل كان نتيجة مؤامرة لحمتها وسداها الغدر والتدليس ، وشرح ذلك ان الجزائر كما هو معلوم كانت تابعة للدولة العثمانية ، وفى عام 1827 اعني بما يقرب من الثلاث سنين تكتلت الدول الثلاث انكلترا وفرنسا وروسيا ، وشنوا غارة بحرية على الاسطول التركي وحطموه عن ءاخره فى الواقعة المعروفة بمعركة نافرا (اسم ميناء على الساحل اليوناني) ، جاء ثلاثتهم لنجدة اليونان ونصرته فى الحرب التي بينه وبين الدولة الاسلامية العثمانية ، فاصبحت بذلك الدولة العثمانية مقلمة الاظفار مشلولة اليد فيما اذا دهمها خطر ، فلم يبق لفرنسا بعد هذا الا ايجاد فرصة لتصفية حساب بينها وبين الجزائر لانها كانت تتهم الجزائر بالقرصنة فى البحر المتوسط ، لاسيما والامر بين المسيحية والاسلام وهي بنت الكنيسة البكر المعتزة بحماية المسيحيين فى الشرق الادنى ، ومنذ ذلك الحين وفرنسا تفتل فى الذروة والغارب الى ان جاءت الفرصة المنتظرة ، وذلك انها اشترت من الحكومة الجزائرية كمية من القمح بواسطة السمارين اليهوديين الاخوين بكري ، ومن تطق باسم الذئب يوشك ان يرى ذئبه ، واشترط فى صلب العقد دفع الثمن فى الجزائر محل العقد ، فاذا بفرنسا بعدما تسلمت السلعة وانتفعت بها قامت تزعم ان دفع الثمن انما يكون فى مرسيليا لا فى الجزائر بعد مفاوضة تجري فى هذا الشان ، لان السلعة فى زعمها ظهر فيها الغش ، وما اشبه هذه الدعوى بدعوى الذئب على المعزة وانها اعمت عينيه بما تثيره من غبار بذنبها ، هذا الموقف الجديد من فرنسا تبعه لا محالة اخذ ورد بين الحكومتين الجزائرية والفرنسية ، وعبثا كان هذا الاخذ والرد لان الخصم له هدفه بين عينيه لا يهدأ له بال الا بالوصول اليه ، الامر الذي حمل ممثل فرنسا القنصل دوقال على اظهار التطاول ونوع من الازدراء للباي حسين اثناء المفاوضة ، فلم يسع الباي الا قطع الحديث وامر القنصل بالانسحاب ، فالبست القضية بدلة سياسية تقوية للحجة ادعي فيها بان الباي ضرب القنصل بالمروحة ، وهكذا ما زال افعوان السياسة ينساب فى بنيات الطريق والسياسة عند القوم حتى فى العصر الحاضر ، رائدها قول احد مشاهير وزراء فرنسا دوطاليرا : اعطنا الكلام لنموه به عن مقاصدنا ونوايانا) فما الظن والامر يجري بين امة اسلامية ودولة مسيحية، الجواب يطلب من جورج بيدو ، والخلاصة من هذه المقدمة ان الجزائر بعد معارك دارت رحاها طول البلاد وعرضها دار الفلك فى شانها دورته وانتهى بها الامر الى الوقوع فى شقاق جدول الاستعمار .

ثم مع الايام جاء دور تاسيس العلائق بين الغالب والمغلوب ، من المعلوم بالضرورة ان القوانين والتراتيب الادارية تنبثق من البيئة الاجتماعية ونزعات الولاة ،

ومن هم الولاة يومئذ ؟ هم العسكريون كلمتهم هي الاولى والاخيرة ، وبما ان الكلمة كانت للعسكريين فالى القراء نموذجا من الاصول التي تأسست عليها العلائق بين العنصرين ، يقول المارشال بيجو القائد العام للحملة الاستعمارية المقرون اسمه باسم الامير عبد القادر في مذكراته ما ترجمته بالحرف : (ان طول خبرتي بسيرة المسلمين وطبائعهم وتقاليدهم افادني اليقين بهذه الحقيقة ، وهي انه لو طبخ راس مسلم مع راس فرنسي في قدر واحدة لتميزت مرقة هذا من مرقة هذا) معناه اليأس الذي لا رجاء معه من محاولة تبديل توجيه المسلمين وتحويلهم من الوجهة التي هم عليها وها نحن اولا نجد نفس هذه الروح سارية في معاملة الفرنسيين للجزائريين حتى في هذه السنين الاخيرة.

كنت يوما في الجزائر في مقهى لابورس امام قاعة الحكومة في جماعة من اعيان الجزائر من بينهم صديق لي السيد محمد بن المرابط واحد المحامين ، والمحامي كان من جملة اعضاء المجلس البلدي فذكر لنا في اثناء الحديث هذه القصة : (كانت محلات اللهو وكثير من المؤسسات تؤدي ضريبة اسعاف تدعى ضريبة المساكين، ومنذ وضعت كانت خاصة خالصة للاوربيين لا نصيب فيها للمسلمين ، بصفتنا اعضاء في المجلس البلدي اتفقنا على تقديم طلب لعامل العمالة بناء على ان المسلمين هم ايضا يغشون محلات اللهو ويؤدون ما يؤديه غيرهم ، فبقينا في انتظار الجواب ما لا يقل عن ستة اشهر ، وما هو مضمون الجواب الذي جادت به الحكومة ؟ مضمونه هو ما لا يكاد يصدق به احد .

وهذا فحواه : ان التراتيب الادارية الجارية مبنية على المرسوم الصادر عام 1855 المنصوص فيه على ان المسيحي الواحد يعدل مائة من المسلمين في باب الاسعاف ، يعني ان ما يعطى على وجه الاعانة لمسيحي واحد يعطى مثله لمائة من المسلمين يتقاسمونه بينهم ؟) ثم ذكر المحامي ان نسخة من الجواب تحت يده في محفظة اوراقه ، هذا الذي سمعناه من المحامي العضو البلدي بمزيد الدهشة والاستغراب في سنة 1941 ، اكتب ما اكتب وكانني ارى وجه جورج بيدو على شاشة التلفزيون وهو يقرا هذا القانون الغريب ، نعم في هذا الجو الخانق عاشت الجزائر قرنا كاملا وثلث قرن كأنها في معتقل مجهز ليكون قالبا يفرغ فيه السكان على الشكل الذي ترتضيه المسيحية ، ومن كان في ريب مما اقوله اعطيه شاهدا هو في علم سائر الاوساط الجزائرية ، وهو ان الحكومة فصلت ناحية الصحراء من بقية القطر على طول ما بين المغرب الى الايالة التونسية وحجرت الدخول للمنطقة الصحراوية الا باذن خاص ، وتحت المراقبة بعد أن بسطت فيها اليد الطولى لرجال الكنيسة ينشرون فيها تعاليمهم تحت قناع اطباء وممرضين وممرضات راهبات ، ثم انشئت مدارس ومؤسسات لتربية اولاد المسلمين وبحكم التدريج وصلت الحال بهؤلاء الى ان صاروا يتقلدون الصليب في العنق والنمالة في الارجل كما هي عادة الرهبان ، والذي مهد الطريق في هذا السبيل هو ما تبذله الحكومة من الاعانات والادوية خصوصا في اوقات المجاعة وانتشار الامراض ، فانت ترى أن من جملة الاهداف بل من اوكدها الوصول بالاهالي الى التمسيح وصدق الله : ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، وهكذا ظلت الجزائر وباتت تتوالى عليها التجارب الادارية بمختلف الاساليب لعلهم يطوونها الطية التي رسموا خطتها ، ولكنها بالرغم عما بذل من الجهود في سبيل طمس المعالم الاسلامية بقي جمر الوطنية تحت الرماد كلما جاد الزمان بفرصة اندلعت ناره بشهادة ثورة القبائل بقيادة بومزراق في الشمال وثورة اولاد سيدي الشيخ في الجنوب ، وثورة مليانة وما جاورها ، وثورة قبائل الاحرار جنوب العمالة الوهرانية .

الى مستهل هذا القرن هب نسيم جديد احيا دارس الامل وذلك بما اخذ يتسرب الى القطر من الجرائد والمجلات والمؤلفات امثال المشورة التي كانت تصدرها الجالية التركية في باريز ، وجريدة اللواء لمصطفى كامل ، والعروة الوثقى لصاحبها جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده صاحب رسالة التوحيد ، وكتاب ليالي سطيح ، وكتاب حديث عيسى بن هشام او فترة من الزمن ، والرد على هانوطو وزير الخارجية الفرنسي في تهجمه على الاسلام ، وكتاب جمعية ام القرى لعبد الرحمن الكواكبي والى جانب هؤلاء جماعة من الشعراء مثل البارودي ، وشاعر النيل ، والمليحي ، وعبد الله النديم والذي ساعد على دخول هذه الروح الجديدة في القطر ان الحكومة الفرنسية اناخت بكلكلها على صدر البلاد بحيث اصبحت لا يخطر ببالها بتاتا ان تتوقع ما عسى ان يحدث من التغيير وما فكرت ان لله تصميمه كما للبشر تصميمهم ، والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

نعم دخلت هذه الافكار الجديدة الى القطر بمرأى ومسمع من الحكومة لامر اراده الله كانما اصحابها جماعة موزعين للبريد دخلوا البلاد لتبليغ رسائل

النهضة ، فكان ذلك بمنزلة حقنة ايقظت النفوس من سباتها العميق ثم اخذت دائرة التفكير تتسع اتساع الدوائر فى الماء اذا القيت فيه حجرا الى ان نفذت الى الدوائر الحكومية نفسها على يد البعض من جنود الفكر مثال مفخرة القرون السيد محمد بن رحال ، ورفيقه الفارس المغوار الامير خالد حفيد الامير عبد القادر المجاهد المشهور ، وصادق دندن الملقب طالوت لما حباه الله من البسطة فى الجسم التي خلدت مواقفه فى الدفاع عن ابناء الشعب كلما هم اوربي باهانته ، وسارت النهضة سيرها الحديث فى هذا الطريق الى ان تاسست جمعية العلماء بتدبير من زمرة من اهل الوعي والغيرة التي لا تعرف الوهن والاستكانة امثال الاخ السيد عبد الحميد بن باديس ، والاخ مبارك الميلي ، والبشير الابراهيمي وشاعر الشباب محمد العيد ، والاخ السيد توفيق المدني والاخ العربي التبسي وسي الطيب العقبي.

واقول من باب التحدث بالنعمة سرعان ما انتظمت فى عقدهم ، وجلت مع من جال بالقلم والقاء المحاضرات فى شتى النوادي فانشئت جريدة السنة ، ثم الشريعة بعد تعطيل السنة ، ثم مجلة الشهاب ثم البصائر الى غير هذه النشرات مما يلوح فى الافق من حين لحين . من اغلى وانفس الذكريات التي ادخرتها الحافظة ما كنت اناجي به السيد محمد بن رحال واخي الامير خالد وصادق دندن وافراد جمعية العلماء . من جملة ما ازفه للقراء ما كتبه السيد ابن رحال وكان صاحب قلم بارع بالفرنسية ونشرته مجلة الجمعية الاسيوية التي هو احد اعضائها وذلك فى عام 1905 ، وشرح الحال ان مدير هذه الجمعية اقترح على السيد ابن رحال ان يعطيه رايه فى مستقبل الاسلام فى افريقيا الشمالية فتنزل للجواب بما استغرق مجموع عدد المجلة ، من جملة ما تضمنته المجلة اسداء النصيحة للحكومة الفرنسية ان هي ارادت استجلاب قلوب المسلمين الى ان قال : اني على يقين بان فرنسا لا تلقي بالا لنصيحتي ولكن مهلا على رسلك ، كوني على يقين يا فرنسا بان الاسلام سيبعث من تحت افواه مدافع المسيحية ، وهذا الارهاص النادر صدر من صاحب الجواب عام 1905 كما قلت وكنت اذ ذاك فى المدرسة الثعالبية ، ومن شدة تشوقي الى عدد المجلة المشار اليها التمس من بعض الاخوة الوجهاء القاطنين بباريز ان يحاولوا العثور على مركز الجمعية الاسيوية المذكورة بقصد العثور على العدد ، فانه آية فى بابه ولو لمجرد الفقرة التي ذكرت وها نحن راينا بالابصار ذلك الارهاص يتحقق على يد جبهة التحرير التي املت على فرنسا درسا غدا قلادة فى جيد الزمان ومفخرة خالدة للجزائر ضمتها الى اشقائها بعد ان كان ذلك مجرد امل قصارى ابناء الجزائر التسلي بقول القائل :

اترى الزمان يسرنا بتلاقي ويضم مشتاقا الى مشتاق

الرباط — **احمد التيجاني**



مفاهيم الوحدة المغربية

للأستاذ :
عبد الله الكامل الكتاني

عند ما تقف الجماهير محتشدة يوم رجوع زعماء التحرير الجزائري من المنفى ، الى ارض المغرب التي اختطفوا منها ، فارحة بعودة الزعماء ، هاتفة للوحدة ـ وحدة المغرب العربي ـ فاي وحدة تستقر فى ضمير هذه الجماهير ؟

وعندما يكتب المثقفون مقالات عن الوحدة ، ويتحدثون عنها ، ويتحمسون لها ، فاي وحدة يعني هؤلاء .

وعند ما ينادي الحاكمون فى اقطار المغرب العربي بوحدة هذا المغرب ، ويؤلفون اللجان المختلفة لدراسة مشاكل الوحدة واخراجها من نطاق الفكر الى نطاق الفعل ، فاي وحدة ينادي بها هؤلاء ؟

انه ما من شك فى ان مفاهيم هذه « الوحدات » الثلاث ليست واحدا ، بل ان المفهوم الواحد منها يتشعب بدوره الى مفاهيم لا تقف عند حصر .

فالمفهوم المستقر فى ضمير الجماهير عن الوحدة مفهوم « عاطفي » متميز بصفات العواطف المتارجحة بين الحرارة والاندفاع وبين البرودة والانكماش .

فهذه طائفة ترى الوحدة ضرورة من ضرورات الحياة ، ومصلحة اقتصادية ومعاشية ، فيها ازدهار وحركة للاسواق ، ونشاط للافراد والمشاريع والجماعات ، ومصدرا للقوة السياسية والعسكرية فيها عزة لنا ومنعة مجد طالما تمنيناها وسهرنا لاجلها، وهذه الطائفة لا تكاد ترى فى الوحدة غير هذه « الضرورة » الحياتية و « المصلحة » الاقتصادية و « القوة » السياسية والعسكرية .

وهناك طائفة اخرى من الجماهير تجاوز هذه المرحلة « الظاهرية » من مراحل الوحدة لتبحث فى المدلول « الجغرافي » و « السكاني » لهذه الوحدة ، ويكاد هذان المدلولان يكونان امرا واحدا فى نظرها ، ونحن نلاحظ ان هذه الطائفة من الجماهير تقترب من التفكير الواقعي فى الوحدة عندما تتجه فى تفكيرها مثل هذا الاتجاه ، ولكننا اذا مضينا ـ معها ـ فى تحليل هذين المدلولين ، وجدنا هنالك وجهات نظر متعددة فى الموضوع تتصف بصفات التفكير العاطفي ، المندفع حينا ، المنكمش حينا آخر ، السطحي تارة ، العميق تارة اخرى ، الثائر مرة ، الهادىء مرة اخرى .

فالمدلول الجغرافي للوحدة عند هذه الطائفة هو ذلك الذائع الشائع عند الكافة ، مدلول يشمل تونس والجزائر والمغرب الاقصى ، وهذا تفكير هادىء عميق ومعقول ، ولكن العاطفة سرعان ما تطغي عليه ، فتزيد عليه او تنقص منه ، بحسب حرارتها وبرودتها ، وسعتها وضيقها ، وتفاؤلها او تشاؤمها ، وباختلاف الطبقات الجماهيرية التي تفكر فيه : فنرى بعضها يضيف اليه ليبيا ، وفى بعض الاحيان قسما من حدود السودان ومصر ، ونرى بعضها الآخر يزيل منه ليبيا وتونس ، لبعدهما « جغرافيا » ويقتصر فى مفهومه للوحدة على مدلول « الجوار الجغرافي » والاتصال الارضي ، وهذا النوع من التفكير فى الوحدة على اساس من القرب او البعد الجغرافيين قريب من ذلك التفكير فيها على اساس من « المدلول السكاني » الذي نلاحظ عليه كثيرا من السطحية والانكماش : فسكان ليبيا ـ فى نظرهم ـ قريبون من مصر ، وهم خاضعون لتقاليدها وعاداتها ، وبعض لهجاتهم قريبة من لهجاتها، فهم لا يدخلون ـ سكانيا ـ فى وحدة المغرب العربي ،

وسكان تونس فيهم بعض صفات الكبرياء والتفاخر والتعاظم ، مما يجعل الوحدة معهم غير متجانسة ، ومما لا يدع لهم مجالا في الوحدة لهذه الاسباب .

وفي الجزائر كان « الجوار » دائما يؤلف بيننا وبينهم انسجاما في العادات وفي اللهجات وفي التفكير ، «الاتصال» الارضي دائما يقرب بينناوبينهم بالاضافة الى ما بيننا من روابط التزاوج والتصاهر والتصادق المتكاثرة .. مما يجعل اسباب الوحدة بيننا وبينهم متوفرة وممكنة .

ونحن وان كنا لا نقر هذا التفكير على عوجه ، وان كانت لنا ملاحظات وانتقادات على هذا النوع من التفكير الشعبي في الوحدة ، فانه يهمنا — قبل كل شيء — ان نستنتج من هذه النظرات الشعبية كلها « اجماعها » على قبول « فكرة الوحدة » اما من سيدخل في هذه الوحدة ومن سيخرج منها ، فذلك امر يتعلق « بوسائل » هذه الوحدة و « غايتها » ... واختلاف وجهات النظر — من بعد ذلك — ليس عيبا ولا بدعا في التفكير ، وانما هو امر طبيعي وضروري كذلك ، وانما « البقاء للاصلاح » ، وعندما تصلح النيات ، وتتجه النظرات جميعها نحو الوحدة فان الوحدة ستعرف كيف تشق لنفسها طريقها بين الورود او بين الاشواك، واذا كان الاخلاص رائدنا نحو الوحدة كانت الوحدة بالشكل الذي يرضى عنه الجميع ، ذلك ان امر الوحدة يهم الفرد بقدر ما يهم الجماعة ، فيجب ان يسهم في بنائها وفي التفكير فيها الفرد كما تفكر فيها الجماعة .

على ان مفهوم الوحدة الذي يتحدث عنه المثقفون في كتاباتهم ويتحمسون له كثيرا مفهوم « عقلي » يجانب العاطفة بالقدر الذي تكون فيه سطحية غير عميقة ، وهازلة غير جادة ، وهادمة غير بانية ، كما يجانب التفكير « الواقعي » في الوحدة بالقدر الذي يكون فيه غير متفق مع اخلاق الامة ، منافيا لعاداتها وتقاليدها غير مساير للتطور ، هو مفهوم غير عاطفي تماما ، وغير واقعي تماما ، لا يخضع للظروف ولا للاحداث ،ولا تحكمه الضرورات ، وانما هو تفكير حر منطلق يجاوز الوقائع والقيود الى ما وراء ذلك من عوالم الفكر الحرة المنطلقة .

وهذا النوع من التفكير ، وان كانت للنقد فيه سهام نافذة ، فهو سبيل الخلاص « للعاطفة » من حيرتها وتوقفها وتشاؤمها وترددها بين المفاهيم ، وهو نور يستضيء به « الواقع » في حالكات المشاكل التي تواجهه ، فالتفكير « المثقف » في الوحدة ضمان للوحدة من الانحراف مع تيار العاطفة الجارف ، وامان من المضي مع الواقع في طريق منحرفة عن الخط المستقيم للوحدة ، ذلك ان طريق الوحدة ليس من ورد دائما ، وانما هو في الواقع مزيج من ورد وشوك .

فالمفهوم المثقف للوحدة بالشكل الذي وصفناه مفهوم واسع هادىء رزين ، ومن غير الممكن ان تحدده كلمات في مقالة ، ولا ان تحيط به سطور في كتاب ، انما يحدده المثقفون جميعا في انحاء المغرب العربي ، وانما تحيط به كتاباتهم ورسائلهم في الموضوع الى ان تقوم الوحدة ، ومن بعد ان تقوم الوحدة ، هو اذن مفهوم مستمر متجدد .

فاذا تحدث عنه مثقف او رسم له بعض خطوطه واتجاهاته ، فهو انما يتحدث عن لمحات ونظرات ، وهو انما يتلمس طريقه للوحدة من بين طرقها المتعددة المتشعبة .

واول ما يهم المثقف من مفاهيم الوحدة مظهرها الثقافي ، ذلك ان تعدد الوان الثقافة في المغرب العربي امر مشاهد ملموس ، ولقد تفاوتت الازمة التي خضع فيها كل قطر من اقطار المغرب العربي للاستعمار ، ولثقافته وحضارته ، وتبعا لذلك غلبت الثقافة الاجنبية وصارت طابعا مميزا لمعظم مثقفي المغرب وصارت قاسما مشتركا ونقطة التقاء المثقفين المغاربة.

والى جانب ذلك يوجد لون آخر له طابع مميز هو الطابع العربي الذي يلتقي حوله المثقفون بالعربية ممن خرجتهم المعاهد التقليدية في اقطار المغرب ، او ممن تلقوا دراستهم العالية في احد المعاهد العربية بالقاهرة او بغداد او دمشق او غيرها من الاقطار العربية .

فهذه الالوان الثقافية المتعددة تجعل اصحابها يفكرون في الوحدة ويتصورونها في اطار من ثقافتهم التي تلقوها وتشبعوا بها ، وليس بضائر للوحدة في شيء ان يختلف تصورها من مثقف الى آخر ، او يتعدد مفهومها عند هذا او ذاك ، ولكن الذي يضر الوحدة حقيقة ، الا تؤمن بها طائفة من هؤلاء المثقفين ، او يخرج عن صفها منهم خارج ، او يكفر بمبدئها منهم كافر .

واختلاف وجهات النظر ، في نطاق التسليم بمبدا وحدة المغرب امر ينفع الوحدة ولا يضرها في شيء ، وكلما ازدادت مفاهيم الوحدة الثقافية تعددا واختلافا كان ذلك ادعى الى طول عمرها وزكاتها .

وتتأثر مفاهيم الوحدة ، بعد ذلك باسلوب المثقفين التفكيري في الحياة عامة : فهذه طائفة تهتم بالمفاهيم الاسلامية للوحدة ، وتجعلها عنصرا فعالا في حياة هذه الوحدة وقابليتها للحياة ، وعلى غيرها لا يمكن ان يقوم بشيء ، ويمكن ان ندرج في هذا المفهوم كل ما يقاربه من مفاهيم عاطفية واخلاقية وتاريخية ولغوية : فنحن في هذه الاقطار المغربية قد خضعنا جميعا لالام واحدة ، جعلت لنا آمالا واحدة مشتركة في المستقبل ، لدرجة ان اقطارنا التي استقلت حديثا ، كانت تعتبر — بحق — استقلالها غير مستقر ولا كامل الا بتمام استقلال الاجزاء الاخرى المستعمرة من الوطن المغربي .

ثم ان العادات والتقاليد في سائر انحاء المغرب واحدة ، والمثل العليا التي تؤمن بها الجماهير مثل اسلامية واحدة ، والتاريخ تاريخ واحد منذ الفتح الاسلامي — ومنذ ما قبل الفتح الاسلامي فيما يقال — حتى يومنا هذا الذي تشد فيه هذه الاقطار عزمها على المضي صفا واحدا نحو آمال واحدة ومستقبل واحد وتاريخ واحد .

واللغة لغة واحدة ، ولكن اية « لغة » هذه هي الواحدة ؟ لا شك عندي — رغم ان الادارة ومعظم المرافق الحية في مختلف اقطار المغرب تسيطر عليها اللغة الاجنبية — في ان اللغة الواحدة التي يمكن ان يجتمع حولها مغرب عربي متحضر انما هي اللغة العربية ، على الرغم من انها في الوقت الحاضر ليست لغة العلم ولا لغة الادارة ولا لغة السياسية ، ذلك لانها لغة وطنية « مقدسة » جعل لها الدين الاسلامي مكانا معينا في نفوس الجماهير ، حتى صارت من الحرمات التي لا تمكن ان تنسى ولا ان تداس ، وفي اعتقادي ان قدسيتها هذه ستعمل عملها في القريب لتصبح اللغة العربية لغة العلم والادارة والسياسة في المغرب العربي المقبل كما كانت بالامس لغة الدين والسياسة جميعا ، ان هذا امل دفين في خبيئة كل قلب مخلص مهما كان جهله بهذه اللغة تماما ، وعمله بغيرها من اللغات وسيلته المعاشية الوحيدة في الحياة . ان هذا من اسرار القدسية الكامنة في اللغة العربية ومن دلائل اعجازها وعبقريتها المستمرتين على الدهور .

وهناك طائفة اخرى من المثقفين تشغل نفسها بالمفاهيم الحديثة للوحدات وفلسفتها ، وباشكالها واساليبها ، وبوسائلها وغاياتها ، ولكنها — في حقيقة الامر — لا تستطيع او لا تكاد تستطيع الخروج عن ذلك الاطار الاسلامي للوحدة كما حددناه قبل قليل .

فمفاهيم الوحدة عند المثقفين اذا بحر لا ساحل له — كما يقال — ولكننا مضطرون للاكتفاء بهذه الصورة الخاطفة ، معتبرينها خطوطا كبيرة للمفاهيم الوحدوية الكبرى في المغرب العربي المثقف .

حتى اذا تجاوزنا هذين المفهومين قليلا لم يكن لنا مفر من اعتبار المفهوم « السياسي » للوحدة مفهومها الثالث « الواقعي » الذي يضع المشكل على بساط الدرس ، ويحاول ان يخرجه في صورة او في اخرى من نطاق الفكر الى نطاق الفعل ، ومن مجال السكون الى مجال الحركة .

الجهاز السياسي في اقطار المغرب العربي «مجمع» على قبول مبدا الوحدة ، وكما يبدو من خطبه وتصريحاته انه منهمك في اعداد الخطة لايجاد الحلول العملية لمختلف مشاكل وحدة المغرب العربي .

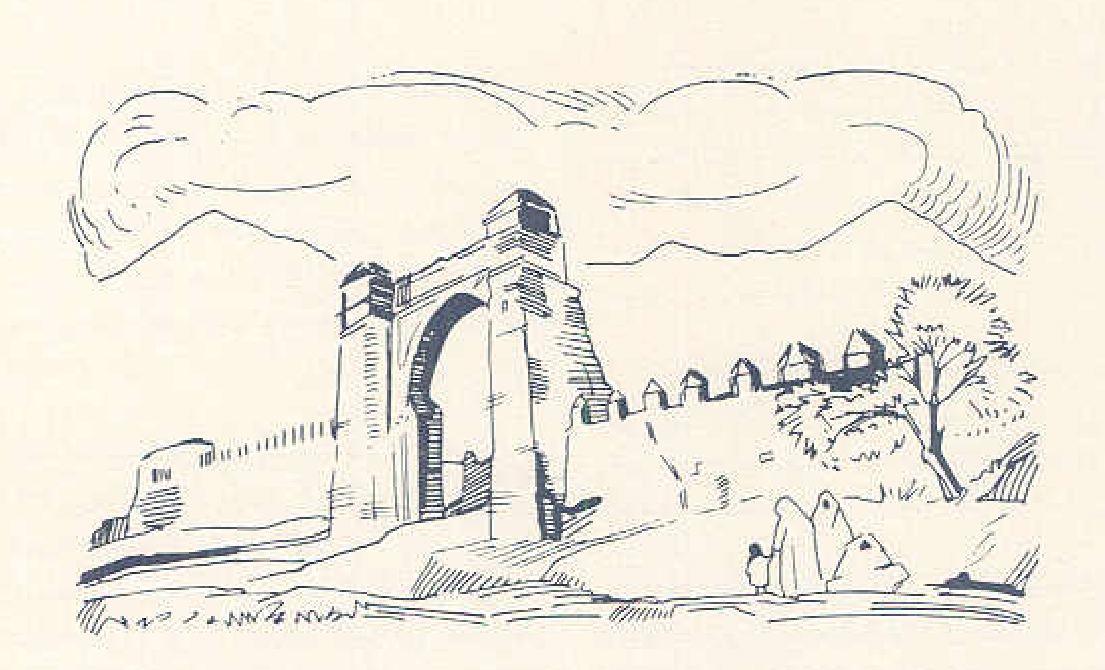
وفي تحليلنا للمفهوم السياسي للوحدة ، ليس في استطاعتنا في الوقت الحاضر ان نضيف شيئا على ما قدمنا من قبل ، الا ما يتفق وطبيعة هذا المفهوم من « واقعية » و « عملية » تفرضان عليه التقيد بالاحداث الداخلية لكل قطر وبالمشاعر الوطنية الاخرى الموجودة ايضا في كل قطر والمؤمنة بالعروبة وبالاسلام الى جانب ايمانها بالمغرب العربي ، كما تفرضان عليه النظر الى الظروف القارية والدولية الملائمة لاعلان هذه الوحدة والمناداة بها بالشكل الذي تتفق عليه هذه الاقطار .

المفهوم السياسي في كلمتين يهتم بالحلول العملية لمشاكل الوحدة قبل العاطفية ، و « بما هو كائن قبل ما يجب ان يكون » .

تلك محاولة متواضعة لعرض المفاهيم المختلفة للوحدة المغربية على الصعيد الجماهيري والثقافي والرسمي ، ولا ضير على اي مواطن في ان يتصور وحدة « مغربية » كما يشاء ، انما المهم الا يختلف معنا في المبدا ثم لا عليه بعد ذلك ان ينصرف الى حيث يشاء . ولعلي بهذا العرض ان اكون قد حاولت التقريب بين وجهات الانظار المختلفة ، وذلك بعرضها ، جنبا الى جنب ، على صعيد واحد ، هو الصعيد الذي ينبغي ان نعرض عليه دائما . . .

هذا ولو كنا في مجال خطابة او اثارة لعواطف الجمهور ، لقلنا مع القائلين منذ البدء ان المفهوم المستقر في ضمير الجماهير هو المفهوم الحقيقي للوحدة والتعبير الصادق الامين عنها ، اما وقد تعلق الامر ببحث جدي ، وتحليل موضوعي فقد اختلف الامر ، ووجب ان نعرض لمختلف المفاهيم ، خدمة للفكرة السامية التي يؤمن بها كل قلب مخلص في انحاء هذا المغرب .

سلا : عبد الله الكامل الكتاني



فقيد الأدب العالمي

وليم فولكنر

ترجمة الأستاذ : إبراهيم الهواري

« عرف الادب الامريكي المعاصر في العالم بثالوثه الرائع : همنغواي (1898 / 1961) ووليم فولكنر (1898 / 1962) وشتاينبك (1902 / ....) وقد رزيء الادب العالمي في همنغواي في صيف العام الماضي ، وفي يوم الجمعة 6 يوليوز المنصرم مات فولكنر ولم يبق في الحلبة الا شتاينبك » .

منذ سنة بالضبط طلب مني ان اكتب مقالا عن همنغواي الذي كان قد توفي آنئذ ، واليوم يطلب مني ان أكتب عن فولكنر غريمه ونده ، فما هي الصفات الموحدة بينهما في اعين الناس ؟ لقد كانا القاصين اللذين كان لهما ابلغ الاثر في تطور القصة في السنين الاخيرة. وكانا الامريكيين اللذين وعيا اوربا والحياة عن طريق الحرب ، ثم ان الكحول كان السبب المباشر او الغير المباشر في موتهما ، تلك هي صفات التقارب بين الرجلين ، فهل ثمة تشابه آخر بينهما ؟ نعم ، فقد كان كل منهما يقاوم حياته ليصبح اديبا .

اما الفروق بين همنغواي وفولكنر فهي اكثر من عوامل التشابه بل هي اعمق من الفروق الموجودة بين شمال الولايات المتحدة وجنوبها ، وابعد من الفرق بين الظاهر والداخل والمظهر الخارجي والغور الخفي.

ففي اقصوصة « موت في الظهيرة » نجد ان همنغواي يدعي في صلف بعد كتابتها بانه « بز ستندال وفلوبير » ثم يضيف بان في امكان فولكنر ان يستلهم منها قصة كاملة .

لقد كان همنغواي وجيز العبارة حاد الطبع . اما فولكنر فكان تطهريا Puritanisme شاعري الاسلوب غامضا .

لكن لما ذا اقحمت نفسي في هذه المقارنة ؟ ذلك لان الشكوك تساورني في مشاطرة ذوي الراي القائل : بان فولكنر كان اعظم كاتب حي .

وأؤكد قولي « كاتب » لا « قاص » لانني لا ارى شاعرا او مسرحيا في عصرنا وفق الى حشد عديد من الاشياء في تاليفه قدر توفيق فولكنر ، فقريحته القصصية الخلاقة المعطاء استطاعت ان تمزج بين اللهجات القومية الواقعية والكتابة الفنية ، هذا المزيج الذي يحمل في طياته تاريخ الاثار الادبية العظيمة : هو ميروس ، الكتاب المقدس ، شكسبير ، وجميع ادباء القرن التاسع عشر ، وبروست وجيمس جويس James Joyce اني انزل فولكنر منزلة بلزاك ودستويفسكي وديكنز وكونراد وميلفيل و ... لقد كدت ان الفظ اسم شكسبير ، لكن هذا لن يكون صائبا ، وسنرى لما ذا .

في الليلة المنصرمة اراني صديق المقدمة التي كتبها فاليري لاربو V. Larbaud لكتاب فولكنر « بينما احتضر » ، وحين قرانا في المقدمة : « اننا نستقبل ترجمة جيدة لقصة عن الاخلاق الريفية في ولاية ميسيسيبي حيث ولد كاتبها فولكنر سنة 1897 وحيث ما زال يقيم » ابتسمنا لاننا احسسنا اننا جد بعيدين عن مالرو القائل : « ان فولكنر اقتحم بكتابته التراجيديا اليونانية في القصة البوليسية » .

لا مراء في ان معرفتنا لفولكنر تستدعي معرفتنا لجنوب الولايات المتحدة حيث نلاحظ ان من العسير على المرء هناك ان يتجاوز البيئة الى احتضان العالم . ان حالة فولكنر شديدة الشبه بحالة دوستويفسكي الذي تنبأ رغم محافظته بالثورة البلشفية .

اما فولكنر الذي شهد حضارة لم يعرف فيها الا الانتقاضات الاخيرة للعدالة فانه لم يجشم نفسه محاربة الميز العنصري بل اقتصر على ان جعل منه ملحمة . فالسود ـ في نظر فولكنر ـ يقتدون البيض بآلامهم مثل نانسي Nancy (بطلة قصة المعبد) الباغية السوداء التي افتدت بتضحيتها الانسانية خطايا معبد دريك Drak اما الاخرون : السفلة والمتعجرفون ، والمهزومون في الحرب الانفصالية ، والسكيرون ، والبغايا ، وابناء العائلات القليلة القيمة وبناتها ، والفلاحون الجشعون والطيارون الفاشلون ، والعضليون الجبناء القاصرون ، والصيادون ، والعلماء ، والابطال ، والعشاق الذين لم يبق لهم من غرامياتهم غير ظلال لها ـ هؤلاء جميعا لم يوجدوا في كتابات فولكنر الا ليسهموا في الملحمة التي عبر عنها شكسبير في « ماكبث » بذلك البيت الشعري الذي اتخذه فولكنر عنوانا لاجمل قصصه : **« ما الحياة الا حكاية يرويها معتوه ، تطفح بالصخب والعنف ، ولا تعني أي شيء على الاطلاق »** .

ومثلما كانت الاسطورة عند الاقدمين ، وايطاليا عند شكسبير ، وسانت بطرسبورغ او موسكو عند دستويفسكي ، وباريس عند بلزاك .. فان جنوب الولايات المتحدة عند فولكنر كان هو الاخر عالما صغيرا تضطرم فيه اهواء الناس حانقة الى حد الاجرام ، وتسود فيه ـ كما قال فيكتور هيغو ـ : « تلك الشمس المرعبة السوداء التي يشع منها الليل » ليل الحياة ، لكنه ايضا نور خلق قصصي لا مثيل له في الاداب العالمية في الثلاثين سنة الاخيرة ، هذه الاداب التي كتبت قصدا لتصوير عالم يموت .

* * *

رفض فولكنر الاهتمام بالتراجيديات العظيمة في عصرنا ـ باستثناء حرب 1914 ـ فظل بذلك آخر كاتب تراجيدي ، انه الكاتب الوحيد الذي عرف واستطاع ان يقارن الانسان بشيء يفوقه ، هذا الشيء الذي امسى من الصعب ذكر اسم له : ان ميتولوجية فولكنر كاثوليكية ، لكن فولكنر نفسه لم يكن كاثوليكيا .

لست افكر الان في شخوص قصص فولكنر فانا بعيد عنها ، وانما افكر في الرجل نفسه كما صوره لي في كتاباته احد افراد عائلته .

ان قراءة كتب فولكنر تعيد الى ذهني صورة ذلك الرجل المنزوي في حجرة مظلمة ذات جدران مغطاة بالرسوم والخرائط والاشارات التي تسمح له بالرجوع الى نفسه كلما تاه ، وقد انكب على عمله حتى الفجر وبجانبه زجاجة ويسكي ، حتى اذا انبلج الصبح تدخل الخادمة السوداء الشمطاء فتجده ملقى على الطاولة والحبر بجانبه مراق فتاخذه الى سريره وتنيمه كالطفل .. ان قراءة تلك الكتب تجعلني افكر ايضا في ذلك الكاتب الذي خط اصعب مؤلفاته واكثرها حدة على ضوء « مصباح بنزين » ، وتدفعني الى افكار تكريم كافو Gaveau سنة 1950 حيث ظهر فولكنر بجانب اندري مالرو على المسرح ، محتقن الدم ، جامد السمات لانه كان وشيك الابلال من مرض اصابه من الكحول وكاد ان يتسبب في الغاء التكريم ، لقد وقف الجمهور في ذلك اليوم وصفق له بحرارة مدة عشرين دقيقة دون ان تتحرك ملامحه ، حتى انه كان بوسعنا ان نتساءل : اكان يعي حقا اين تقف قدماه؟..

ان كل ما نستطيع قوله عن حياته ـ باستثناء الجنوب الامريكي والمحبة الفياضة التي كان يكنها لابنته التي غادر من اجلها اكسفورد الى فرجينيا حيث تزوجت ـ لن يفيدنا في شيء ، ففولكنر اصيل في كتابته اصالة لم يسبقه اليها غيره ، فهو في كتبه لم يكن غير ذاكرة جامعة لذكريات قديمة تشكل صورة لتاريخ تلك المدينة الجنوبية التي صور اعمالها .

لقد كان فولكنر يعرف ـ مثل بطل قصته « نخيل البراري » Les palmiers sauvages : ذلك الطبيب الشاب الذي حوكم لانه قام بعملية اجهاض ـ انه : « اذا كانت الذكرى توجد خارج ذات الانسان فانها لاتبقى ذكرى لانها لن تعود صدى للشيء الذي نتذكره (...) ، واذا توقفت انا عن الحياة فان الذكرى تقف هي الاخرى عن الحياة ، ولو خيرت بين الكآبة والعدم فساختار الكآبة » .

ان من العبث ان نبحث بين كتب فولكنر القصصية والروائية عن كتاب يمكن ان نضعه في طليعة كتبه ، فمؤلفاته مجتمعة هي التي تحمل في ذاتها ابلغ دلالة .

القنيطرة : ابراهيم الهواري

ابن جزي كاتب رحلة ابن بطوطة

للأستاذ: محمد بن عبد العزيز الدباغ

لا يليق بالذين يكتبون عن رحلة ابن بطوطة ان يهملوا الحديث عن كاتبها ابي عبد الله بن جزي الاندلسي لان اهمال الحديث عنه يكون مضيعة لعمل جليل قام به، ومحوا لتعاون ادبي صادق كان موجودا بين المغرب والاندلس في عهد المرينيين.

فابن جزي هذا هو الذي طبع رحلة ابن بطوطة بطابع الادب في كثير من فصولها، وجعلها بعيدة عن الاسفاف في التعبير، والضعف في التصوير، لانه كان يمتاز بسعة ثقافية وحسن ترصيفه للمعاني بالفاظ بديعة وجمل رفيعة لا تعقيد فيها ولا غموض، وهو الذي بفضله اصبحت هاته الرحلة نموذجا ادبيا خالدا يصور عصرا من عصور الازدهار المغربي في العلم والادب، لانه استغل في تأليفها كل طاقاته الادبية حتى اكتسبت بفضله الخلود وذلك امر طبيعي، فالادباء هم اقوى على تخليد المرئيات والصور من غيرهم، وهم اقدر على التعبير عن المعاني باساليب جذابة تستهوي القارئين وتستميلهم الى الاستزادة من الاستطلاع.

وحيث ان رحلة ابن بطوطة كانت تسجل مشاهدات مختلفة، ومرئيات متعددة، وتتحدث عن آثار ملوك ودول وتصف مسالك وممالك، وتعبر عن الحياة العامة لكثير من المجتمعات والعوائد، وتعلق على كثير من الاحداث السياسية العامة، فانه كان من الضروري ان يستعان في التعبير عن هاته الرحلة باديب له القدرة على التصوير يجعل من الحوادث صورا ناطقة تشوق القارىء الى مشاهدة تلك الاماكن نفسها.

وانما كانت هاته الاستعانة ضرورية، لان ابن بطوطة لم يكن اديبا وانما كان رجلا فقيها، وهو بنفسه يعترف بذلك فقد خيره يوما ملك الهند بين الوزارة، والكتابة، والقضاء، والمشيخة، فقال: (اما الوزارة والكتابة فليست شغلي واما القضاء والمشيخة فشغلي وشغل آبائي) (*) وانما فضل القضاء على الوزارة والكتابة لانه يعرف مقدرته في الفقه الاسلامي ويعلم ان هاتين الوظيفتين تحتاج الى متانة في الاسلوب وعلم بالادب.

والحقيقة ان اسلوب ابن بطوطة كان ضعيفا ويظهر ذلك في بعض الفصول التي لم تهذب وفي بعض الاشعار التي نظمها وذكرها في رحلته، فاسمعه مثلا يمدح ملك الهند ابا المجاهد محمد بن تغلق (*)

اليك امير المؤمنين المبجلا
اتينا نجد السير نحوك في الفلا

فجئت محلا من علائك زائرا
ومغناك كهف للزيارة اهلا

فلو ان فوق الشمس للمجد رتبة
لكنت لاعلاها اماما وموئلا

فانت الامام الماجد الاوحد الذي
سجاياه حتما ان يقول ويفعلا

ولي حاجة من فيض جودك ارتجي
قضاها وقصدي عند مجدك سهلا

اأذكرها ام قد كفاني حياؤكم
فان حياكم ذكره كان اجملا

فعجل لمن وافى محلك زائرا
قضا دينه ان الغريم تعجلا

(*) رحلة ابن بطوطة طبع سنة 1322 هـ الجزء الثاني صفحة 81

(*) نفس المصدر صفحة 3.

فهذا الشعر اقرب الى المنظومات الفقهيـة منه الـى الادب .

وليس يعتبر ضعف الاسلوب الادبي عنـد ابـن بطوطة تنقيصا لقدرته العلمية فاننا اذا استقرينا حياته في رحلتـه نجـده قد كـان مولعا بالفقـه والحديث والتصوف ، حريصا على اكتساب المعرفة ، لا يـزور مدينة الا ذكر علماءها وفقهاءها وصلحاءها واساتذته بهـا ، فهو قد سمع في دمشق صحيح البخاري واجازه بها عدد من العلماء والعالمات ، كما سمع ببغداد مسـند الدارمي ، واتصل بعدد كبير من العلماء بمكة وغيرهـا من المدن زيادة على انه لم يخرج من المغرب الا بعد ان درس القرآن وكتب الفقه المالكي بدليل توليه القضاء بمجرد وصوله الى تونس حين ابتداء الرحلة ، ولعلـه كـان له المام بسير القضاء نظرا لاهتمام اسرته بذلك، فقد حكى كما تقدم ان القضاء شغله وشغل آبائـه ، فاسـرة ابن بطوطة يمكن ان نعتبرها اسرة القضاء وقد ذكر هو بنفسـه حين زيارة مدينة رندة بالاندلس انـه زار قاضيها وهو ابن عمه الفقيه ابو القاسم محمد بن يحيى ابن بطوطـة .

فابن بطوطة اذن كانت دراسته الاسلامية مقتصرة على الجانب العلمي ولم تكن مزيجة بالادب مما جعـل منهجه في الكتابة بعيدا عن منهج الادباء ، وهذا هـو السبب الـذي دعـا ابا عنـان الى اصدار امـره لابن جزي بكتابة الرحلة ، فقد قدمت في بحث سابق ان اصدار الامر يرجع الى سببين : امـا الاول فسياسي وقد بينت ذلك عند الحديث عن بني مرين من خـلال رحلة ابن بطوطة ، واما السبب الثاني فأدبـي محض يرجع الى هلهلة اسلوب ابن بطوطة والى القوة الادبية التي حظي عليها ابن جزي .

وكاني بالقارىء بعد تتبع مجرى الحديث عـن هذا الارتباط الموجود بين ابن جزي ورحلة ابن بطوطة سيسـال عن ابن جزي هذا ، وعن قدرته الادبية التـي كان متصفا بها ، وعن مدى تاثيره في تدوين الرحلـة .

اما ابن جزي فهو ابو عبد الله بن ابي القاسـم محمد بن احمد الكلبي الذي يرجع نسبه الى بيت بني جزي الشهير بالمغرب والاندلس . ولد سنـة 721 هـ بمدينة غرناطة مقر الدولة النصرية آنـذاك وعصارة حضارة العرب بالاندلس ، ومجمع العلماء والادبـاء ومركز الثقافة والعرفان ، فنشأ وتربى في احضانهـا وافاد من نشاطها العلمي ، واعانه على ذلك وجـود اسرته التي كانت مولعة بالادب ولوعا عظيما ، ومهتمة بالثقافة الاسلامية اهتماما بالغا ، ويكفيك دليلا علـى ذلك ان اباه هو ابو القاسم محمد بن احمد بن جـزي الكلبي الذي اشتهر في غرناطة وتولى الخطابة بمسجدها الاعظم على حداثة سنه والف كتبا متعددة في الفقـه والاصول والقراءات ، وهو صاحب كتاب القوانيـن الفقهية الشهير ، مات شهيدا بجزيـرة طريف سنـة 741 هـ .

ولم ياخذ العلم عن ابيه فقط. فقد كان له اخوان مشتهران في عالم الادب والشعر ، اما احدهما فهـو ابو بكر احمد الذي كانت له مشاركة في كثير من العلوم وهو الذي صدر اعجاز قصيدة امرىء القيس تصديرا بديعـا فيقـول :

اقـول لعـزمـي او لصالـح اعمالـي
(الا عم صباحـا ايها الطلـل البالـي)
اما واعظـي شيب سمـا فـوق لمتـي
(سمو حباب المـاء حـالا على حـال)
انـار بـه ليـل الشبـاب كـانـه
(مصابيـح رهبـان تشـب لقفـال)
نهـانـي عـن غـي وقـال منبهـا
(الـسـت ترى السمار والناس احوالي)؟
يقـولـون غيـره لتنعـم برهـة
(وهل يعمن من كان في العصر الحالي)
اغالط دهـري وهـو يعلم انني
(كبـرت والا يحسن اللهـو امثالـي)

الى نهاية هاته القصيدة التي ارى مـن واجب القراء ان يرجعوا الى اصولها ليدرسوها . (*)

(*) نفح الطيب للمقري الجزء الثامن من الطبعـة الجديدة التي حققها وعلق عليها الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد صفحة 32 ــ وكتاب ازهار الرياض لنفس المؤلف مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر الجـزء الثالث صفحة 182 .

واما اخوه الثاني فهو ابو محمد عبد الله بن جزي الـذي يقـول :

لقـــد قطعت قلبـــي يا خليلـــــي
بهجـر طـــال منـك علـى العليـــل
ولكـــن مـــا عجيـب منـك هـــذا
اذ التقطيـــع مـــــن شـــان الخليـــل

ومـمـا لاريب فيه ان هذا الاطار العلمي والادبي قد اثر فيه وصهره وجعله يسير على نسق اهلـــه في النثر والشعر فبرع في الصناعتين ، وتصدر لقـرض الشعر يمدح به ملوك بني الاحمر النصريين خصوصا سابع ملوكهم ابا الحجاج يوسف ابن اسماعيل ، ولكن علاقته بهاته الدولة قد انفصمت بسبب الاهانـة التي مني بها من لدن ابي الحجاج فقـد ضربه سياطا ، لا لذنب اقترفه ، ولا لمخالفة ظهرت منه ، وانما ليطمئن بعد ذلك الى محبته اذا ما استمر على الاتصال به بعد هذا الامتحان ، ولكن ليس من المعقول ان يرضى ابـن جزي بهذه الاهانة العظمى ، وهو الذي هياه ابوه علـى الانفة وعلمـه التضحية وحبب اليـه شرف النفس ، فرحل من غرناطة واقبل على فاس تلك المدينة التـي كانت تضم حينذاك اشهر العلماء وترحب بهم من كل جانب ، فان ملوكها المرينيين كانوا يعملون جهد امكانهم على نشر الثقافـة واحيائهـا ، ولذلك ازدهـر الادب المغربي حينذاك لانه اصبح متصـلا بالادب الاندلسي وتظاهر بعضه ببعض ، واصبح الادباء يعملون من اجل تحقيق غاية هاته الدولة المهتمة بهم والعاكفة علـى حماية الثقافة من الانهيار خصوصا بعـد ما اصبحت الارض الاندلسية مهددة من قبل الاسبانيين ومشرفة على الهلاك والانقراض بسبب ظلم النصريين بنـي الاحمر الذين كانـوا يتآمـرون على المصالـح العليـا للمسلمين ويؤازرون الدولة الاسبانية احيانا خوفـا من سلطة المرينيين ، وبذلك كانوا ينتحرون ويقضون على ما تبقى من الدولة الاسلامية بالاندلس وهذا هـو السبب الذي جعل نهايـة الاندلس تكـون في عهدهم وعلى يـدهـم .

فبنو الاحمر كانوا يستهترون بالحكم ويتناسون واجبهم كملوك للمسلمين ، والا كيف يبيح ملك لنفسه ان يقوم بضرب رجل عالم اديب ليطمئن الى اخلاصه اذا ما استمر على الاتصال به بعد هاته الاهانة ، انهـا لمجازفة بالقيم الروحية وبالكرامة العلمية وهو ظاهـر يتجلى فيما يقوم به هؤلاء الملوك النصريون من اعمـال جائرة ، ولكن المغرب قد هيأ نفسـه ليكون ملجأ لهؤلاء العلماء يحميهم من هذا الاستهتار بالقيم ويعينهم على نشر افكارهم ، ويشجعهم على التاليف ، والتعليـم ، ويقدم اليهم المناصب الكبرى في الولاية ، ولذلك وجد ابن جزي حين فراره من ابي الحجـاج يوسـف ابن اسماعيل في ابي عنان خير خلف ، فولاه كتابة الدولة. ومن المعلوم ان وظيفة الكتابة كانت من أهم الوظائـف التي لاتسـند الا لذوي الكفاءة العظمى في كثير مـن المواد العلمية ، ولا يرشح اليها الا الادباء حتى اصبحت الكتابة تحتاج الى نظام خاص والى قدرات سجلهـا عدد من المؤلفين في كتبهم ، وخير مثال لذلك كتـاب (صبح الاعشى في تعليم الانشاء) للقلقشندي .

ولـمـا وجـد ابن جـزي مـن ابي عـنـان حسن الاستقبال طابت نفسه اليه ، وشحذت قريحته واصبح شاعرا من شعرائه يمدحه في كل المناسبات ويبدع في المـدبـــح .

ولا باس ان نورد هنا قصيدة من قصائده يمدح بها ابا عنان المريني لنعرف مقدرته على التعبير ، وقوته في التصوير وولعه بالجناس واعتناءه بالبديـع شان معـاصريـه قـال :

ان قلبـي لعهـدة الصبـر ناكـث
عن غـزال في عقـدة السحـر نافـث
اضـرم النـار في فـؤادي وولـى
قـائـلا لا تخف فانـي عـابـث
ورمـانـي مـن مقلتيه بسهـم
ثـم قـال اصطبـر لثان وثالـث
كـم عـذول اتـى يشاظر فيـه
كـان تعذالـه على الحب باعـث
ويميـن آليتهـا بالتسلـي
فقضـى حسنـه بانـي حانـث
جبـر اللـه صـدع قلـب عميـد
صدعت شملـه صـروف الحـوادث
فهـو يهفـو الـى البـروق ويـروى
عـن نسيـم الصبـا ضعيف الاحادث
سلبتـه الاشجـان الا بقـايـا
مـن امـان حبالهـن رثـائث
وبكـاء علـى عهـود مـواض
مـلأت صـدره همومـا حدائـث
لسـت وحـدي اشكـو بلية وجـدي
ان داء الفـرام ليـس بحـادث

يا مضيع العهود والله يعفو
عنك اني ارتضيت خطة ناكث ؟

غرني منك والجمال غرور
وظبا اللحظ في القلوب عوابث

مقبل يقسمن اعشار قلبي
بالرضا مني اقتسام الموارث

كيف غيرت بانتزاحك حالي
وتغيرت لي ولست بحارث؟

فرط حبي وفرط بخلك آلى
ان عينيك بالفتور نوافث

وندى فارس وحسنك ردا
قول من قال سد باب البواعث

ملك الباس والندى فهو بالسـ
ـيف وبالسيب عائث او غائث

محرز المجد والثناء فهذا
سائر في الورى وذلك لابث

اوطا الشهب رجله وترقى
صاعدا في سموه غير ماكث

فدرار تسري وما لحقته
ونجوم خلف القصور لوابث

وله المقربات لا بل هي العقـ
ـبان من فوقها الليوث الدلاهث

مطلعات من كل نعل هلالا
فلهذا تجلو دجى كل حادث

ان ترافعن فالجبال الرواسي
او تسابقن فالغيوث الحثائث

والمواضي كأنها قد اعيرت
حدة الذهن منه عند المباحث

هي نار محرقات الاعادي
وهي ماء مطهرات الخبائث

فيردن الوغى ذكورا عطاشا
ثم يصدرن ناهلات طوامث

من معانيه قد راينا عيانا
كل فضل بنصه من يحادث

خلق كالنسيم مر سحيرا
بالازاهير في البطاح الدمائث

في سبيل الاله يقصي ويدني
ويوالي في ذاته ويناكث

شرف الملك منه سام وحام
ففدته سام وحام ويافث

هاكها من بنات فكري بكرا
ليس يسمو لها من الناس طامث

ذات لفظ لا يعتريه اختلال
ومعان لا تنتحيها المباحث

زعماء القريض ابقوا بقايا
كنت دون الورى لهن الوارث

من اراد انتقادها فهي هذي
عرضة البحث فليكن جد باحث

ان هذه القصيدة تظهر منهج ابن جزي في شعره ، فهو جزل الالفاظ متين العبارة ، قوي الخيال يعتمد على التزيين والصنعة في كثير من ابياته ، ويتصرف في انواع البديع من جناس وطباق ومقابلة ، ويسير على نهج القدماء في حسن المطلع وحسن التخلص وحسن الخاتمة ، لذلك نراه ابتدا قصيدته بالغزل وصور في مقدمتها عبث المحبوب بقلبه وكيف افقده المقاومة لانه اصيب بسهام من مقلتيه حتى اذا اراد ان يسلو عنه وجد من حسنه ما يدعوه الى الحنث :

ويمين آليتها بالتسلي
فقضى حسنه باني حانث

وفي هاته المقدمة يتنازل الى حكم القضاء ويعترف بانه ليس وحيدا فيما يقاسيه ويستدل في التعبير عن ذلك ببعض الوان البديع فيقول :

لست وحدي اشكو بلية وجدي
ان داء الغرام ليس بحادث

حتى اذا انتهى من الغزل تخلص الى المدح بقوله:

وندى فارس وحسنك ردا
قول من قال سد باب البواعث

وفي هذا التخلص اظهر الدواعي التي تبعث الشاعر على التفنن بشعره وتحرك فيه جذوة العاطفة فيصهرها ابياتا ناطقة بما يكنه في الفؤاد .

ان هاته الدافع ترجع الى صفتين لماعتين : اما الاولى فالكرم وقديما قالوا : اللهى تفتح اللها ، واما الثانية فالجمال ، وشاعرنا يفيض شعرا لانه يستمتع بالعاملين معا فابو عنان منبع الكرم ، وعشيقه منبع الجمال ولذلك انطلق لسانه بالشعر ، ورد على

الذين قالوا : «ان بواعث الشعر قد محيت من الوجود»
قال ابن الصباغ العقيلي معلقا على هذا البيت (*) :
ما ابدع تخلصه للمدح واطبعه ، فانه اشار الى قول
الشاعر رادا عليه بالتبكيت ومعلقا عليه بالتعنيت :

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة
باب السماحة والملاحة مغلق
مات الكرام فلا كريم يرتجى
منه النوال ولا مليح يعشق

واستمر في مدح الملك بعد ذلك وهنا اظهر فنه المعهود واصبح في شعره شبيها بابي تمام الذي كان لايصوغ الشعر الا بعد التزين بالمحسنات اللفظية والمعنوية ، الا ترى الى قوله :

ملك الباس والندى فهو بالسـ
ـيف وبالسيب عائث او غائث

انه في هذا البيت اتى بمقابلة بين صفتين يمتاز بهما ابو عنان وتعمد في التعبير عنهما جناسا بين السيف والسيب وبين كونه عائثا وغائثا . ثم سما شعره حين قال في وصف الملك :

محرز المجد والثناء فهذا
سائر في الورى وذلك لابث

ان القارىء يشعر في هذا البيت بقوة شعرية استطاع بها ابن جزي ان يعبر عن هذا المعنى الطريف بهذا النوع من الايجاز ، انه ليس هناك في المدح للملوك اعظم من مجد لابث لايفنى ولا يزول ، ومن ثناء سائر في الورى تتناقله الاجيال وتتحدث عنه الالسنة لايحد بصقع ولا توقفه الحدود .

ولقد احسن شاعرنا حينما كان يصف الخيل والفرسان والسيوف ، وهو حينما اراد ان يعبر عن حدة هاته شبهها بحدة ذهن ابي عنان ، وبذلك شبه المحسوسات بالمعاني اعتبارا منه بشهرة ذكاء ابي عنان في كل مكان .

والمواضي كانها قد اعيرت
حدة الذهن منه عند المباحث

ولقد عبر عن الشدة التي تهوي بها السيوف على رؤوس الاعادي بانها تتقدم الى الوغى وكانها الذكور العطائش ولكنها ما تلبث ان تنهل من دماء الاعداء فتعود وكانها النساء الطوامث

فيردن الوغى ذكورا عطاشا
ثم يصدرن ناهلات طوامث

وفي الخاتمة قدم القصيدة وهو مطمئن اليها راض عن صنعها لانه يعتبر نفسه اشعر اهل زمانه لا يدانيه احد من الشعراء :

زعماء القريض ابقوا بقايا
كنت دون الورى لهن الوارث

ثم تحدى النقاد الذين يحاولون ان يستصغروا شعره او يستضعفوا قصيدته قال :

من اراد انتقادها فهي هذي
عرضة البحث فليكن جد باحث

ان هاته الثقة التي كان يوليها ابن جزي لنفسه تستمد حصانتها من ثقافته الذاتية ، ومن مركزه الاجتماعي ، ومن قدرته على الافصاح عن عواطفه بكل دقة واتقان .

وانما قدمت للقراء هاته القصيدة ليطلعوا على جانب من جوانب العبقرية في شخصية ابن جزي بالنسبة الى الشعر ، واما بالنسبة الى النثر فقد كان مشتهرا به ايضا ولذلك التجا اليه ابو عنان المريني حينما اراد ان يختار كاتبا لرحلة ابن بطوطة .

وابن جزي في نثره ينحو منحى ادباء عصره في الاعتماد على السجع في كثير من منتجاته ، الا اننا نراه في الرحلة لم يتعمد ذلك في المقدمة والخاتمة ، واما غالب الرحلة فقد الفها بنثر مرسل لاتكلف فيه ولا تعمد ولذلك يعتبر نثره في الرحلة احسن بكثير منه في غيرها لخلوه من التصنع وبعده عن الاسفاف ، والى القراء مقدمة رسالة كتبها الى ابي عنان المريني يهنئه فيها بابلال ولده وولي عهده ابي زيان من مرضه ، وفيها ورى بكثير من الكتب حتى اصبحت الرسالة وكانها لائحة خزانة عامة :

« ماذا عسى ادب الكتاب يوضح من
خصال مجدك وهو الزاهر الزاهي
وما الفصيح بكليات موعبها
كاف فياتي بابناء وانباه

(*) نفح الطيب الجزء الثامن صفحة 45 .

ابقى الله تعالى مولانا الخليفة ولسعادته القدح المعلى ، ولزاهر كماله التاج المحلى تجلى من حلاه نزهة الناظـــر ، ويتضـح بهـداه القصـد الامــم ، ولا زالت مقدمات النصر له مبسوطة ، ومعونـة السعـد باشارته منوطة ، وهدايته متكفلة باحياء علوم الديـن وايضاح منهـاج العابديـن وارشاده يتولـى تنبيـه الغافلين » الى آخر هاته الرسـالة التي يظهـر اثـــر التصنع عليهـا (※) .

ولم يغفل مؤرخو الادب ذكر هذا الاديب العبقري الذي شاع نبوغه فى المغرب والاندلس فقد قال عنــه المقري فى نفح الطيب (※) : انه اعجوبة الزمان ، ونقل عنه من كتاب نثير الجمان لابن الاحمر قوله : « وكــان رحمه الله تعالى طلع فى سماء العلوم بدرا مشرقــا ، وسارت براعته مغربا ومشرقا ، وسما بشعره فــوق الفرقدين ، كما اربى بنثره على الشعري والبطين ، له باع مديـد فى التاريـخ واللغـة والحسـاب ، والنحـو والبيان والآداب بصير بالفروع والاصول والحديـث ، عارف بالماضي من الشعر والحديث ، ان نظم انساك ابا ذؤيب برقته ، ونصيبا بمنصبه ونخوتـه ، وان كتب اربى على ابن مقلة بخطه ، وان انشـأ رسـالـة انسـاك العماد بين مساقها وضبطه ، وهـو رب هـذا الشان وفارس هذا الميدان ، ومع تفننه فى الشعـر فهـو فى العلوم قد نبغ ، وما بلغ احد من شعراء عصره ما بلغ ، بل سلموا التقدم فيه اليه ، والقوا زمام الاعتـــراف بذلك فى يديه ، ودخلوا تحت راية الادب الذي حمـل اذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس فى الحمل » .

واذا كان هذا هو موقف النقاد منه فان اختيـار ابي عنان له اذن كان صادرا عن خبرة ومعتمدا علــى اساس ، وراجعا الى استغلال هاته الطاقة الادبية التي كــان متصفـا بهــا ، لـذا عمل ابـن جـزي جهـد مستطاعه ليسير فى كتابة الرحلة سيرا موفقا وليكـون عند حسن ظن ابي عنان به فنقح العبارات وهـذب الالفاظ ، واعتمد على بعض النصوص الوصفية التـي استعملها بعض الرحالين قبل ابن بطوطة كابن جبيـر وابن جابر الوادي آشـي ، ووشى تلك النصـوص ببعض الاشعار التي تناسبها ، والى القراء اقدم فصلا من الرحلة ، فقد ذكر ابن جزي عند التعبير عن وصول ابن بطوطة الى دمشق قوله (※) : « ووصلت يــوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عــام ستـة وعشرين (اي وسبعمائة) الى مدينـة دمشق الشام ، فنزلت منها بمدرسة المالكية المعروفـة بالشرابشيـة ، ودمشق هي التي تفضل جميع البلاد حسنا وتتقدمها جمالا ، وكل وصـف وان طال فهو قاصر عن محاسنها ، ولا ابدع مما قاله ابو الحسين بن جبير رحمـه اللـه تعالى فى ذكرها ، قال : « واما دمشق فهي جنة المشرق، ومطلع نورها المشرق ، وخاتمة بلاد الاسلام التـي استقريناها ، وعروس المدن التي اجتليناها ، قـــد تحلت بازاهير الرياحين ، وتجلت فى حلل سندسيـة من البسـاتين ، وحلت من موضـع الحسن بالمكان المكين، وتزينت فى منصتها اجمل تزيين ، وتشرفت بان آوى المسيح عليه السلام وامه منها الى ربوة ذات قــرار ومعين ، ظل ظليل ومـاء سلسبيـل ، تنساب مذانبه انسياب الاراقم بكل سبيل ، ورياض يحيي النفـوس نسيمها العليل ، تتبرج لناظريهـا بمجتلى صقيـل ، وتناديهم هلموا الى معرس للحسن ومقيل ، وقـــد سئمت ارضها كثرة الماء ، حتى اشتاقت الى الظمـاء ، فتكاد تناديك بها الصم الصلاب اركض برجلك هـــذا مغتسل بارد وشراب ، وقد احدقت البساتين بهــا احداق الهالة بالقمر ، والاكمام بالثمر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصـر ، وكل موضـع لحظت بجهاتها الاربع نضرته اليانعة قيد البصر ، ولله صدق القائلين عنها : ان كانت الجنة فى الارض فدمشق لاشك فيها ، وان كانت فى السماء فهي تحاذيها وتساميها . قال ابن جزي وقد نظم بعض شعرائها فى هذا المعنـى فقـــال :

ان تكــن جنــة الخلــود بـارض ... فـدمشــق ولا تكــون ســواهـــا
او تكــن فــي الســمـاء فهـي عليهـا ... قــد ابـدت هــواءهـا وهــواهـــا
بلـــد طيـب ورب غـفـــور ... فاغتنمهـــا عشيــة وضحـاهـــا

※) اقراها تامة فى كتاب نفح الطيب الجزء الثامن من الطبعة الجديدة صفحة 50/49/48 وفى ازهـــار الرياض للمؤلف الجزء الثالث صفحــة 200/199/198 .

※) الجـزء الثامـن صفحــة 41 .

※) رحلة ابن بطوطة طبعة سنــة 1320 هـ الجزء الاول صفحة 50 .

وذكرها شيخنا المحدث الرحال شمس الدين ابو عبد الله محمد بن جابر بن حسان القيسي الوادي آشي نزيل تونس ، ونص كلام ابن جبير ثم قال : ولقد احسن فيما وصف منها واجاد ، وتوق الانفس للتطلع على صورتها بما افاد ، هذا وان لم تكن بها اقامة ، فيعرب عنها بحقيقة علامة ، ولا وصف ذهبيات اصيلها وقد حان من الشمس غروبها ولا ازمان حقولها المنوعات ، ولا اوقات سرورها المنبهات ، وقد اختص من قال : الفيتها كما تصف الالسن ، وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين ؛ قال ابن جزي والذي قالته الشعراء في وصف محاسن دمشق لايحصر كثرة ، وكان والدي رحمه الله كثيرا ما ينشد في وصفها هذه الابيات وهي لشرف الدين بن محسن رحمه الله تعالى:

دمشق بنا شوق اليها مبرح
وان لج واش او الح عذول

بلاد بها الحصباء در وتربها
عبير وانفاس الشمال شمول

تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق
وصح نسيم الروض وهو عليل

وهذا من النمط العالي من الشعر ، وقال فيها عرقلة الدمشقي الكلبي :

الشام شامة وجنة الدنيا كما
انسان مقلتها الغضيضة جلق

من آسها لك جنة لا تنقضي
ومن الشقيق جهنم لا تحرق

وقال ايضا فيها :

اما دمشق فجنات معجلة
للطالبين بها الولدان والحور

ما صاح فيها على اوتاره قمر
الا يغنيه قمري وشحرور

يا حبذا ودروع الماء تنسجها
انامل الريح الا انها زور

وله فيها اشعار كثيرة سوى ذلك وقال فيها ابو الوحش سبع بن خلف الاسدي (رجز) :

سقى دمشق الله غيثا محسنا
من مستهل ديمة دهاقها

مدينة ليس يضاهي حسنها
في سائر الدنيا ولا آفاقها

تود زوراء العراق انها
منها ولا تعزى الى عراقها

فارضها مثل السماء بهجة
وزهرها كالزهر في اشراقها

نسيم روضها متى ما قد سرى
فك اخا الهموم من وثاقها

قد رتع الربيع في ربوعها
وسيقت الدنيا الى اسواقها

لا تسام العيون والانوف من
رؤيتها يوما ولا استنشاقها

ومما يناسب هذا للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني فيها من قصيدة وقد نسبت ايضا لابن المنير :

يا برق هل لك في احتمال تحية
عذبت فصارت مثل مائك سلسلا

باكر دمشق بمشق اقلام الحيا
زهر الرياض مرصعا ومكللا

واجرر بجيرون ذيولك واختصص
مغنى تأزر بالعلى وتسربلا

حيث الحيا الربعي محلول الحبا
والوابل الربعي مفري الكلا

وقال فيها ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي الغرناطي المدعو نور الدين :

دمشق منزلنا حيث النعيم بدا
مكملا وهو في الآفاق مختصر

القضب راقصة والطير صادحة
والزهر مرتفع والماء منحدر

وقد تجلت من اللذات اوجهها
لكنها بظلال الدوح تستتر

وكل واد به موسى يفجره
وكل روض على حافاته الخضر

وقال ايضا فيها :

خيم بجلق بين الكاس والوتر
في جنة هي ملء السمع والبصر

ومتع الطرف في مراي محاسنه
وروض الفكر بين الروض والنهر

وانظر الى ذهبيات الاصيل بها
واسمع الى نغمات الطير في الشجر

وقل لمن لام في لذاته بشرا
دعني فانك عندي من سوى البشر

وقال فيها ايضا :

اما دمشق فجنة
ينسى بها الوطن الغريب

لله ايام السبوت
بها ومنظرها العجيب

انظر بعينك هل ترى
الا محبا او حبيب

في موطن غنى الحمام
به على رقص القضيب

وغدت ازاهر روضة
تختال في فرح وطيب

واهل دمشق لا يعملون يوم السبت عملا ، انما يخرجون الى المنتزهات وشطوط الانهار ودوحات الاشجار بين البساتين النضيرة والمياه الجارية فيكون بها يومهم الى الليل ، وقد طال بنا الكلام في محاسن دمشق فلنرجع الى كلام الشيخ ابي عبد الله .. انتهى كلام ابن جزي .. اقول : وانما كتبت هذا الفصل على طوله ليعرف القارىء مدى تاثير ابن جزي في كتابة الرحلة وكيف اخرجها من كتاب تسرد فيه الحوادث الى كتاب ادبي يستمتع القارىء بطرفه وملحه ويستلذ بدرره ومنحه .

وليت ابن جزي عاش مدة طويلة بعد كتابة الرحلة ليرى بنفسه الاثر الحميد الذي حققته هاته الرحلة الطريفة ، فهو قد التحق بربه بعد ثمانية اشهر من كتابتها وهو في سن مبكرة فقد توفي بفاس في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شوال سنة 757 هـ ، ودفن وراء الحائط الشرقي للجامع الاعظم بالمدينة البيضاء (فاس الجديد) .

هذا واني ارى من المفيد بعد ان درسنا الجانب السياسي والادبي في كتابة الرحلة ان اقدم للقراء عرضا موجزا للمشاهدة العامة التي خلدت برحلة ابن بطوطة وصاغها ابن جزي باسلوبه الجميل وذلك هو موضوعنا في حديث آخر .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ



شخصية ابن عبد الله السائح الرباطي

للأستاذ : عبد الله الجراري

قضى شيخنا السائح حقبة ليست بالقليلة فى اداء رسالته الثقافية بين قومه ثم مضى الى حيث يجد ثمرة اعماله الخالدة .

شنشنة الحياة فى السير قدما طاوية مراحلها المتقاربة اعمارا واعمارا ، فهل ياترى يشعر الغافل ويستيقظ الولهان ، فينظران بعين ملؤها الاسى والاسف على ارتحال عباقرة ، وانتقال نبغاء كثيرا ما تلهف الشعب على تكوينهم ، وسعى بصدق فى ايجادهم حتى اذا ما لبت الظروف المطلب واسعفت برشحة من رشحاتها الضنينة انقلبت على عاداتها مكشرة فاودت باعز ما كانت اسعفت به ؛ انها شخصية عالمة قام المغرب ينافس بها نبغاء المعرفة فى الشرق والغرب ، شخصية نادرة من نوادر الاطلاع ، ءاية بينة من ءايات المعرفة ــ سواء فى دروسه التلقينية أو تحريراته العلمية ، أو مذكراته الواسعة واحاديثه الفنية ، اذا جلس للدرس تصدى لتحليل موضوعه بطريقة سهلة منتجة مبناها السبر والتقسيم ، والانتقال من اللفظ الى المدلول ثم منه الى المراد العلمي؛ وهو فى هذه الاثناء كالطبيب المعالج اسبر غور تلاميذه مستعرضا اقدارهم ونفسية كل على حدة فى اسلوب هو الى الجديد امس منه بالقديم كطريقة بين الطريقتين يكاد تلميذ المعاهد العصرية لايميز بين ما تشأ فيه من الدراسات ودراسات المترجم الذي كان فى أكثرها يمزج تحليلاته العلمية بنوع خاص من الفلسفة الفنية والتعليلات الصحيحة التي تجعل الطالب القروي كغيره مؤمنا فى اطمئنان بما يدرس من مسائل العلم لاسيما المشكل منها . اذ كان فى تقريراته العلمية ، رجل الكشف والتنقيب عن مخبئات العلم ومكنوناته ازاء اسرار تشريعية تبعث بطبعها فى التلميذ الولوع روحا جديدا يكون منه جوا صافيا للكرع من ينابيع المعرفة فى هدوء .

فكان ينشيء تلامذته على الفهم والادراك ، مربيا فى روعهم ملكة الاخذ ، وكيفية البحث والاستطلاع سواء فى فروع العلم أو اصوله ، وهذا ما نصبو اليه ، ونود بملء قلوبنا من رجال المعرفة لو ينهجون نهجه ويسلكون محجته لبناء صرح جديد فى اجواء التكوين الصحيح ، اذ نحن احوج فى عصرنا المائل الى هيئة عالمة تحمل مشعل التكوين المنتج يخلق اساليب يشع نبراسها على المعارف هنا وهناك على النهج الذي كان ينسج على منواله الشيخ السائح سائرا بخطا واسعة على افريزه حاملا لواءه الخفاق مشيدا بانتاجه فى شتى المناسبات واكثر الاحاديث التي كانت تنبعث من اعماق شخصه المهيب ، وجده المتزن وطبعه اللين ومبدئه الثابت يجنح الى السلفية مترسما محجتها البيضاء ، ذائدا بكل ما اوتي من جهود عن مذاهب اهل السنة فى كفاح مستمر ، وجهاد متواصل .

فيا خيبة من بدا بمظهر البدعة ومنظر الشعوذة والتدجيل فهناك يتجلى غضب الاستاذ وحنقه وقد زوى وقطب ما بين عينيه مفوقا سهامه الصائبة لجماعات التضليل والتهريج ، باعثا الحجة تلو الحجة حتى تراهم وقد اندحروا منهزمين زرافات ووحدانا خصوصا من تقمص منهم بسربال التصوف الكاذب ، وتجرد للخداع فى ستار مموه او سجاف مبرقش لاقتناص البسطاء ، والايقاع بالضعفاء ، وحرصا منه على خدمة السنة وتنوير الافكار ، حبر رسالة تحدث فيها عن ادعية واذكار بعض المتصوفة داحضا فيها دعاويهم العريضة ومبارياتهم المفرضة التي تنم عن

استقصار الوارد عن الرسول الاعظم اعطاها لقب (المنهل الوارد في تفضيل الوارد) وهي طافحة بالبيانات التقديرية لاذكار الرسول صلوات الله عليه في تاييد بعضها من ءاي الوحي المبين مثل قول الله تعالى : (ولله الاسماء الحسنى فادعو بها ، وذروا الذين يلحدون في اسمائه) وقوله : (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ولا تذهب بعيدا عن فهم افكاره تلقاء حملاته الشعواء على رؤوس الغواية – اذ لم يكن متطرفا فيها ، ولا في حربه متعسفا، بل كان يقف في وجهته الاصلاحية موقف المتبصر المعتدل – يميز الخبيث من الطيب ، والرديء من الجيد ، فقد شاهدنا له مواقف دراسية حول الغزالي وافكاره الفلسفية والمنطقية في تهافت الفلاسفة ، ومعيار العلم يعرضها للبحث ، ويضعها على محك الدرس والنقد لافتا نظره صوب ما كتبه نقاده ، وما حاولوه بمعاولهم الهدامة من اسقاط شخصه الفلسفي ، قائما مقام الموفق بين آراء المنتقد وناقديه بما يخلق من الموقف انتصارا لجانب فيلسوف الاسلام الغزالي، وبنفس الظاهرة نجده كذلك يذود عن فلسفة ابي الوليد بن رشد ، وتصويب حكمته ، ودراستها بالطرق القانونية والاساليب الفنية لحد الاعجاب بآرائه ، والاستشهاد بمقالاته والعكوف على فهم كتابه : (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) كما كان يفعل المستشرق ارنست رينان الذي افرد الفيلسوف ابن رشد ببحث خاص ومن بين سطور هذه الدراسات العميقة يتخلص لافكار الشيخ الاكبر محللا غموض عباراته المشككة ، واساليبه المعقدة ، وفهومه الخاصة في (الفتوحات والفصوص) اذ يبسطها بسطا يرى فيه منغمرا في اذواق الشيخ ونزعاته الصوفية سابحا في بحر خياله المتموج آملا بلوغ شاطيء النجاة حيث الملتمس المنشود ، ورغم هذا النصب الثقيل يبقى في قرارة النفس شيء من تلك الدراسات النفسية وبالاخص عندما تبدو للدارس اعلام عالم النفس والروح فيعود من هذا المبدا حامدا سلامة الاياب مؤمنا ببعض ، متوقفا في بعض .

ويود الكاتب لو شارك القاريء في حلقة من حلقات المترجم ايام كان يدرس شفاء القاضي عياض سنة 1346 هـ موافق 1927 م بمناسبة بزوغ هلال ربيع النبوي – فيرى كيف كان يحط رحاله ويتصدى لديباجة الشفاء العامرة .

كلهم حاولوا الدواء ولكن
ما اتى بالشفاء الا عياض

فيعرض فيها لاراء القوم وافكارهم الصوفية بينا تجده محلقا في سماء الولاية مبددا سحب الاوهام والخرافات اذا بك تلفيه منتقلا الى مقام الصديقية ، ثم منها الى منبر الوحي والنبوءة في نظام تعلوه مسحة حال في جلد وقوة .

وان انس فلا انسى مسامرته القيمة حول (فخر الدين الرازي) بمعهد الدروس العليا بالرباط سنة 1943 م موافق 1362 هـ ثاني عيد المولد النبوي تحت رئاسة صاحب السمو الملكي المولى الحسن مسامرة ممتعة برهن فيها الشيخ عن مقدرة فائقة في كيفية العرض والبحث على نسق ما يطرقه علماء الاستشراق في ابحاثهم العلمية ودراساتهم الواسعة تحليلا واستنتاجا اندهش لهما الحاضرون – في تقدير واعجاب اذ حلل شخصيته تحليلا عميقا حتى ما ترك منقبة من مناقبه الا ونشرها خصوصا ما يمت منها الى الفلسفة والنفس بسبب ، ظاهرة حفزت قدماء الثانوية الادريسية لطلب الشيخ في الحاح اعادة مسامرته الفخرية بنادي المسامرات بفاس الفيحاء ، وما كان منه سوى ان لب الطلب العلمي على عادته مما جعل له في الاوساط العلمية والادبية صدى حميدا واثرا خالدا .

ومن هذه النبذة الخاطفة نتبين في وضوح ما كان لعلميته المتينة من الميل الطبيعي لدراسة الفلسفة وعلوم النفس والعطف الخاص على كل علمائها والذود بقارع الحجة عن ءارائهم المستقيمة وابتكاراتهم الصائبة في تاييد من الكتاب والسنة ما وجد لذلك سبيلا .

علاوة على ما كان لاطلاعه الواسع في العلوم الدينية والادبية والرياضية وسواها من المشاركة الكافية التي كونت من شخصيته مثال العبقري النادر، يطرق الفن فيهضمه هضما ويركب صعبه فينقلب عن كثب سهلا ذلولا ، ومتى ما اعتصت عليه بعض جزئياته، ووقفت تجاهه موقف الاشكال – قام قومة الصنع اللبق لحلها مبددا غيوم الهوس والشك المساورين مندفعا لوضع جزء خاص حول المشكلة ، وكم له في هذا النوع من جرات لانرتاب ان تكون نتيجة الشك . وفي المثل : (اهتك ستور الشك بالسؤال) ولا يعزب عن بال المطلع ، ان الشك اساس اليقين ، ومن لم يشك لم

يؤمن ، فالشك عنصر من عناصر الدقة ، وسلم الاستطلاع والوقوع على الحقيقة ، وبالصدف عن فكرة الشك ينشأ الرضى بالتقليد وينطبع فى النفس الميل الى التواكل ، والخمول ، وما اليهما من صفات الخنوع القاضية على حرية التفكير وانطلاق الضمير .

ما عاش من عاش مقيدا — ولا ننسى دروسه التفسيرية التي كان يبعثها على جناح الاثير المغربي فى ثاني الربيعين من سنة 1360 هـ بطريقة الاختيار لآي من الذكر الحكيم تارة فى الاحكام واخرى فى القصص وآونة فى الكون والطبيعة ، ففي التشريع ينشر آراء الائمة ومذاهبهم فى كل فرع والادلاء بكل من النصوص القائمة والحجج الناهضة دون ان ترى له تحزبا لمذهب او تعصبا لنحلة ولو مذهبه المالكي ، انما الحكم العدل والفيصل الحق لقوة الدليل ونهوض الحجة .

اما القصص فكان يبسطها متلمسا من ثناياها الحكمة والعبرة ، وما كان احب اليه حديث القصة والذه اليه حيث يعيره التفاتا خاصا واهتماما غريبا يستوحى من بين سطوره مثلا عليا ، واخلاقا فاضلة يكون لها حميد الاحدوثة فى نفوس المستمعين وعلى الاخص منهم النشء الثابت الذي تعد القصة من اهم العوامل الناجحة فى توجيهه الخلقي والثقافي ، وما انفكت تلك الدروس التفسيرية لسورة يوسف عليه السلام مرتسمة بالاذهان لما كان لها فى القلوب من الواقع الحسن والعظة المؤثرة — كتفسير قول الله تعالى : (فان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) وقوله : (اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليهم) وقوله : (كذلك كدنا ليوسف) ومن عبقريته ، انه كان لا يقف فى تقاريره العلمية موقف الحاكي يجلب نصوص الكتاب والمفسرين ويعرضها عرضا جافا دون ان يكون له حظ الاخذ والرد بل والتوليد والابتكار فى غير ما فن . ولمحمود باشا البارودي :

لولا مواهب فى بعض الانام لما
تفاوت الناس فى الاقدار والقيم

وها هو ذا يقول اثناء محاضرته الثانية : (ان من انواع الاساليب اللفظية المتعددة — ان يوجد خلال فواصل الآي المقفاة فواصل اخرى مغايرة للفواصل التي بنيت عليها السورة ، وهو نوع على نهجه بنى التوشيح ، وعلى وثيرته ارتكز اسلوبه ، لم اجده منصوصا لغيري ، وانما وفقت اليه) ولا بدع ان يلهم شيخنا السائح لابتكار هذا النوع اللفظي البديع الذي يسمح لشخصه العالم بوصف العبقرية وانطباقها على مهارته الفنية على رأي كنط الفيلسوف الالماني الذي قال عن العبقري : (انه من عمل شيئا ابتكره ابتكارا ، ولم يقلد فيه احدا تقليدا ويصبح عمله اثرا يتبعه الناس من بعده) او راي مثله من فلاسفة الشرق والغرب ممن وقفت اقلامهم فى كلمة (عبقرية) وتحديد مدلولها، وهو السائح ما برح يجلى فى حلبة العبقرية ويسمو فى اوجها بذكائه الفطري وعقليته الجبارة متابعا البحوث الرامية الى تحليل الطاقة الذرية والتطلع من بعيد الى معرفة ذراتها ، وبذل الجهد لادراك كنه ما تناثر من اجزائها ، وما تطاير من جواهرها ، ومنشا مفعولها العالمي العام الذي خدر اعصاب حتى مخترعيها وسواهم من عباقرة الدول فغدوا يفكرون فى اندهاش لوضعها تحت نير الرقابة تفاديا من شرها المتوقع ، ولا ما يدعو الى الغرابة اذا ما كانت الكلمات تروع وتفزع فيسطو عليها قلم الرقابة ومقراض التحذير والتشويش .

ورغم ان مزايا المترجم افسح من هذا فلنقف القلم قائلين : يكفي من القلادة ما احاط بالجيد .

الرباط : عبد الله الجراري
مفتش بوزارة التربية الوطنية





بسوى عيد وحدتي لا أغني

لشاعر الثورة الجزائرية
مفدي زكرياء

انا حطمت مزهري .. لا تسلني — وسلوت ابتسامتي .. لا تلمني
ونبت بي عن الفنون ظنوني — يوم ان خاب في بني العم ظني

غاض نبع النشيد .. وانقطع الوحي ، وضاع الغنا .. واغفى المغني

انا من ردد الخلود نشيدي — وشدا الكون للبقاء بلحني
انا من الهب الشعور بشعر — ازلي ، كالعارض المرجحن

انا من علم القنابل والرشاش ، في الساح ان توقع وزني

انا من الهم المجاهد روحا — فانبرى للوغى يبيد ويفني
انا من خلد الجزائر في الدنيا ، ومن لقن ابنها كيف يبني
انا من اسكر الوجود بانغا — مي ومن هز عطفه بالتغني
انا من هدهد الشراع على نهـ — ـر دماها بصادحاتي وفني

انا ان كنت شاعر الثورة الكبرى ، فاني (لخلفها) لا اغني ..

واذا بالمصير هنا قوم — فيشق الصفوف ، لست اهني ..
كنت للوحدة النداء المدوي — كيف للخلف ارهف اليوم اذني ؟

مذ تراءى الشقاق ، حطمت كاساتي على مبسمي ، واهرقت دني
مذ رايت السفين يجرفها اليوم لسوء المصير ، اغرقت سفني
مذ سمعت الغصون ينعي بها اليوم تجنيتها .. وودعت غصني

وتقززت من زهور رباها قرفا ، بعد ان اصيب بنتن

ورأيت « الرؤوس » طافت بها حمى الكراسي ، ونالها مس جن
فتخيرت في الرقى « سورة الاخلاص » مذ بات غيرها ليس يغني

ابهذا المصير – يا شعب ترضى ؟ ايها الشعب .. انت .. اياك اعني
انت من هد للطواغيت ركنا افيرضى بشوك تقويض ركن ؟

انت من علم البطولات للدنيا وحققت بالكفاح التمني
انت من حرر الشعب من الحجر ، فلا تنخدع لغش وغبن

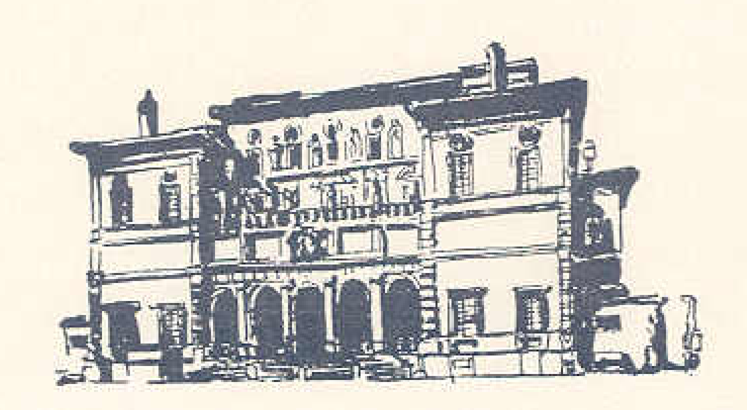
انت من ركز الكرامة في الار ض ، فلا ترضى بانخذال وجبن

انت من عبا العزائم بالجد ، فعجل ولا تلذ بالتاني

وطن المعجزات انت .. فحقق وحدة الشعب دون ضعف ووهن
انت يا شعب جنة ، افترضى ان يدوس الغراب جنات عدن ؟
فاعصف اليوم بالالى في المبادىء قلبوا – كالزمان – ظهر المجن
وارع عهد الشهيد ان دماه تنذر الغشم كل خزي ولعن
ودع الدوح للبلابل تشدو وابعث الشعر بالخلاص يهن

فرحتي .. وحدتي ، وشعري ضميري ، بسوى عيد وحدتي .. لا اغني ..

الرباط – **مفدي زكريا ، شاعر الثورة الجزائرية ..**



في مولد الرسول

للشاعر أحمد محمد صقر

الشمس في اشراقها وصفائها ... في دار « آمنة » وملء فنائها

فالكون يبعث بالضياء وقد غدت ... افواجه تسري الى بطحائها

بطحاء « مكة » اذ قريش سادة ... وليت أمور حجيجها وسقائها

في همة شماء ذات متانة ... كصلابة الاصلاد في بيدائها

مع فطرة النفس البسيطة لم تزل ... تحيا على الموروث من آبائها

في قلب وديان يطول مسيرها ... ومضارب لخيامها أو شائها

وجلال سحر طبيعة فتانة ... ما بين أرض قفارها وسمائها

هي بيئة الرجل القوي شكيمة ... المستعز هناك في أرجائها

من بينها اختار الاله «محمدا» ... ليكون للدنيا مناط رجائها

ولد النبي هناك في أم القرى ... من خير فتيتها وخير نسائها

فتهللت في يوم مولده الدنى ... وسمت بطلعته الى عليائها

وترقب الناس الخلاص من الذي ... لاقوه من « روما » ومن غلوائها

واستبشروا بالنور يعلو زاحفا ... ليهز « فارس » في عظيم بنائها

والدهر يحمل كل يوم آية ... تدني سفين الخلق من مينائها

فاذا النبوة كالصباح اذا بدا ... تبدو فتهدي الكون من اضوائها

وتقول للمظلوم : جاءك منصف ... فالعدل في الدنيا ضمان بقائها

وتقول للجهل : ارتحل من بيننا ... لسنا غداة اليوم من جهلائها

وتقول للطاغي : مكانك ؛ قد مضى ... زمن الطغاة بفسقها وبلائها

فالشعب مرجع كل أمر نافذ ... ان الشعوب مصادر لقضائها

صلى عليك الله يا خير الورى   وجزاك بالحسنات خير جزائها
وجزاك عن بشرية انقذتها   وعملت مجتهدا على احيائها
ودفعتها بيديك فى سبل العلا   وبنيت اصل رقيها وعلائها
حررتها وجعلت فى اموالها   حقا لاهل الفقر من أبنائها
ساويت بين شعوبها لافضل فى   بيضائها يعلو على سودائها
حطمت اصناما وجئت بشرعة   لم تنتقص فيها حقوق نسائها
وجعلت للعقل السليم مكانة   شتان بين حضيضها وسمائها
ورفعت فى الانسان انسانية   ما كان يحلم قبل فى اعلائها
وجمعت أوصاف الكمال فكنت فى   ميدانها تحمي رفيع لوائها
فالله اعلم حيث يجعل وحيه   فاختار نفسك اذ سمت بنقائها

قم يا رسول الله فانظر أمة   بلغت حضارتها عنان فضائها
لكن يهان السود من ابنائها   والبيض ـ مهما كان ـ من كرمائها
فى قلب « افريقيا » نرى آثارها   بل فى « اميركا » لوثة من دائها
زعمت بان العلم القى رحله   فى ارضها والحق فضل ردائها
وبانها مهد التقدم والعلا   وجميع ما فى الارض من نعمائها
كذبوا فليس العلم تخريب الورى   بل للحياة وخيرها وصفائها

قم يا رسول الله يا من يرتجى   حرر شعوب الارض من اعدائها
قم يا رسول الله يا من يرتجى   طهر نفوس الناس من أدوائها
قد كاد يطغى اليأس لولا نفحة   ذكراك تبعثها بمجد سنائها
يسرى مع الايام طيب عبيرها   فتهز انفسنا بحسن روائها
فنقوم نكتب ما نحس من الرؤى   عل الوجود يفيد من لالائها

أحمد محمد صقر
تطوان ـ عضو البعثة التعليمية العربية



على وادي المخازن

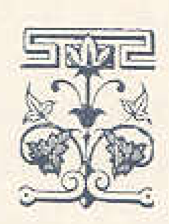
للشاعر: محمد الخمار

اعد ذكر يومك للاعصر ... وقص صداه على السمر
كتاب تسطر بالدم فوق ... ثرى ارضك الطيب الاسمر
فامسيت منزل وحي ودار ... البطولة والافق النير
وصرت على شفة الدهر انشو ... دة المجد والنصر والظفر
فما كان يومك الا (كبدر ... والا (كحطين) او (خيبر)
وما كان ابطال يومك الا ... صناديد مفخرة الاعصر
اعادوا لنا المجد صرحا اقامو ... ه بالسيف والدم والعثير
وتركهم الغاصبين وبغيـ ... ـهم للسباع وللانسر
فليس ثرانا ثرى (بائع ... يثمنه او ثرى (مشتر)
ولكن عطاء من الله قد ... حميناه من دنس المجتري

(اوادي المخازن) باصامتا وهـ ... ـو في صمته ضج بالعبر
اتيناك نملا من فيض وحيـ ... ـك هذا البيان على الاسطر
ففي كل منعرج منك وحي ... وافق من الآي والسور
وما ان يزال صدى الحرب في ... روابيك في شطك الاخضر
يدوي باذاننا في جلال ... وفي روعة النغم المسكر
وصوت الحديد وحمحمة الخيـ ... ـل والنار تعصف بالعسكر
وضجة وقع الحوافر في كـ ... ـبد الارض ترشح بالشرر
وخفق البنود والوية الجنـ ... ـد بين الخميسين كالانسر
كان الجميع زمانه لم يـ ... ـتخط القرون ولم يعبر
ونحن على شاطئيك وقفنا ... كانا غدونا من الحضر

فماذا ارى فى الصفوف ؟ (اعبد   المليك) بهودجه الاخضر ؟
رمى المعتدين بجيش اباة   وقبله جيش من الفكر
فواعجبا قاد ابطاله وهـ   ـو حي وميت الى الظفر
وماذا ؟ (ارضوان) يامر باسم   الامير الرجال ولم يؤمر ؟
و(احمد) قد اثخنته الجراح   فسال دماء ولم يشعر
وما هو الا المساء اذا الحـ   ـق ينصر والبغي لم ينصر
وجيش (سباستيان) مندحر الخطـ   ـو يرجو النجاة فلم يقدر
تركنا جموعه ما بين منقـ   ـطع وغريق ومنتحر
وكم خوفوه العبور فلم يـ   ـعط قومه سمعا ولم يعر
فمات عنيدا شجاعا قتيل   البطولة فى لجة النهر
كذلك ميتة كل عظيم   وهمة كل فتى عبقري
وبادوا جميعا سوى زمرة قد   مضت لسواهم بالخبر
ولم نبغ يوما على احد بـ   ـسوى الحق نهجا ولم نثأر
هم حسبوا ارضنا تشترى   بعرش (دني) و (محتقر)
فنالوا قبورا ونالوا جزاء   وذكرا قبيحا على الاعصر
بطولة يوم سنرجعها   كان لم تمر ولم تدبر
الى ان نعيد الى ارضنا كـ   ـل شبر سليب ومهتصر
ونرمي الخيانة من تربها   وكل عتي ومستهتر
غدا سوف ينفجر الشعب ان يـ   ـكن اليوم ليس بمنفجر
غدا سوف يصحو ، وكل غد   وصباح قريب لمنتظر

القصر الكبير : محمد الخمار



رسالة شوق

للشاعر: أحمد البقالي

سارجع يوما قبل ان ينقضي عمري
ففي وطني داري ، وفي وطني قبري

لقد ودعتني اعين لم تزل لها
تدوب عميقات الاخاديد في صدري

ومرت على خدي شفاه عزيزة
تعاتبني سرا على ذلك الهجر

ومرت على صدري صدور حبيبة
جوانحها ضمت على انجم زهر

*

وباكية حيرى اراحت جبينها
على كتفي ، واستسلمت للبكا المر

تذكرت عينيها وقد اغمضتهما
على ادمع حرى على الخد لم تجر

*

وكل الليالي الفامضات وسحرها
على الافق الدامي مواكبه تسري

معطرة فيها من الورد والندى
تنفس فيها الفل والسوسن البري

وكل السماوات المضيئات تختفي
كواكبها البيضاء في زرقة الفجر

وكل صخور البحر تلمع حولها
مروج على الشطئان في ساعة الجزر

وكل البراري والرمال وعاصف
يثير عباب الماء في لجة البحر

لها صور لم تمحهن يد البلا
بقلبي ، ولم تلعب بهن يد الدهر

وفي ذلك الوادي ستعشب جنة
وتشرق شمس فيه لن يرها غيري

واشنطون ـ احمد البقالي



للشاعر: إبراهيم فعلة محمد

- 2 -

صبر على جمر :

ومضت خطواته . .
فى عزم ثائر
مهما كانت قسوة الخطب . .
يقامر !
وعياهم صبره . .
فانتحلوا الف طريقة :
رصفوا بالجمر ،
بالاشواك ،
بالغدر طريقه
وهو صابر
جعلوا الرعب رفيقه
وهو صابر
شنقوا الازهار . .
فى غصن الكرامة ،
احرقوا وجه العداله ،
نسفوا صرح الشهامه ،
رفعوا من شأن . .
تجار النذاله ،
بنذاله . .
وهو صابر !
لم يخامر . .
قلبه شك
بان الصبر ظافر ! ! !

يوم النبع :

وطفى حنقي فى ذات صباح !
: كنت فى « الضيمة »
فى حر الهجير . .
اتسلى ،
فى الربى ،
بين الاقاحي
و . . قصدت النبع . .
ذا الماء النمير
لا لارواء غليلي ،
انما . . « نهلة » تاتيه . .
على كتفها جره .
كل ضحى
تحمل جره
وترود النبع . .
لم تخلفه مره
تفمس البلور . .
تملاالجرة منه ،
فاذا ماؤه زاه . .

يتبختر !
ثم ارجوها ..
لتسقيني ،
فتفتر ..
شفة الجرة ..
عن شهد معطر
لم تعد « نهلة » تخجل
كلما ارغب ..
ان تسقيني البلور ..
تفعل .
لم تعد ،
من عيني ، تخجل !
منذ عام ..
منذ جيل ..
منذ اكثر !
وانا نهلتي تسقيني ،
لوحدي ،
الماء سكر
لم تكن تمتد ،
للجرة ،
كف .. غير كفي
لم يكن غيري يقدر
. . . .
انما صبحي تعكر
: بينما نهلتي كانت ..
تملأ الجرة فى النبع
كان شيخ ثم يكرع
وصبي يتسكع
وعجوز ..
غسلت ازرا مرتقع
وكست غصنا به ..
وانتظرت يبسه ..
كي تقدر ترجع
فاذا غيم غبار ..
يتقشع
عن وعول تقصد النبع
وارادت نهلتي ،
من ثم ،
تنسل
فاذا الوعل ..
صاح .. الا تتعجل
: انني ظمآن ..
هاتي الجرة النشوى ..

لانهل
وترجل ..
وتمطى مخلب الوعل
يقصد الجرة ..
فوق القمة السمراء
لكن .. ترك الجرة ..
وانحط على التل .
عبث المخلب بالنهد المبجل
فرمت نهلة .. ..
بالجرة !!!
وجه الوغد
.. فانهال عليها ..
الصفع .. والركل !!!
واتى صوتها ،
للبيدر ،
عرضا يتوسل .
و . . .
وعت اذنا ابيها ..
صوتها الشاكي . . .
فاقبل
ينتضي المذراة ،
كالمارد ،
وانقض على الوعل
كاد يقتل ..
كادبردي الباغي ..
لو لم يتدخل
غادر من فرقة الوعل
. . . .
طعن الكهل
مرت المذراة ، فى بطنه ،
كالمحراث فى الحقل

بطولة صبي:

ورای ذاك الصبي المتسكع
ما جرى للكهل فانسل
خلفهم ، كالبارق ، انسل
خاطفا رشاشات ..
القوم التي فى ضفة النبع
تركوها فى عناق مطمئن
ورمى احداها ..
للشيخ الذي ما زال يكرع
« يتظاهر . . .

انه لا زال يكرع »
ورمى لي اخرى ،
واتسل ..
يسلم الباقي للشلال أسفل
واحاطت ،
بالوعول الصفر ،
نار الثار .. تثار !
لحمى النبع المعكر
ورنت نهلة ،
فوق التل ،
للنبع المعكر ..
فرات ثم عجوزا ..
تستر الوالد ...
بالارز المرقع
ودما سرب الوعول ..
الصفر .. تدفع
.. بين شلال مروع
وصفت ، من بطل ..
لا زال يرضع
لنشيد عربي يغمر الربع

التكتـــــل :

واختفينا ..
من الربى السمر .. احتمينا
بها من جبن مقنع
. . . . . .
واتى قيمهم ..
دار ابي ،
كي يتسلم
من ابي أمرا ..
لاعدم
رقبوا .. علي ارجع
غير أني ..
لم أرد ،
مربع !
عن راياتي السمر ،
ودعوت ..
كل مظلوم ..
الى ازري ،
فاسرع
وتجمع ،
فى الربى السمر ،

شباب .. همه ان ..
يرجع « الضيعة » او ..
فى طلب العزة يصرع
همه .. ان يطرد الغاصب
.. من « ضيعته »
مهما تكبد ..
من شقاء يتجلد ،

المساومـــة فاشلـــة :

واذا كدر امري ،
للعدى ،
تبع الاماني
بحثوا عني ،
وعن شرذمتي ،
كل مكان ..
وانا منهم دان ..
انا فى كل مكان ! !
غير ان الكبر ،
فى اعينهم ،
ليس يراني ..!
بحثوا عني ، ولما
يئسوا .. جاؤوا ابي ..
أغروه بي
: ان يتبرأ
مني ..
من اتباعي ..
ليهنا ! !
والاموال ،
وعدوه الجاه ،
والجنة .. ان مني تبرأ
وعدوه ..
واذا داهمهم ..
صمت رهيب ، هددوه ..
بالردى ،
بالنفي ،
بالتعذيب ، لكن ..
لم يفد ،
بالتعذيب ، لكن ..
لم يفد ، لا الوعد ..
لا الارهاب ..
لا التعذيب فى ..
اعدام صبره !
فنفوه ..

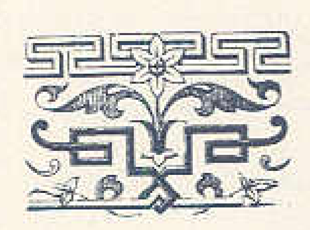
احتـــدام الثـــــورة :

وطفت ثورتنا ..
ماجت بنا سمر الروابي
فاكتسحنا في السهول ،
من ربانا السمر ،
اسراب الوعول
كان منا الاعزل ..
الثائر .. ثائر
.. يقتل الوعل ،
كان منا الاعزل ..
الثائر .. ثائر
.. يقتل الوعل ،
ويستولي على قرنيه ،
كي يقتل آخر ،
لم يخفنا عدو ،
او عدة ،
او غدر خائن !!!
لا ...
ولا هدم المدائن ..
لم نروع
حين كنا ..
نرى اطفالنا قتلى
منذ يوم التبع ..
امسى ..
صبية الضيعة ..
للتقتيل ،
اهلا
لم نعد نخشى على ..
« ضيعتنا » التخريب
عمدا ..
نطعم النيران خيراتها ،
عمدا .

التسليـــــــــــــــم :

ورأى الغاصب أن ..
النصر لي ، حتما ،
فسلم !!!
ومضى العار يخفي ..
وجهه الشاحب في الدم .
واعيد الاب « للضيعة »
مكرم ..
لم يعد خده يلطم
لم يعد فوقها مرغم
لم يعد يزرع وردا
للسوى كي يتنسم
لم تعد أحشاؤه بالغم
تضرم ..
واننا حولنا الامنا
مجدا ..
وبعثنا الشوك وردا
حينما قررنا ان نحيا
مع العزة ...
أو بالعز نردى ..

القنيطرة : ابن دفعة محمد



الممالك الإسلامية القديمة في افريقيا

مملكة سغاي

للأستاذ: قاسم الزهيري

-4-

بقي ان نتحدث الآن عن ثالث مملكة سودانية نمت وترعرعت على انقاض مملكة مالي وكان لها شأن عظيم الى ان دالت دولتها على يد احمد المنصور الذهبي اشهر ملوك الدولة السعدية . هذه المملكة هي مملكة سغاي او امبراطورية « كماغو » باسم عاصمتها كما يسميها المؤرخون احيانا .

لقد ورثت هذه المملكة حضارة المملكتين اللتين تحدثنا عنهما وبلغت اوج العظمة منذ القرن الرابع عشر ولم تضمحل الا في القرن السابع عشر . وحملت مشعل المدنية والاسلام خلال هذه الاحقاب كلها .

فكيف نشأت هذه الدولة ؟

لا يعرف على وجه التدقيق تاريخ نشوئها . والمؤرخون العرب ويوافقهم صاحب « تاريخ السودان » مجمعون على ان اصل نشأتها يرجع الى القرن السابع الميلادي ، أي يوافق تاريخ ظهور الاسلام . فقد كانت في الاصل مقاطعة صغيرة على ضفاف نهر النجر الاوسط على مسافة قريبة من مدينة كاغو . وتعاقب عليها ملوك لايعرف بالضبط اصلهم من أسرة « دجة » يحتمل بعض المؤرخين انهم من العرب ، ويذهب آخرون انهم من البربر .

وكل ما نعرف ان عدد الملوك الذين تربعوا على كرسي الرئاسة اربعة عشر قبل ان يعتنق الاسلام الملك « دجة كسوي » . وذلك في اوائل القرن الحادي عشر الميلادي .

وبقيت مملكة سغاي قائمة لا شأن لها ، فكانت خاضعة لامبراطورية غانا ثم لمملكة مالي

وقد تقدم لنا ان كونكوموسى حين عودته من الحج علم بان نائبه الحق هذه المملكة بامبراطوريته فرارها ، وكان عليها اذ ذاك ملك يسمى «دجه أسيباي» فاخذ كونكو موسى معه اثنين من ابنائه من جملة الرهائن حتى لا تسول لابيهما نفسه ان يتمرد في يوم من الايام . وكان احدهما يسمى بعلي كولين . تربى في قصر مالي كما يتربى الامراء على اعمال الفروسية والحرب . وكان يحن دائما الى استرداد ملكه .

وانتهز فرصة وفاة الملك كونكو موسى ونشوب خلاف في قصر مالي ففر واستنفر قومه فبايعوه على الملك واعلن استقلال بلاده عن امبراطورية مالي . ومن ذلك الحين سمي بسني علي ، كان ذلك سنة 1464 .

جمع الملك الجديد امره واخذ يغير على الاقطار المجاورة والتي كانت خاضعة لامبراطورية مالي ويلحقها بملكه حتى تكونت له مملكة شاسعة الاطراف في ظرف ثلاثين سنة .

ثم خلف سني علي على العرش احد اعوانه المقربين واسمه محمد توري . وعرفت عائلة الملك من ذلك الوقت بعائلة سكيا . وكان محمد توري هذا من بناة الممالك الماهرين والمنظمين البارعين . فصرف همه في تنظيم الامبراطورية الشاسعة الاطراف التي ورثها من خلفه :

قسم الامبراطورية الى اربع امارات ، وعدد كثير من العمالات لضبط امورها . ورتب الوظائف

والجيش والشرطة لضمان حسن تمشيها . وأصلح الجيش فجعل منه محترفين يقتصر دورهم على حماية الدولة وقسم العساكر حسبما تدعو اليه مصلحتها وجهزهم بآلة الحرب والعدة المعروفة اذ ذاك ، ثم جعل منهم حاميات وزعت على اهم العمالات للمحافظة على الامن .

ومن الناحية الاقتصادية اتخذ سكيا محمد تدابير شجعت على تنشيط التجارة وازدهارها ، ووحد المقاييس والموازين وضرب بيد من حديد على ضروب الغش . وقسم الضرائب حسب الدخل المادي لكل فرد . وازدهرت التجارة بالاخص مع المغرب ومصر وطرابلس . وكانت التجارة الخارجية وقفا على ثلاث مدن في المملكة هي : تونبوكتو ، وكاغو، ودجيني . وكانت اوسع المدن حضارة وأكثرها تقدما كما سنرى بعد .

وقد كانت الحركة الثقافية والعلمية تواكب الحركة الاقتصادية . فكانت لا تخلو قافلة واردة من الخارج من فقهاء وعلماء يتوزعون على اهم حواضر الامبراطورية للقيام بالتدريس ، وكانت المؤلفات تجلب من اهم المراكز العلمية في العالم الاسلامي .

واستقدم الملك سكيا محمد عدة علماء اناط بهم وظيفة التدريس ، فامتلأت جامعة تنبوكتو ومدارسها التي كانت تبلغ 150 في ذلك العهد بالطلبة من جميع جهات افريقيا . واختار الملك مستشاريه من الفقهاء ، وكان لايتأخر عن مراسلة العلماء بفاس وغيرها في كل نازلة اشكلت عليه .

وتوجه الى الحج صحبة ثمانمائة من دائرته ، فاجتمع بالعلماء ومن بينهم السيوطي .

هذه نظرة عن النظام الذي احدثه الملك سكيا محمد . ولم تبلغ امبراطورية بافريقيا ما بلغته امبراطورية سفاي في عهده ، لا من ناحية اتساع الرقعة او النظام والتقدم المادي والعلمي . لقد كانت الامبراطورية تحد في الشمال بمناجم تغازي للملح وتضم قسما عظيما من الصحراء الغربية وساحل العاج جنوبا ، بينما يحدها البحر الاطلسي من المغرب وشمال نيجيريا من الشرق . واذا اردنا ان نتكلم بالاصطلاحات العصرية فان مملكة سفاي كانت تشمل قسما كبيرا من صحراء الجزائر وموريطانيا ومالي والسينغال وغينيا وسيراليون وفولتا العليا والنيجير وشمال نيجيريا .

وان مما يبعث على الاعجاب ان هذه الامبراطورية على اتساع حدودها كانت تعيش في نظام وهدوء ورفاهية قلما كانت تتمتع بها دول في ذلك العصر .

ولقد خلف ليون الافريقي ومحمد كوتي وكلاهما شاهد عظمة مملكة سفاي في عهد سكيا محمد صفحات تشهد بعظمة هذه الدولة وتدل على مابلغته من درجة عالية في التقدم . وليس هنا محل تفصيل مظاهر رقي هذه المملكة الاسلامية التي نشأت في اعماق القارة السوداء واعطت الدليل القوي على عبقرية بناتها ، فكانت ولا تزال مفخرة افريقيا السوداء .

لقد كانت امبراطورية سفاي مليئة بالحواضر والقرى ، فلا تكاد تفصل المدينة والاخرى مسافة بعيدة ، ولكن اهم مدنها ـ كما تقدم ـ هي دجيني ، وتنبوكتو ، وكاغو . وقد يطول ذكر ما بلغته هذه الحواضر من تقدم ، وما كانت عليه من رقي . فيكفي ان نذكر بانها كانت مدن علم وثقافة زيادة على ما كان بها من نشاط تجاري ممتاز يربطها باهم عواصم الدنيا . وقد بلغت الحياة الفكرية في هذه المدن وخاصة في كاغو وتنبوكتو درجة يمكن ان نقارنها نسبيا بما وصلت اليه هذه الحياة في بعض عواصم اوروبا اليوم .

وناهيك بتونبوكتو التي كانت توامة لفاس ومراكش لا ينقطع التيار الفكري بينها . وقد وصفها المؤرخون وتغنى بها الشعراء وخصها الكتاب من امثال السعدي واحمد بابا والحسن الوزان بصفحات مفيدة . وقد انجبت هذه المدينة مآت الفقهاء والعلماء الاجلاء في كافة انواع المعرفة التي وصل اليها الفكر البشري آنذاك .

هذه نظرة موجزة عن امبراطورية سفاي التي ظلت في اوج العظمة ازيد من قرنين قبل ان تغير عليها يد الدهر . ورغم أن خلفاء سكيا محمد توري لم يبلغوا مقامه في الدهاء والسياسة والتبصر ، فان الامبراطورية ظلت راسية على قواعد متينة وبقي اهلها في بحبوحة من العيش الى ان برزت الاطماع وتعرضت لغزو لا قبل لها به ، فسقطت هي الاخرى ضحية التوسع والطغيان .

فكيف تـم ذلك ؟

هذا ما سنقصه باختصار مبينيـن المسؤوليـة التي تحملتها الدولة السعدية وبطل وادي المخـازن احمد المنصور فى تقويض دعائم هذه الامبراطوريـة الاسلامية لقاء ماكان يرتجيه من اسلاب ومغانم . مـع ان علماء المغرب الذين استفتاهم أفتوه اول مرة بحرمان غـزو هذه البلاد الاسلامية لكن الغرور ركبـه وغلبت عليه الاهواء والشهوات . فكان ما كان ...

❊ ❊ ❊

نهـايـة مملكـة سغـاي

انتهى الى علم احمد المنصـور ما كانت عليه مملكة سغاي من غنى وكثرة الموارد ، ووصل الى سمعـه ان بالبلاد معدن الذهب الخالص وان الناس يقصدونهـا من انحاء المعمور طمعا فى ابريزها . وبالغ المترددون على المغرب فى وصـف الثراء الـذي كانت تنعـم بـه تلـك المملكة ، فطمع المنصـور فى تملكهـا .

خـرج منتصرا من وادي المخـازن . ولم يخض معركة الا وكتب له الظفـر . وتمهد لـه المغرب طولا وعرضـا . فقوي نفوذ المنصور فى الداخـل والخارج ، وهابته الملوك واصبحت تهاديه وتخطب وده وقد قال صـاحب الاستقصاء : « ولم تزل الوفود مترادفة ببـاب المنصور . والارسال تصبح وتمسي على اعتـاب تلك القصور الى ان لم يبق احـد ممـن تتشوف النفوس اليـــه » .

كل هذه العوامل ملأت نفسـه عجبا وكبرا ، فشره الى غزو مملكة سغاي بعد ما هادن الاتراك بالمغـرب الاوسط وابعد عن ثغور بلاده سيطرة البرتغال ، وكان لابد للمنصـور من انتحال سبب للهجوم على الامبراطورية السودانية ، فوجده فى المطالبة بمناجم تغازي للملح . وهي مناجم تقع شمال الصحـراء الغربية وكانت خاضعة لنفوذ آل سكيـة يستغلونها لمصلحة دولتهم .

والغالب ان المنصور انما جعـل هذه المناجـم ذريعة للهجوم على الســودان . فلم تكن هذه المناجـم شيئا يذكر حتى تستوجب تلك الحرب الضـروس وما اقتضته من استعدادات هائلة . فلقد كتب ابن بطوطة عن مناجم تغازي ، وقد زارها قبل :

« وصلنا الى تغازي .. وهي قرية لاخير فيها . ومن عجائبها ان بيوتها ومسجدها من حجارة الملـح وسقفها من جلود الجمال ، ولا شجر بها . انما هـي رمل فيه معدن الملح يحفر عليه فى الارض فيوجد منـه الواح ضخام متراكبة كانها قـد نحتت ووضعت تحت الارض .. وبالملح يتصارف الـسودان كما يتصـارف بالذهب والفضـة يقطعونه قطعا ويتبايعون به » .

واطنب ابن بطوطة فى تحقير هذه القرية ، فبين ان ماءها زعاق وان الذباب والقمل يكثر بهـا ، ممـا يجعلنا نشك فى ان حب تملكها هو الذي دفع المنصور الى غزو مملكة سغاي ، والراجح انه انما هجم على هذه المملكة لما كان يؤثـر عن غناهـا وما بها مـن معـادن الـذهـب .

فى سنة 1545 بعث السلطان أحمد المنصور الى صاحب سغاي وكان اسمه اذذاك سكيه اسحاق بخطاب يطالبه فيه بمعادن تغازي . فاجابه ـ على ما قيـل ـ بكتاب ورد فيه ما مفاده : « حاشا ان يكون احمـد المنصور الذي عرض علي هذه العروض هو امبراطور المغرب ، وحاشاي ان أقبلها . فاسحاق الذي سيقبلها لم يولد بعد » . وقبل كذلك ان اسحاق امر الفا مـن تواركة بنهب ناحية درعة من اعمال المغرب على سبيل التخويف ثم بالعودة الى الصحراء .

على ان احمد المنصور لم يقم برد فعل عاجل . ومات اسحاق وخلفه سكيه داود .

وروى صاحب الاستقصاء قصة الغزو كاملـة فذكر انالمنصور كاتب صاحبمملكة كاغو بعد اناستفتى العلماء فافتوه بان « النظر فى المعادن مطلقا انما هـو للامام لا لغيره » فطالب المنصور سكيـه اسحاق بان يدفع مثقالا من الذهب لكل حمل من الملح يدخل الى السودان ليستعين بهذا الخراج على جهاد الكفار .

ومن المفيد ان نذكر ما رواه صاحب الاستقصاء حول استفتاء المنصور للعلماء وما أجابوه به :

قال لهم المنصور : « انى عزمت على منازلة امير السودان صاحب كاغو وبعث الجيوش اليهم لتجتمع كلمة المسلمين وتتحد الرعية ، ولان بـلاد الســودان وافرة الخراج كثيرة المال يتقوى بها جيش الاسـلام ويشتد ساعد كتيبته ، مع ان صاحب امرهم والمتولي

لسلطنتهم اليوم معزول عن الامارة شرعا ، اذ ليس بقرشي ولا اجتمعت شروط السلطة فيه العظمى ، »

فلما نثل المنصور ما فى كنانته وابدى ما فى خبيئته وعرض ما فى عيبته سكت الحاضرون ولم يراجعوا بشيء ، فقال لهم : « اسكتم استصوابا لرايي او ظهر لكم خلاف ما ظهر لي ؟ » فاجاب كلهم بلسان واحد وراى متفق : ان ذلك راى عن الصواب منحرف ، وانه بمهامه عن الاراء السديدة ولا يخطر ببال السوقة فكيف بالملوك ، وذلك لان بيننا وبين السودان مهامه تقصر فيها الخطا ، وتحار فيها القطا ، وليس فيها ماء ولا كلاء يتاتى السفر فيها ولا اعتساف شيء من طريقها مع كونها مخوفة مملوءة الجوانب ذعرا ، وايضا فان دولة المرابطين على فخامتها ، ودولة الموحدين على عظمتها ، ودولة المرينيين على قوتها لم تطمع همة واحد منهم لشيء من ذلك ، ولا تعرضوا لما هنالك ، وما ذاك الا لما راوا من صعوبة مسالكها وتعذر مداركها، وحسبنا ان نقتفي اثر تلك الدول فان المتاخر لا يكون اعقل من الاول »

وما انتهى العلماء من ابداء رايهم حتى رد عليهم احمد المنصور بما جعلهم يتراجعون ويقولون : « الهمت الصواب ولم تبق لاحد ما يقول وصدق من قال عقول الملوك ملوك العقلاء »

وهكذا تقرر مصير مملكة آل سكيه ، فاخذ المنصور يجهز جيشا ضخما بما يلزمه من عتاد حربي وقضى ثلاث سنوات فى الاستعداد : فجمع من القبائل ما يحتاجه من ابل وخيل وبغال ، وهيأ المدافع والمهاريس والبارود والرصاص والكور ، وانشا السفن لعبر الانهار والبراميل لحمل الماء . وعبأ اثنين وعشرين الف جندي لغزو مملكة سونغاي ، وعقد المنصور على ذلك الجيش للقائد جؤذر وسيره لفتح هذه المملكة بعد ان بعث بانذار اخير الى اسحاق بن داود الذي آل اليه الامر بعد وفاة ابيه وحدوث بعض القلاقل فى مملكة آل سكية . وقد رفض اسحاق الثاني الاذعان لهذا الانذار .

عبر جيش المنصور الصحراء الفاصلة بين المغرب والسودان بعد ما تجمع فى واد تنسيفت متخذا طريقه من ثنية الكلاوي ثم درعة ، وقطع مسافة الفي كيلومتر فى خمسين يوما حتى اشرف على مدينة كاغو عاصمة امبراطورية سفاي .

ثم وجه القائد جؤذر خطابا الى اسحاق يطلب منه الدخول فى طاعة المنصور . ولكن اسحاق رفض هذا العرض المشين واستعد للقتال . فجمع جيشا قوامه ثمانون الف مقاتل يشتمل على ثلاثين الف من المشاة وازيد من عشرين الف فارس وكانت عدتهم القسي والرماح .

واصطف الجمعان . وبدات المناوشات . فاعطى جؤذر الامر للمدافع بقصف صفوف السودانيين . ولم يكونوا يعرفون هذا النوع الجديد من السلاح . ومع ذلك استماتوا فى الدفاع ، فكانوا يرمون خصومهم بالرماح الى ان اختلطوا بهم . لكن لم يلبثوا الا قليلا حتى بدات امارات الهزيمة تبدو فى صفوفهم ، فاعمل الجيش المغربي السلاح فى رقابهم وهم يستنجدون صائحين : « نحن مسلمون ، نحن اخوانكم فى الدين » . فلم ينته النهار حتى كان الجيش السوداني منهزما ، وفر اسحاق سكية فى شرذمة من قومه بعد ان اعطى الامر باخلاء كاغو العاصمة . ودخلها جؤذر منتصرا فاطلق السبيل لجنوده يسلبون وينهبون . ووجه اسحاق رسلا الى جؤذر يطلب الهدنة مقابل الدخول فى طاعة المنصور ودفع مائة الف مثقال من الذهب وترتيب خراج سنوي . واشترط ان ينسحب الجيش المغربي ، ويترك امر مملكة سفاي لآل سكية . فاجاب القائد جؤذر بان الامر بيد المنصور وانه سيعرض عليه الاقتراح .

ولما علم المنصور بالمخابرات الجارية غضب وجهز جيشا جديدا عقد عليه للقائد محمود بن زرقون واعطى الامر بعزل جؤذر . فقطع هذا الجيش الصحراء فى مدة يسيرة الى ان وصل الى السودان . واخذ يلاحق اسحاق سكية فوقعت ثلاث معارك دامية انهزم فيها ما تبقى من جيش اسحاق . وتم احتلال حواضر مملكة سفاي وفر هذا الاخير الى الادغال . فعزله قومه ، وما فتىء ان هلك .

وقام بعد اسحاق اخوه محمود سكية ، ولكنه لقى نفس المصير على يد القائد محمود .

وكتب هذا الاخير بخبر الفتح الى المنصور . وبعث له هدايا عظيمة من جملتها على ما روى صاحب الاستقصاء « الف ومائتان من متخير الرقيق ، والجواري والفلمان واربعون حملا من التبر ، واربعة سروج ذهبا خالصا » وغير ذلك « حتى كان المنصور

لا يعطي من الرواتب الا النضار الصافي والدينار الوافي . كان ببابه كل يوم اربع عشرة مائة مطرقة لضرب الدينار الوافي دون ما هو معد لغير ذلك من صوغ الاقراط والحلي وشبه ذلك . ولاجل ذلك لقب بالذهبي لفيضان الذهب في ايامه » .

لكن مملكة سغاي ـ على خلاف ما ذهب اليه صاحب الاستقصاء ـ لم تذعن للامر الواقع . فسرعان ما انتظمت المقاومة من جديد برئاسة نوح سكية احد ابناء داود الذي تقدم ذكره . ودامت هذه المقاومة ازيد من اربع سنوات ، لم يستطع القائد محمود ولا القواد والجنود الذين بعثهم المنصور لنجدة جيشه في السودان اخمادها .

لقد كانت مقاومة شعبية تترصد لجيش الاحتلال وتهاجمه وتلحق به خسارات فادحة . حتى اصبح هذا الجيش لا يستطيع الخروج من الحواضر الثلاث: كاغو ودجيني وتنبكتو . وكان سكان الحواضر والادغال متواطئين مع رجال نوح . فكان ضباط الجيش يفتكون بهم . وما تزال نكبة تنبكتو عالقة بالاذهان حيث وقع البطش باعيان هذه المدينة وفي مقدمتهم العلماء الذين كانت تزخر بهم جامعة تنبكتو وقد نفي الكثير منهم الى مراكش مصفدين في الحديد. وعلى راسهم العلامة ابو العباس احمد بابا السوداني صاحب كتاب « تكميل الديباج » . وكان يقول : « انا اقل عشيرتي كتبا ، وقد نهب لي ست عشرة مائة مجلد » . وقد اعتقل هؤلاء العلماء بحاضرة مراكش .

ولكن تغريبهم على الصورة التي ذكرناها ووضعهم تحت الثقاف احدثا هزة عنيفة في الراي العام المغربي. فلم ير المنصور بدا من اطلاق سراح احمد بابا والتخفيف على الباقي من رفقائه في المحنة بعد ان فرض عليهم الاقامة بمراكش . « فتصدر الشيخ ابو العباس لنشر العلم واهرع الناس اليه للاخذ عنه ، ولم يزل بمراكش الى ان مات المنصور » . فاذن له ابنه بالرجوع الى بلاده ، والتحق الشيخ بالسودان بعد اثني عشر عاما قائلا قولته المشهورة « لا ردني الله الى هذا المعاد ولا رجعني الى هذا البلاد » .

رجع الى تنبكتو ، فوجدها قاعا صفصفا ، قد بارحها راوؤها ، وانتثر عقد العلماء الذين كانوا مفخرتها واصبحت نهبا لرهط من المتحكمين الدخلاء .

وكانت امبراطورية سغاي تلفظ النفس الاخير لتلتحق بالامبراطوريتين السابقتين : غانا ومالي . فلم تقم قائمة بعد القرن السابع عشر للممالك الاسلامية من هذا النوع على ضفاف نهر النيجير وفي عموم افريقيا الغربية .

* * *

الاطماع الاوروبية :

لقد اندفعت الدول الاوروبية وراء غزو افريقيا باسرها بعد ذلك بمدة يسيرة ، وتسابقت على التملك والاستغلال والاستعباد حتى كان تنافسها على المغانم يؤدي بها الى الاصطدام . فاجتمع مؤتمر برلين في اواخر القرن التاسع عشر ليوزع القارة السوداء على الدول الاعضاء ويحدد مناطق نفوذها حتى لا يبقى نزاع بينها . تصرف هذا المؤتمر في رقعة افريقيا السوداء وسكانها تصرفا كاملا فوزعها ووزعهم كما اراد مراعيا فقط مصالح الدول الاوروبية الاستعمارية.

لكن تهافت هذه الدول وفي مقدمتها فرنسا على احتلال افريقيا الغربية ثم ما نتج عن مؤتمر برلين من الاسراع في امتلاك مناطق النفوذ ، لم يمنعا قيام مقاومات عنيفة دامية استمرت عشرات السنين وظهر خلالها ابطال استماتوا دفاعا عن بلادهم من امثال عثمان دان فوديو ، واحمد بامب ، والحاج عمر طال ، وسموري . فكبدوا المستعبدين خسائر باهظة ، وابانوا عن كفاءة ومقدرة في تشييد الممالك ، لا تقلان عما امتاز به اسلافهم الاولون . ولكنهم لم يوفقوا حتى للمحافظة على حرية بلادهم امام تقدم الصناعة الحربية الحديثة وتآمر اوروبا اذ ذاك على اكتساح افريقيا السوداء وامتلاكها واستغلالها مصادر ثروتها.

* * *

خاتمة

هذه نظرة سريعة عن ثلاث امبراطوريات نشأت في جزء صغير نسبيا من افريقيا السوداء . وكم لها من مثيلات في الاجزاء الباقية . وهي تعطينا صورة عما بلغته هذه القارة من تقدم مادي وفكري كان

يتمشى في خط متواز مع نهضة العالم الاسلامي قبل ان تعرف اوروبا بنهضتها بعدة قرون . كما انها تدلنا على المجهود العظيم الذي بقي على الباحثين والمنقبين ان يبذلوه للكشف عن خبايا المدنيات التي توالت على افريقيا السوداء .

ومن حسن الحظ ان ترى العناية متجهة للبحث والتنقيب سواء بالجامعات الاوروبية او في وسط المتنورين من ابناء هذه القارة . مما جعل احد الكتاب المعاصرين (*) يتفاءل بهذه البادرة قائلا :

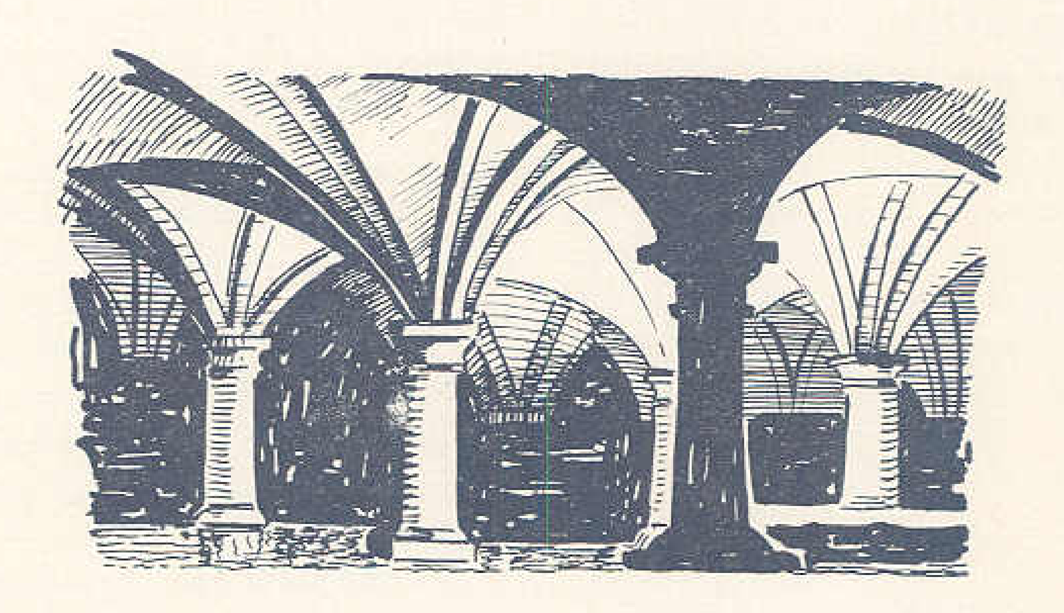
« منذ ان بدأت الدراسات المنصفة عن القارة الافريقية تبرز الى الوجود مع انتفاضة الشعوب الافريقية بعد الحرب العالمية الثانية من اجل حرياتها برزت معها الى الوجود كذلك معلومات جديدة لم تكن معروفة من قبل عن « الرجل الافريقي » .. عن تراثه وفكره وعقائده وفنونه التي أبقتها جميعا بعيدا عن

مجال المعرفة الانسانية النظرة الاستعمارية العنصرية التي ظلت تعمل عشرات السنين من قبل على تثبيت فكرة « الافريقي البدائي الذي ليست له حضارة او تراث او فكر » في اذهان الناس . بل وربما في اذهان الافريقيين انفسهم .. على ان هذه الفكرة العنصرية بدأت تتهاوى وتنهار مع الدراسات الافريقية الحديثة ومع الاكتشافات الاثرية التي اثبتت ان الشعوب الافريقية فيما وراء الصحراء جنوبا جرى عليها ما جرى على الانسانية من قوانين الحياة ، فقد كانت لها حضارات .. وكان لها تراث فكري وفني وعقائدي ظلت اثارة واضحة المعالم رغم العزلة الرهيبة التي فرضها على افريقيا السوداء الاستعمار والعبودية » .

قاسم الزهيري – سفير المملكة المغربية ببلغراد

---

*) سعد زغلول : في الفلسفة الافريقية – مجلة الكاتب العدد 11 .



معرض الكتب

المقريزي ورسالته: إغاثة الأمة بكشف الغمة

للأستاذ: عباس الجراري

المقريزي نسبة الى مقريز وهي حارة في بعلبك بداخل لبنان عاش فيها اسلافه منذ زمن بعيد الى ان تحول عنها علي والده ورحل الى القاهرة ، وفيها وفي بيت بحارة برجوان بالجمالية ولد له احمد تقي الدين سنة ست وستين وسبعمائة (1364 م) ولم يكن والده من سعة الحال فكفل نشأته وتعليمه على المذهب الحنفي جده لامه شمس الدين بن الصائغ ، وكان من كبار فقهاء المذهب ومحدثيه . ولم يقنع المقريزي بما اخذ عن جده وما درس بالازهر من علوم دينية ولسانية فعكف على قراءة كتب الادب والتاريخ والتقاويم يلخص ما تحويه بطونها من حوادث واخبار يساعده ذهن وقاد وفكر شغوف بالبحث والاطلاع وكان لابد ، وقد بلغ مرتبة في العلم عالية ، ان تطلبه مصالح الحكومة ، وكان لابد له كذلك ان يعمل للارتزاق ، فالتحق موقعا (*) بديوان الانشاء بالقلعة ، فنائبا من نواب (*) الحكم عند قاضي قضاة الشافعية وكان قد غير مذهبه الذي نشأ عليه ليتحمس للمذهب الجديد ، ثم عين اماما لجامع الحاكم ، فمدرسا بعد ذلك للحديث بالمدرسة المؤيدية .

ولاحظ السلطان ما فيه من الخلق والامانة وحسن الادارة ، فعينه محتسبا بالقاهرة والوجه البحري ، يختلط بالتجار والصناع وارباب الحرف ، وفي اثناء مزاولته لهذه الوظيفة تزوج وانجب بنتا لم تتجاوز سن السادسة حتى اودى بها الطاعون الذي اجتاح البلاد سنة اربع وثمانمائة ، ولكنه لم يلبث ان ضاق بهذه المهمة وما تفرضه من اعباء ومسؤوليات ، خاصة وقد صرفته عن العلم ، فطلقها وعاد اليه مدرسا للحديث بالمدرستين الاقبالية والاشرفية في دمشق ومشرفا في نفس الوقت على اوقاف مارستانها النووي ، ومن عاصمة الشام التي امضى بها عشر سنين ، رجع الى القاهرة ليعد الرحلة الى ارض الحجاز ، ويقيم مجاورا بمكة خمسة اعوام قضاها كلها في التدريس والتاليف ، واخيرا وكأنه سئم حياة الرحلة والتنقل عاد الى القاهرة والى حي الجمالية ليعيش بقية ايامه في حارة برجوان ، ويجعل من بيته المتواضع ناديا يجمع تلاميذه ومريديه ، الى ان كانت سنة خمس واربعين وثمانمائة (1442 م) فانطفأ سراجه وقد خلد اسمه مقترنا باعظم مؤرخي مصر منذ العصور الوسطى ، وبقيت مؤلفاته نفائس بيد كتب التاريخ المصري .

ولعل من اهم ما يميز المكتبة المقريزية تنوع مؤلفاتها وعدم سير صاحبها على نمط واحد في التاليف ، فهي اما كتب طويلة تكاد تكون موسوعات واما رسائل لاتتعدى موضوعها فكرة او حادثة .

اما الاولى ويظهر انه شرع في كتابتها بعد استقالته من وظيفة الحسبة واقامته للتدريس في دمشق ثم في القاهرة بعد ذلك ، فمنها « امتاع الاسماع بما للرسول من الابناء والحفدة والاخوان والاتباع »(*).

---

*) اي كاتبا ، وديوان الانشاء هذا كان اشبه بوزارة الشؤون الخارجية اليوم .

*) اي قاضيا . *) برقوق وذلك سنة 1398 .

*) مخطوط في ست مجلدات .

في السيرة وتاريخها ، و « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » (※) ويعرف بخطط المقريزي ، وقد درس فيه خطط القاهرة وآثارها الى جانب اخبار المدن المصرية الاخرى وانظمتها ومشاهير رجالها ، وقد كتب بعد استقراره النهائي في القاهرة ، وبعده الف سلسلة كتب تاريخية لعله اراد ان يجعلها ذيلا لخططه اولها « البيان والاعراب فيمن دخل مصر من الاعراب » (※) ثانيها « عقد جواهر الاسفاط في اخبار مدينة الفسطاط » ثالثها « اتعاظ الحنفاء باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء » (※) في تاريخ الدولة الفاطمية ، رابعها « السلوك بمعرفة دول الملوك » (※) في تاريخ الدولتين الايوبية والمملوكية ، ومنها كذلك بعض كتب في التراجم والطبقات ساعدته كثرة دراسته للتاريخ ان يعد مادة تاليفها اهمها : « المقفى » (※) في تراجم امراء مصر ومشاهيرها منذ اقدم العصور الى ما قبل عصره ، و « درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة » (※) ترجم فيه لمعاصريه ، و « الخبر عن البشر » (※) في التاريخ القديم ضمنه قبائل العرب ونسب الرسول .

واما الثانية ، وهي اشبه بالمقالة الصحفية الطويلة ، فمنها ما كتبه في اول عهده بالتاليف مثل « اغاثة الامة بكشف الغمة » وهو موضوع حديثنا ، و « شذور العقود في ذكر النقود » (※) بحث فيه تاريخ النقود العربية ، و « المكاييل والموازين الشرعية » درس فيه الاكيال والاوزان بالنظر الى الشرع (※) ويظهر ان ضيقه بوظيفة الحسبة واعبائها كان دافعا له الى تاليف هذين الرسالتين ، ومنها مجموعة خاصة ببلاد العرب واخبارها كتبها ايام كان مجاورا بمكة وهي « الكلام ببناء الكعبة بيت الله الحرام » و « ضوء الساري في معرفة تميم الداري » (※) و « التبر المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك » (※) و « وصف حضرموت العجيبة » (※) و « الالمام بمن في ارض الحبشة من ملوك الاسلام » (※) وغير هذه من المؤلفات الكثيرة التي كتبها في موضوعات مختلفة ومتنوعة .

والكتاب الذي نريد ان نتحدث عنه هو « اغاثة الامة بكشف الغمة » تقع طبعته الثانية في ست وثمانين صفحة من القطع الكبير ، وقد نشره لاول مرة سنة اربعين وتسعمائة والف الدكتوران محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال معتمدين على ثلاث نسخ مخطوطة : الاولى بمكتبة في استانبول ، والثانية بدار الكتب المصرية ، والثالثة بمكتبة جامعة كمبردج بانجلترا ، والى جانب تصدير الطبعة الاولى الذي اعيد نشره في اول الطبعة الثانية كذلك والذي اعطى فيه الناشران لمحة قصيرة جدا عن الكتاب واهميته ، توجد مقدمة علمية كتبها الدكتور حسين فهمي ذهب فيها الى ان النظريات الاقتصادية وليدة بيئة اصحابها وان الفكر الاقتصادي العربي بلغ ذروته في القرن الخامس عشر الميلادي بظهور ابن خلدون وابن الدلجي والمقريزي ، واستخلص من قراءته للكتاب ان المؤلف عرض فيه لنظريتين من النظريات الاقتصادية الحديثة احداهما تتصل بالازمات الدورية او الموسمية وما زالت الى الان وخاصة في الولايات المتحدة اساسا لدراسات اقتصادية ، والثانية خاصة بتثبيت النقد وسلامته ، وهي ان النقد الرديء يطرد النقد الجيد والفلوس النحاسية نقد رديء بالنسبة للدرهم والدينار فطردتهما من السوق ، ولاحظ الدكتور فهمي ان هذه القاعدة الاقتصادية وتعرف بقانون جريشام (※) قد سبق المقريزي الى توضيحها في رسالته هذه قبل مائة سنة تقريبا من مولد جريشام ، واعترض الدكتور شافعي في كتاب له عن النقود والبنوك ان يكون جريشام هو صاحب هذا القانون ولكنه لم يعز للمقريزي فضل السبق اليه وانما رده الى اصوله الاولى فقال :

(※) طبع مرتين الاولى في مجلدين والثانية في اربعة .
(※) مطبوع ومترجم الى الالمانية . (※) مطبوع في اربعة اجزاء . (※) في ثلاثة اجزاء غير مطبوعة . (※) في ستة اجزاء غير مطبوعة . (※) في ستة اجزاء غير مطبوعة .
(※) طبع وترجم الى الايطالية والفرنسية . (※) مطبوع ومترجم الى الايطالية .
(※) مخطوط . (※) مخطوط . (※) مخطوط .
(※) مطبوع . (※) مطبوع ومترجم الى الفرنسية .
(※) نسبة الى الاقتصادي الانجليزي المعروف توماس جريشام (1519 / 1579) .

« على ان جريشام لم يكن اول من فطن الى القانون المذكور فقد سبقه الى ذلك ارستوفان فى القرن الخامس قبل الميلاد كما صاغ اوريزم القانون صياغة دقيقة فى كتاب له عن النقود سنة اربع وستين وثلاثمائة والف للميلاد » .

ومن يدري لعل المقريزي وقف على هذه النظرية خلال مطالعاته ودراساته فطبقها على ازمة النقد فى بلاده ، ولعله كذلك وصل اليها بتفكيره العلمي العميق.

وفى مقدمة الكتاب اوضح المقريزي طريقته فى معالجة الموضوع بعد ان صرح بان ما نزل بالناس من محن وازمات يرجع الى سوء تدبير الزعماء والحكام وبين فى فصل صغير يليها كيف ان الانسان يستخف الحوادث السابقة ويستسهلها مهما كانت صعبة على الذين عاشوها ، لمجرد انه لم يشاهدها ، ولان ملالة الحالة الحاضرة تزين له فى وهمه حالة الماضي وبالتالي فان المحن التي نزلت فى ايام المؤلف كانت مسبوقة بازمات اشد واصعب .

وتحت عنوان « فصل فى ايراد ما حل بمصر من الغلوات وحكايات يسيرة من انباء تلك السنوات » ذكر ما حل بمصر بازمات الغلاء منذ قديم الزمان ، فنقل عن ابراهيم بن وصيف شاه فى كتاب « اخبار مصر قبل الاسلام » ان اول محنة نزلت بمصر كانت فى زمن الملك السابع عشر من ملوك مصر قبل الطوفان واسمه افروس بن مناوش ، بسبب انقطاع الامطار وقصر ماء النيل فهلك الناس ، ثم وقع بعدها وقبل الطوفان كذلك غلاء فى زمن الملك التاسع عشر المسمى فرعان بسبب الظلم والجور ، اما بعد الطوفان وفى ايام تريب بن مصريم الملك الثالث عشر فقد توقف جريان ماء النيل مدة طويلة فهلك الناس ومشى الملك وقد اضعفه الجوع فكتب الى هود عليه السلام يلتمس منه الدعاء فتوسل النبي الى ربه فاستجاب واجرى النيل ، ثم كانت الازمة التي دبر امر البلاد فيها يوسف عليه السلام ، وكانت زمن ثالث ملوك الفراعنة تبعها غلاء هو الذي يقول فيه تعالى : « ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » والذي يقول فيه كذلك : « ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الاموال والانفس والثمرات لعلهم يذكرون » . ثم انتقل بعد ذلك لما تعرضت له مصر بعد الاسلام من محن الغلاء ، فذكر انه سنة سبع وثمانين حدثت اول ازمة وامير مصر يومئذ عبد الله بن عبد الملك بن مروان فتشاءم الناس ، ثم تلتها اخرى ايام ابي القاسم او نوجور الاخشيدي فثارت الرعية ، وقصر ماء النيل بعد ذلك فتظاهر الناس وكسروا منبر الجامع ، وتوالت المحن ايام علي وكافور الاخشيديين منذ سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة بسبب قصر ماء النيل فكثر النهب وانتشرت الفتنة وعم الاضطراب واشتد الوباء وفشت الامراض وكثر الموت حتى عجز الناس عن تكفين الاموات ودفنهم فكان من هلك يطرح فى النيل ، واستمرت الازمات تسع سنين لتنتهي بمسير القرامطة الى مصر ودخول جوهر الصقلي قائد جيوش الامام المعز لدين الله واتخذت الاجراءات فانحل السعر واخصبت الارض وعاد الرخاء ، وكثرت المجاعات فى ايام الحاكم بامر الله بسبب هبوط النيل فانتشرت المسغبة وهلك الناس وفى ايام المستنصر كذلك احسن القائمون تدبيرها فحلت كلها وعاد الرخاء ، ووقع غلاء مرة فى عهده بسبب ضعف السلطة واختلال احوال المملكة واستيلاء الامراء على الدولة فتعطلت الاراضي وانتشر الخوف وعم الوباء واكل الناس القطط والكلاب بل تزايد الحال فاكل الناس بعضهم بعضا « وكانت طوائف تجلس باعلى بيوتها ومعهم سلب وحبال فيها كلاليب فاذا مر بهم احد القوها عليه ونشلوه فى اسرع وقت وشرحوا لحمه واكلوه » و « باع المستنصر كل ما فى قصره من ذخائر وثياب واثاث وسلاح وغيره وصار يجلس على حصير » و « جاء الوزير يوما على بغلته فاكلها العامة فشنق طائفة منهم فاجتمع عليهم الناس فاكلوهم » ثم اعقبتها ازمات ايام الحافظ لدين الله وفى عهد الفائز وفى سلطة العادل ابي بكر الايوبي سنة ست وتسعين وخمسمائة بسبب توقف النيل عن الزيادة « فاكل الناس صغار بني آدم من الجوع فكان الاب ياكل ابنه مشويا ومطبوخا والمراة تاكل ولدها » وكان يدخل الرجل دار جاره « فيجد القدر على النار فينتظرها حتى تتهيا فاذا هي لحم طفل » لدرجة لما « اغاث الله الخلق بالنيل لم يوجد احد يحرث او يزرع » ، وقصر النيل ايام السلطان العادل كتبغا التركي وهبت ريح مهلكة فجمع الفقراء والمحتاجين وفرقهم على الامراء لاطعامهم ، كما حدثت مجاعة ايام الملك الناصر محمد بن قلاون ، وفى ايام الاشرف شعبان سنة ست وسبعين وسبعمائة وقع آخر غلاء وقد ادركه المؤلف ، ولاحظ الناشران انه قبل هذه المحنة الاخيرة نزل وباء شنيع سنة تسع واربعين وسبعمائة دام سنتين عمت آثاره امم الشرق والغرب، وهو المعروف فى تاريخ الشرق باسم الفناء الكبير وفى

التاريخ الاروبي باسم الموت الاسود ، وكان سبب انتشار بعض الامراض الوبائية ، ولعل المقريزي لم يشر اليه لانه قصر كتابه على اخبار المحن الناجمة عن الغلاء وسوء الحكم في مصر .

وانتقل المقريزي بعد هذا العرض الذي استغرق منه ما يقرب من نصف صفحات الكتاب ليتحدث في فصل خاص عن اسباب هذه المحن التي تعرضت لها البلاد فردها الى ثلاثة اسباب : اولها توصل الجهلاء والظالمين بالرشوة الى تقلد اعلى مراتب الحكم في الدولة كالمناصب الدينية وولاية الخطط السلطانية من وزارة وقضاء ونيابة وغيرها واضطرارهم لتسديد ما وعدوا به السلطان من اموال الى تعجلها من اعضاء حاشيتهم واعوانهم فيقرروا عليهم ضرائب تدفعهم ان يمدوا ايديهم الى اموال الرعايا الذين يضطرون الى الاستدانة وبيع ما يملكون من اثاث وحيوان . ثانيها ارتفاع ايجار الاطيان ، وغلاء نفقات الحرث والبذر والحصاد ، وارتفاع ثمن المحصولات مما نتج عنه خراب كثير من القرى وتعطيل معظم الاراضي الزراعية ونقص فيما تخرجه الارض من غلال لموت كثير من الفلاحين والزراع وتشردهم في البلاد وقد هلكت دوابهم ولعجز آخرين ممن يملكون الاراضي عن ازدراعها لارتفاع سعر البذر ونقص اليد العاملة . ثالثها رواج الفلوس النحاسية التي اصبحت النقد الغالب ، واختفاء الدراهم والدنانير من التعامل لعدم ضربهما ولسبك ما بايدي الناس منهما لاتخاذه حليا ، وقد تفتن الامراء والاتباع والاعوان في الترف والتأنق وتباهوا بفاخر الزي وجليل الحلي ، فكان ان دهى الناس وذهب المال وقلت الاقوات وتعذر وجود المطالب ، والملاحظ ان المقريزي لا يرى النقد سليما الا اذا قام على الذهب والفضة ، واستطرد من شرحه لهذا السبب الى اعطاء نبذة غير قصيرة عن العملة وتاريخها في الجاهلية والاسلام ، فذهب الى ان العرب الجاهليين كانوا يتعاملون بالمثقال المسكوك من الذهب والفضة ، دينارا كان او درهما ، ثم بعث النبي (ص) فاقر أهل مكة على ما كانوا يتعاملون به ، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون ، غير انهم زادوا نقوش بعض الكتابات مثل «الحمد لله» و «لا اله الا الله وحده» كما ضرب الخلفاء الامويون دراهم ودنانير نقشوا عليها كتابات وآيات مع اختلاف في الوزن والشكل ، وانفرد معاوية من بين كل الخلفاء بسك دنانير عليها تمثاله متقلدا سيفه ، وسار العباسيون بعدهم على ما وجدوا الا انهم نقصوا في الوزن ، ثم تحدث عن تاريخ العملة في مصر وانها كانت دنانير من الذهب وان الفضة كانت تتخذ للحلي والاواني وقد يضرب منها للمعاملات التي يحتاج اليها كل يوم لنفقات البيوت الى ان كان عهد الحاكم بامر الله الفاطمي فسك الدراهم من الفضة مخلوطة احيانا مع النحاس ، وبقيت العملة على هذا النمط حتى دولة الايوبيين ، فراجت الدراهم الكاملة وهي مزيج من الفضة والنحاس ، واستمر التعامل بها حتى في ايام مواليهم الاتراك ، اما الفلوس النحاسية فقد اخذ يزداد انتشارها منذ ضربها الكامل الايوبي الى ان طغت على الدرهم والدينار فاختفيا وكانت الازمة .

ثم تحدث بعد هذا عن طبقات الناس وبيان الحالة المادية لكل منها فجعلها سبعا : الاولى اهل الدولة ويبدو لهم ان الاموال كثرت بايديهم بالنسبة لما كانت عليه قبل المحن باعتبار غلاء سعر الذهب وما يتحصل لهم من خراج الاراضي وقد ارتفع ثمنها ، في حين انهم لو تدبروا الامر لوجدوا انه لم ينلهم في الواقع ربح . الثانية مياسير التجار واولوا النعمة والترف ويظنون انهم بزيادة الدخل يكسبون وهم في الحقيقة يخسرون بسبب كثرة النفقات واختلاف النقود . الثالثة اصحاب البز وارباب المعايش ويقتاتون مما يتحصل لهم من الربح حسب الواحد منهم الا يستدين .

الرابعة اصحاب الفلاحة والحرث ، وفيهم من اثرى ، وهم الذين ارتوت اراضيهم اثناء المحن ، وفيهم من هلك لتوالي الازمات وقلة ري الاراضي وهم الاغلبية الخامسة الفقراء ، وهم اكثر الفقهاء وطلاب العلم ومن يلحق بهم من صغار الموظفين وصغار الملاك، وهم لسوء ما حل بهم ما بين ميت او مشتهي الموت . السادسة ارباب المهن والاجراء والخدم والسواس والحاكة والبناة وامثالهم من العمال ، وقد مات اكثرهم ولم يبق منهم غير القليل مما ضاعف اجورهم . السابعة اهل الخصاصة والمسكنة ، وقد فنى معظمهم جوعا وبردا ولم يبق منهم الا اقل من القليل .

واتبع هذا الفصل الخاص بالطبقات بآخر عن اسعار المبيعات في القاهرة والاسكندرية ، وخاصة مواد الغذاء من حبوب ولحوم وخضر وفواكه واستشهد بالارقام على غلاء ثمنها بسبب كثرة انتشار الفلوس واستخدامها عملة رئيسية ، والعودة الى التعامل بنقود الذهب والفضة ، وبالعودة اليه ، وهو وحده

المعتبر طبيعة وشرعا ، ترجع احوال الناس الى ما كانت عليه ، ويبقى ما بايديهم من ذهب يتحلون به او نقود يتعاملون بها وبعود الرخص والرفه الى ما كانا عليه ، ومرة اخرى يؤكد فى آخر الكتاب ان السبب فى فساد الامور انما هو سوء التدبير لاغلاء الاسعار .

والذي يتضح لنا من بين فصول الكتاب ان المقريزي تأثر ببيئته اشد التأثير وبما كان يدور حولها من حوادث واحداث ، وهو فى هذا تلميذ لابن خلدون ، وكان يحضر دروسه فى الازهر ايام اقامته بالقاهرة ، (*) فابن خلدون عاش فى المغرب والاندلس ولاحظ عن قرب ما تتخبط فيه العدوتان من فوضى وفساد مرجعهما الى القائمين بشؤون الحكم فدفعه ذلك لكتابة مقدمته التي عالج فيها ظواهر الاجتماع ودرسها ليكشف عن القوانين التي تخضع لها هذه الظواهر سواء فى نشأتها وتطورها وانحلالها ، غير مخل بمشاكل الاقتصاد وما يتعلق بالانتاج والتجارة ، شارحا اسباب سقوط الدول واثر الظلم فى خراب العمران ، وكذلك فعل المقريزي ، فقد لاحظ سياسة المماليك المتحزبة والتطاحن الذي كان بين الاتراك الجراكسة وبين المماليك المقيمين وما قاساه المصريون من الوان الظلم والطغيان ، وما سببه احتقارهم للشعب واستهتارهم بمصالحه من فتن وثورات وطواعين ومجاعات ، فكتب رسالته موجها عنايته للناحية الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية ، ثم ان اسرة المقريزي حديثة العهد بالحياة المصرية ، فهي تلاحظ خصائصها وتقارنها بالحياة القديمة التي عاشتها بلبنان، وطفل يعيش وسط اسرة هذه حالها لابد ان تتولد فيه روح البحث والاستطلاع ، هذا الى ان هناك اسبابا كانت دافعا لتأليف الكتاب ، لعل اهمها وفاة ابنته فى الطاعون ولم تكن قد تجاوزت سن السادسة ، وتجاربه الخاصة اثناء مزاولته للحسبة حيث كان يختلط برواد الاسواق من تجار وصناع وارباب الحرف والمهن ويبحث حالة الاسعار والنقود ويضبط الموازين والمكاييل ويراقب صغار التجار والباعة المتجولين ويفصل فى شكاوي الاسواق ويوقع العقوبات ويصدر الاوامر والقوانين وغير هذه من المهمات التي تدخل حاليا فى نطاق وزارات التموين والاقتصاد والداخلية والشؤون الاجتماعية ، هذا الى ان الجماعة التي حدثت فى زمنه (*) حفزته ان يبين : « ان ما بالناس سوى سوء تدبير الزعماء والحكام وغفلتهم عن النظر فى مصالح العباد ، لا انه كما مر من الغلوات وانقض من السنوات المهلكات » ولم يقتصر تأثر المقريزي بابن خلدون على موضوع البحث فحسب بل تعداه الى الشكل الذي يخرج عليه ، فهو كأستاذه يوجز الاسلوب ويكثر من الاستشهادات التاريخية ، وهو مثله يفتتح الفصول مخاطبا القارىء وداعيا له ، ثم هو اخيرا يختمها بآية او آيتين من القرءان .

ولم يمنع كل هذا التشابه من وجود فرق بين العالمين الكبيرين ، فالمؤرخ المغربي شملت ملاحظاته ظواهر الاجتماع فى كل الشعوب التي عاش فيها واحتك باهلها مركزا فى معالجته للمشاكل على الناحية التاريخية والاجتماعية ، فى حين ان زميله خص موضوعاته بمصر يعالجها علاجا تحليليا .

ولا نريد ان ننهي هذا التحليل المجالي دون ان نلاحظ ان المقريزي فى رسالته هذه وفى غيرها من الكتب الصغيرة يدلي بآرائه معللا ومحللا وشارحا فى غير كثير من التقيد والتحفظ مما يلقي ضوءا على شخصيته يندر ان نعثر عليه فى كتبه الطويلة التي يجرفه فيها سيل اخبار الخلفاء والامراء والحروب وما اليها من الحوادث الطويلة الذيول .

---

* امتدت اقامة ابن خلدون بمصر من سنة 784 الى سنة 808 (1382 / 1406) .
* من سنة 796 الى سنة 808 .

الرباط : عباس عبد الله الجراري



اذا كانت هناك ميزة فكرية وظاهرة عقائدية لعالم ما بعد الحرب الثانية، فانها لا تعدو هذه البحوث والدراسات (الايدلوجية) المتعددة الاتجاهات في الشرق والغرب على ضوء ما جد في عالم ما بعد الحرب من صراع المذاهب والآراء، والملك والنحل والاديان.. فقد اخذ هذا الصراع اشكالا مختلفة، منها الفكري ومنها الديني ومنها السياسي والاجتماعي.. وقامت عدة حروب صامتة حينا وصاخبة احيانا بين دعاة المذاهب الراسمالية والاشتراكية والشيوعية.

وغني عن البيان ان وراء كل مذهب قوة سياسية تزكيه وتؤيده وتكسب له الانصار والاتباع وتفتح امام دعاته ميادين شتى فى الاذاعة والصحافة والسينما وكل وسائل النشر والاعلان، المشروع منها وغير المشروع.

والفكر العام البشري هو الضحية الاولى لهذا الصراع، وهو الميدان الذي تجرب فيه تجاربها فى المذهبية واللا مذهبية وما تجره كل واحدة منهما من مادية او فوضوية او تبعية فكرية، لا غنى عنها فى هذا الصراع.

والبحث عن الحقيقة او البحث عن اليقين لا مجال له فى عالم الاغراض والاهواء والنزعات.. وانما يكون البحث عن اليقين، والبحث عن الحقيقة فى عالم التجرد والنزاهة والاختيار، وهذا يكاد يكون معدوما فى عالمنا هذا الذي يدور كل شيء فيه مع عجلة الخطط التي تخطط فى غيبة عن الفكر الحر ودعاته، والنزاهة وانصارها..

وهكذا تضيع الحقائق وتخنق فى مهدها.. ولا يبقى امامنا فى هذه الابحاث الا صدى المذهبية واللا مذهبية التي تحتل رؤوس واقلام قادة هذا الصراع بين المذاهب المتطاحنة لحساب قوة مسيطرة هي الفكر المدبر والمحرك الاساسي لكل هذه الاعمال..

واذا كانت حاسة بشرية عليا تميز الخبيث من الطيب، والنافع من الضار.. فان هذه الحاسة تقهر احيانا وتغلب على امرها، من اجل دوافع شتى كثيرا ما تفقدها حريتها، واختيارها..

وهذا هو السبب الرئيسي فى التناقض المذهبي والعقائدي الذي نلمسه احيانا واضحا فى اقوال وافعال كثير من الدعاة فى الشرق والغرب...

فالمسلم المؤمن بالله المعتقد لعقيدة الاسلام فى الخلق والبعث، والثواب والعقاب، والجنة والنار،

وما يتفرع عنها من آداب واحكام فى الشريعة والعقيدة.. نجده احيانا يدعو الى مذاهب تهدم هذه العقيدة فى الاساس، ولا تعترف بها لا جملة ولا تفصيلا.. بل تعدها من الاساطير البشرية والمخدرات التي تعوق الانسان عن التقدم والنهوض.. ثم هو بعد ذلك يقول: انه مسلم ومن المسلمين.. وان مذهبه لا يتنافى في شيء مع الاسلام.

وهذا مجرد مثال لهذا التناقض المذهبي والعقائدي فى عصرنا هذا.. وهناك عدة امثلة اخرى لا مجال لتتبعها فى هذا الحديث والكتاب الذي بين ايدينا اليوم هو كتاب: « الاسلام... لا الشيوعية » لمؤلفه الاستاذ والباحث الشهير اسماعيل مظهر..

وهذا المؤلف معروف في ميدان البحث العلمي والفلسفي وهو من الرواد الذين عاشوا عدة تجارب اجتماعية وفلسفية ولاهوتية منذ سنوات ...

ومؤلفاته العديدة ورسائله ومقالاته كانت تعنى بالمذاهب الفلسفية المعاصرة في اوربا ، وعلى الاخص.. مذهب داروين في النشوء والارتقاء وما تفرع عنه من آراء مادية في عالمي الحضارة والثقافة .

وقد كانت هذه السنوات العديدة التي قطعها كباحث ومؤلف وصحفي كافية لاقناعه بوجهة نظر .. ظل يبحث عنها حتى وجدها .. وحتى وجدناها نحن معه في هذا الكتاب الجديد . .الذ تقدمه اليوم ..

الكتاب من عنوانه يعين الاتجاه الصحيح الذي اراد ان يتجه اليه المؤلف في رسم خطوط الفكر الاسلامي المعاصر في عالم تتصارع فيه مذاهب مادية متناحرة من اجل مكاسب مادية ستصرع الغالب والمغلوب على السـواء .

والكتاب صغير الحجم ولكنه يكاد يكون مكتوبا بلغة تلغرافية مركزة لا تعرف الا بسط الحقيقة المدعمة بالدليل والبرهان ..

واولى النتائج التي وصل اليها في فصله الاول : هي طعنة نجلاء في صميم المذهب الذي يدعي انه انساني لا يفرق بين الاديان والالوان .. فيقول المؤلف :

(قبل الاسلام لم يعرف الناس معنى « الانسانية» وقد ابلغ محمد عليه السلام للبشر رسالته في شكل دين انساني ودولة عالمية ، تجمع بين مصالح البشر وتنشد سعادتهم ، كل هذا في حدود الفطرة ، في حدود الحرية الكاملة ، فلا اكراه في الدولة ، ولكن هاهي ذي حدود الاسلام : دين حر تقوم عليه دولة حرة .. هذه هي ــ الانسانية ــ التي بشرت بها للناس رسالة الاسلام) .

وكان منطق المؤلف في هذا الفصل رائعا يصرع الشبهات المادية فتتساقط من حوله هامدة كاوراق الخريف ..

وكم كان المؤلف موفقا حينما عرض آراء رجال الفكر المعاصر في الحضارة المادية .. وما ينتظرها من زلزال يعصف بها .. لانها لا تملك ما يملكه الاسلام من جذور ثابتة في اعماق النفس الانسانية .

وكم كان المؤلف موفقا حينما خاطب تلك القواعد المفتولة .. والعزائم المثبوبة من الشباب المسلح الحيران في مفترق الطرق لا يدري اي اتجاه يقصد .. فيقول لهم :

(لا شك عندي مطلقا في ان هزائمنا المادية كانت انعكاسا عن هزائمنا الروحية .. كما انه لا ريب في اننا مهدنا الطريق بذلك الى غزوتين .. كلتاهما رمت الى محو اصولنا التي قامت عليها حضارتنا الاسلامية، كانت الغزوة الاولى غزوة المحو الاستعماري ، اما الغزوة الثانية فغزوة المحو المادي الماركسي ، والغزوة الثالثة افظع وانكد من الغزوة الاولى)

ويستمر المؤلف في عرض نتائج خبرة دامت نحو الاربعين عاما من البحث والاستقرار والتفكير والاطلاع ، وهو المثقف الذي يحمل عدة شهادات ويتقن عدة لغات وقد عاش اجيالا من الثقافة والحضارة .

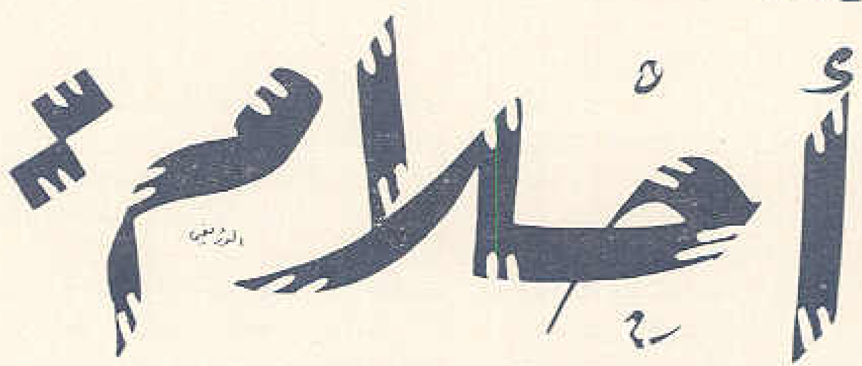
وهو لا يتوانى عن ابراز الحقائق سواء كانت للمسلمين او عليهم ، وسواء كانت نقدا ذاتيا او منهجيا، وسواء كانت تهم طائفة معينة او تعنى الجميع ...

ويختم المؤلف كتابه بهدم المذهب المادي من الاساس وابرازه على حقيقته خاليا من اصباغ ما يسمى بالعدالة والحرية ، فقد اظهر المؤلف ما تحت هاتين الكلمتين من معنى ، لا يعدو ان يكون شركا لاصطياد البسطاء والمتنورين .

وفي الوقت نفسه يرفع القناع عن العدالة الاجتماعية والحكمية والحرية الشخصية والاجتماعية في الاسلام ، ويقارن بين المعاني الثابتة .. والمفاهيم السطحية المموجة ليفسح الطريق امام الجيل الصاعد من المسلمين ليعرف نفسه وليربط حاضره بماضيه.. وليتطلع الى المستقبل بعزيمة صادقة وايمان قوي.. واندفاع نحو الحقائق لا الاوهام ..

والحق ان كتاب الاستاذ مظهر هو كتاب الجيل الصاعد فما احرى هذا الجيل ان يدرس هذا الكتاب .

فاس : عبد القادر زمامة



أحلام

مسرحية اجتماعية فكاهية في فصل واحد

للاستاذ : عبد القادر المقدم

مسرحية اجتماعية فكاهية فى فصل واحد

المكان غرفة صغيرة للنوم وبجانبها المطعم

الزمان اول الليل

الاشخاص : صابر ــ كريمة ــ صوت ــ واصوات فتيــات ...

المنظــــر الاول

(ادوات الشاي ورنين اطبــاق الحلــوى)

كريمة ــ (فى دهاء) كل الاشياء فى هذه الدنيا تنالها يد التغيير الا انت يا صابر فلا تـزال كما عهدتـك منذ الساعة التي تلاقينا فيها على عادات رتيبة واحوال متشابهة لا تحويل فيها ولا تبديل ... كانني واياك تمثالان فى متحف الفراعنــة .. آه يا صابر .. انا ضحية هذا الاهمال .

صابــر ــ (متأثرا) ما ذا تنتظرين مني ان افعل . اني كما تعلمين اصرف اوقاتي فى العمل .. اجاهد سحابة نهاري واسهر طرفا من الليل سعيا وراء غاية واحدة هي حفظ توازن اسرتنا . وحــذار من تقلبــات الايــام .

كريمــة ــ انا موقنة من ان الدهر لا يهمه من امرنا شيء كفى ما نحن عليه من الخمول .. فلينا لا يختلف فى شيء عن نهارنا .. وكل شيء فينا وحولنـا يحتفظ بلونه وشكلــه كما تحتفــظ « نعــم » و « بئس » بوزنيهما وصيغتهما من عهد سبويــه والكســـائي ...

صابــر ــ اظنك تجهلين حقيقة الحياة وما فيهــا مــن خير قابل وشر كثير ..

كريمــة ــ اذا عجزت عن مجاراة الحديث بشــيء من التعقل فررت الى فلسفتك التــي تنحصــر فى قوالب من الكلام ومعان هرمة .. اعلم ان الحياة تتطلب التجديد والا كانت غير حياة .. وانــت يا صابر متى ستفهم هذا ؟

صابــر ــ الا يرضيك ان اكون رجلا عاديا يعمل ليوفر له واماثلته مؤونة العيش ؟ فيسلم النــاس من شره ليسلم هو من شرورهم ؟

كريمــة ــ انا لا اقر هذا المبــدا .. المهــم ان تجاري الحياة ..

صابــر ــ لعلك تضربين على وتر الشاعر الذي يقول :

اذا انت لم تنفــع فضــر فانمــا
يرجى الفتى كيمــا يضــر وينفعــا

كريمــة ــ لله دره .. انني ادين بهذا المبــدا . لقــد القيت اليك بشتى النصائح فلم تنتصــح وكان الفلك بالنسبة اليك متوقف عن الدوران .

صابر – وهل تتحملين مسؤولية الفشل ؟

كريمة – (تنظر اليه فى استخفاف) فشل ! . . .

صابر – انني اعتزم القيام بعمل . .

كريمة – لست اول ولا آخر من جرب وفشل . . قال احد الفلاسفة « لا بد من عبور قنطرة الفشل لمن يتوق الى النجاح » !

صابر – سترين عما قريب اي مغامر انا !

كريمة – على ان ركوب الاخطار يتوقف على تحين الفرص

صابر – (مترددا) كم كان يحلو لي ان اراك تهيبين بي الى اقتحام مغامرات طالما وضعت لها الخطوط . والشيء الوحيد الذي كان ينقصني دائما هو التحريض والتشجيع ... فانا مثل الجندي الذي يجبن فى بداية المعركة فاذا ما رنت اناشيدها نسي كل خطر واستدبر كل شيء الا المعركة .

كريمة – هل تراني اجيد فن التحريض ؟

صابر – تجيدين ما هو اعظم من ذلك ؟
(رنين جرس التليفون . .)

صابر – (يتناول التليفون) الو . . . الو . . .

بيان – (خافتا) صابر . .

صابر – نعم هو انا . . . وانت من . . ؟

بيان – انا بيان . . هل لا تزال ترغب فى لقاء ذلك الشخص ؟

صابر – لا . . . لقد طرا على حياتي منذ دقائق ما غير رايي فيها . .

بيان – طيب . . لعله خير . .

صابر – نعم لعله خير . . الى اللقاء .

بيان – الى اللقاء .

المنظر الثاني

(على مقعد فى حديقة عامة . . صابر وبيان)

صابر – (متأثرا) انت تعلم انني رجل خامل . وقد ورثت هذا عن الآباء رحمهم الله اذ كنا نسمعهم يردون فى احاديثهم هذه العبارة « الخمول نصف السعادة » فنشأنا محبين لهذا المبدأ . ولكن سرعان ما انقلبت الاوضاع وتغيرت الاحوال وتبع ذلك تغيير شامل لمفاهيم الكلمات ومضامين العبارات . . وها نحن اليوم نرى ان الخمول اصبح نصف الشقاء .

بيان – (يطرق مليا) هذا لا يخلو من صواب . ان اقرب الاشياء الى التبديل هي المذاهب والمبادىء التي هي من وضع الانسان . . اي شيء زج بك يا صابر فى ظلمة هذا القلق ؟ .

صابر – زوجتي .

بيان – زوجتك ؟ .

صابر – نعم زوجتي . . . وهي على ما اظن على صواب ! لقد فاجأتني اليوم بدرس لم اكن اعتقد فى يوم من الايام انها تتولى القاءه علي فى لهجة صارمة واسلوب ساحر كما فعلت اليوم .

بيان – اتود ان تحدثني بتفصيل اذا ما التقينا مساء ، بعد ان ننفض ايدينا من اشغال اليوم ؟ .

صابر – سنفعل . . على ان يبقى سرا بيننا .

بيان – تماما . .

صابر – الى اللقاء .

بيان – الى اللقاء .

المنظر الثالث

(فى البيت مرة اخرى)

(فى حلم)

صوت – بعد قليل تركب الباخرة . . هل سافرت عبر المحيط لا . ف

صابر – هذه هي المرة الاولى التي افارق فيها هذه الارض .

صوت – ركوب البحر خطير !

صابر – كلمة خطر تدخل فى اذني هذه وتخرج من هذه الثانية (مشيرا بطرف سبابته الى اليمنى) . . اذ انني ما تعودت خوف الخطر الا فى سوق الخبز وما يجانسه من الضروريات المزعجة .

صــوت ـ يبدو انك لم تتعود ركوب الاهوال ؟

صابـر ـ لا أعتقد أن هناك خطرا يخشـى كوسواس العيش وما يعترض الانسان فى حياته اليومية من المناظر المؤذيــة .

صــوت ـ هذا يشجعني كثيرا على مرافقتك فى هـذه الرحلـــة .

صابـر ـ سيكون خيرا ان شاء الله .

(صوت الباخرة .. حركـة الركـاب ..)

صابـر ـ لو كنت اعلم ان سعادتي تنتظرني هنـا فى البحر لما ترددت فى السعي اليها .. ولكن لكـل اجـل كتــاب .

صــوت ـ هل تفكر فى شيء ؟ .

صابـر ـ فيما ذا ؟ .

صــوت ـ فى البيت فى الاسرة .. فى ...

صابـر ـ (يقاطعه) لا لا .. لا افكر فى احد من هـؤلاء .. انني سعيــد .

صــوت ـ هل سافرت فى الجو ؟ .

صابـر ـ نعم .. غير مرة ... ولكن .. (يبتسم)

صــوت ـ ما ذا ؟ ..

صابـر ـ فى الحلــم .

صــوت ـ فى الحلــم ؟ .

صابـر ـ نعــم .

صــوت ـ والحلم احيانا كاليقظـــة .

صابـر ـ انا ارغب فى كل شيء الا فى الماضي .

صــوت ـ بعد مدة تنتهي رحلتنا البحريـة وتتابــع السفر فى الجو ...

صابـر ـ فى الجو ؟ ... هذا جميــل .. الا انني لا ادرك جيدا حقيقة المهمة التي نحن نسافــر من اجلهـــا .

صــوت ـ هي مهمة خطيرة .. واظن انني حدثتــك عنهـــا سابقـــا .

صابـر ـ لم اعد اذكر شيئا على وجه التحقيق .. لان ذاكرتي أصبحت ضعيفة ..

صــوت ـ ستقوى فيما بعد . انت اليوم رجل مسؤول وعليك ان تقدر مسؤوليتك .

صابـر ـ لقد كنت مسـؤولا فيما مضى عن نفســي وحدها وعن شؤون الاسرة وهذا لا يكفي .

صــوت ـ انت اليوم انسان آخر .

صابـر ـ هل هذا صحيح ؟ .

صــوت ـ لا ريب فى ذلك .

صابـر ـ لقد اعتدت كسائر الناس ان اقيس مكانتي بمقياس ما عندي من المال .

صــوت ـ هذا صحيح ايضا .. وانت ترى ولله الحمد ان جيوبنا الآن طافحة بالذهب . (يدخل احدى يديه فى جيبه ...)

صابـر ـ بالذهــب ؟ .

صــوت ـ اعني الاوراق المالية التي تحمل قيمــة الذهب .. ها هي ذي .. وبفضل هذه الأوراق استطعنا ان نركب الباخرة .. وسنركب الطائرة ووو .. ووو ..

صابـر ـ (يقاطعه) نعم .. فهمت .. ولو انني لــم اقنع بعد بهذا الفنى المفاجيء .

صــوت ـ لا تكن رجلا متشككــا .

صابـر ـ ان الشك هو الباب الوحيد الذي ندخل منه الى اليقين . سامحني ان اصرح لك بانني كثيرا ما اعتقد انني انسان له مكانته ؛ وسرعـان مـا كانت تتبخر هذه العقيدة تحت حرارة الواقــع فلا اجدني بعد الا شخصا عاديا خاملا .

صــوت ـ لعلك كنت تحلم بشيء قبل أوانه .. كلنـا يقع فى مثل هذا . بل كثيرا مـا اعتقدنـا اننـا شخصيات محترمة والناس يرمقوننا باطـراف أعينهم ... والواقع انهم كانوا يزدروننا .

صابـر ـ اذا كانت هذه الاوراق التي بين ايدينا حقيقة دون ان نكون حالمين .. فاننا نكـون عندئــذ قادرين على كل شيء .. ولا يمكن لاي شيء ان يحول دون ما نريد .

صــوت ـ ثق اننا كذلك ولا تفكر فى هذا كثيرا .. فان ذلك يفسـد علينا سعادتنا . اعتقد وتيقن اننــا كما نحــب .

صابـر ـ نعم على ذكر المسؤولية اريد ان اعرفهـا بالضبط .

صـوت ـ ستعرف كل شيء قريبـا .

صابـر ـ هذا كل ما اريد .. وهكذا كانت زوجتي تريد مني

صـوت ـ انت وانا ولله الحمد كما تحب وترضى .

(أزيـز الطائـرة)

صابـر ـ يا لها من سرعة عجيبـة .

صـوت ـ بالتأكيـد .

صابـر ـ لم اعد اذكر كيف غادرنا الباخرة وامتطينا الطائـرة .

صـوت ـ هذا لا يهم ... يجب عليك احيانا الا تتذكر .. فالنسيان يجمل الحياة .

صابـر ـ ولكن متى سنأخذ حظنا من المتعة لنتبين مدى نفع هذه الاوراق ؟ .

صـوت ـ لا تقل الاوراق بل قل الاموال .. فالاوراق تحمل معاني كثيرة .

صابـر ـ لقد تعودت النطق بهذه العبارة لان لها علاقة قديمة بعملي .

صـوت ـ قلت لك انس الماضي لانك انسان آخـر فوق الاوراق ...

صابـر ـ الحمد لله .. الحمد لله .. كم كنت اتمنى هـذا .

صـوت ـ بمجرد هبوطنا الى الارض سنختار فندقا ارستقراطيا قد توفرت فيه مختلف انواع الرفاهيـة .

صابـر ـ ولا بد من تخيرنا لأشهى الاطعمـة والـذ المشروبات .

صـوت ـ نشرب ونأكل كل ما لذ وطاب .

صابـر ـ تماما وبلا تردد .. لا فرق بين حلالها وو..!

صـوت (يقاطعه) الى آخره ...

(موسيقى غناء ورقص)

صابـر ـ (معجبا) ياسلام .. اي جمـال هـذا .. عيون ساحرة .. قدود مائسة .. آه لو كانت لي قدرة خارقة لو هبت الخلود الى هذه المناظر حتى لا يلحقها الفناء ...

صـوت ـ خلدها في ذاكرتك لتكون لك ذكريـات سعيدة ... !

صابـر ـ علي ان اكلم هذه الحسناء ... يا ليت هذا النعيم يدوم ..

(أزيـز سيـارة ..)

فتـاة ـ (في دلال) اذا لم يدم فانه يتجدد ..

صابـر ـ صدقت ايتها الجميلة الفتانة .. ال .. ال .. ال .. ما اسمك ؟ .

هـي ـ أحـلام ...

صابـر ـ احلام .. احلام .. يارب .. يارب .. هذه احلام .. انت اجمل ما في الدنيا .. يكاد كل شيء يتم وفق المراد .. ولكن .. انهـا .. انهـا .. احلام .. (متخوف ...)

هـي ـ ولكن .. ما ذا هناك ؟ ...

صابـر ـ آه .. اخشى ان اكون في حلم ..

هـي ـ لا تخشى ياصابر .. الدنيا كلها حلم عبر اليقظة الأزلية ...

صابـر ـ اذن علينا بالمائدة ...

(حركة الاطباق .. المائـدة)

صابـر ـ لاول مرة في حياتي اجلس حول مائدة الحب .

هـي ـ والحب يا عزيزي احلا .. احلا ..احلام..

صابـر ـ احـلا .. آ يا أحلامي .

(مائدة الافطار في بيت صابـر)

كريمـة ـ (تعد الافطار وتردد كلمـات) احـلام .. آيا احلامي .. يا .. يا .. يا .. صابر .. صابر صابر .. قم وقت العمل يقترب ... من هذه التي تحلم بها ياظالم ؟ . أهذا انت ؟ ..

صابـر ـ (يستيقظ .. يتمطى) انـا .. انـا اعـوذ بالله من الشيطان الرجيم .. انها فتنة الاحلام .. (هامسـا) لقد صدق ظني ..

(ستـار)

عبد القادر المقدم



في المغـــرب :

الاسرة مدرستنا الاولى : فى الرباط عاصمـــة المغرب الجميل عقد مؤتمر عالمي عولجت فيه مشاكـل الاسرة ومكانة الاسرة ورسالة العائلة نحـو الاجيال ، والحق ان ثقافة الشعوب ورقي الامم وسعادة الحيـاة متوقف قبـل كل شيء على العائلـــة والاسرة فهـي الاساس ، وهي الميـزان الـذي تقاس بـه درجـات التقدم فى مختلف اقطار الدنيا ولا يمكن لامة من الامم ، ولا لدولة من الدول ان تحقق تربية موجهة لابنائهـا او تبني مستقبلا ثقافيا هادفا لشبابها اذا لم تتعـاون مع الاسرة ، اذ الاساس الاول والمحيط الذي تنمو فيـه براعـم الطفولـــة وتتفتح على اشعتـــه ازهـار الشباب هو الاسرة ولذلك يحق للعالم بل ويجب علـى كل المخلصين فى الدنيا ان تتكاتـف جهودهم وتتحـد مجهوداتهم لتهيئة هذا المحيط الذي تتأثـر بـه حياة ابنائنا ويتوقف عليه مستقبل عالمنا . . .

وليفهم المسؤولون والحاكمـون والمسيـرون ان الرقي الحقيقي والازدهـار الصادق هو الـذي يبـدأ من القاعـدة وينبعث مـن الخلية الاولـى للمجتمـع الانساني ، ولا يخفى ان المجتمع فى حقيقته هو الاسرة مهما صغرت والاسرة هي الرجل والمراة والذكر والانثى وكما لا يمكن اي نجاح فى مجهوداتنا التربوية مـا لـم تتعاون مع الاسـرة ، كذلك لا يمكن للاسرة ان تفيد او يكون تعاونها مثمرا مع المدرسة الا اذا كـان ركناهـا سليمين متقاربين فى الوعـي ، فاهمين لمسؤوليتهما ، مدركين لمهمتهما وهما الاب والام .

اما اذا تركنا الام فى جهلها ولم نعمل على انقاذها من ظلمات الحياة فلا نامل من الاسـرة شيئا الا فـي حدود ضيقة جدا ، ولا ادل على ذلك مثل واقعنا نحن فى الوطن العربي الذي لايعتبر فى الدرك الاسفل مـن التخلف ، وانما هو وسـط وفيـه امكانيات الازدهـار والتقدم ما لا يملكـه الا القليل فى الدنيا ، ولكن رغـم كل الامكانيات ورغـم كـل الجهـود الرسمية وغيـر الرسمية التي تبذل فى سبيل تطوير مجتمعنا العربـي لم نزل فى مجال مربوط بمقاييس رقي اسرتنا العربية ، فلا الجامعات ، ولا المدارس ، ولا المعاهـد التربوية ولا الاقتباس من الحياة الغربية ، ما كل ذلك بمفيد وحده فى دفعنا الى الامام من غير ان تساهم فيـه الامومـة الواعية والاسـرة المثقفة . . وعلم من تشاء فى اهـوار العراق ، وكون من تشاء فى صحراء نجد ، او باديـة الاردن ، او واحات مصـر ، او جبال شمال افريقيـا ، فلن يغير ذلك شيئا من العقل والتفكير والمثل والدوافع والاستجابات لان المراة فى جميع ذلك جاهلة لاتعرف من الحياة شيئا ، والاسرة فى كل ذلك تدور على تقاليـــد مظلمة وعادات متوارثة تهدم كـل ما تبنيـه المدارس وتتعقب كل ما يتسرب من النور فى النفوس فتمحيـه فاذا بالشباب مثقف اليد واللسان ، جاهل الفكـــر والعقل بدوي التصرف والتفكير ، يحمل من الشهادات والاجازات ما يخضع للتقاليد والعادات ولا يفيده فـي سلوكه الاخلاقي وتطوره العقلي شيئا .

فى بيـــروت :

عروبة الجزائر حقيقة ثابتة . . ولكن : يعقد فى بيروت مركز الاشعاع الثقافي العربي مؤتمر لاتحـــاد معلمي العرب ، وذلك من اجل دراسة شاملة وواقعية للتعليم فى الجزائر المستقلة ، ومسؤولية الدول العربية فى تعريبه ـ والحق ان الجزائر فى حاجة ملحة وضرورية فى ميدان التعليم ، حيث انها ورثـت تركـة مثقلـة بالويلات ، ولا يمكن للدولة الجزائرية ان تقوم بواجبها تجاه الشعب الجزائري قياما تاما الا اذا وجـدت فى اخوانها واصدقائها وابناء عمومتها المساعدات الكاملة من الناحيتين المادية والادبية ، ولا نقصد بالمادية ما يتسارع اليه الذهن من المادة ذات الرنين ؛ ولكـن نعني زيادة على ذلك ما يؤول الى المادة او يسد مـا تسـده المادة ، فانشاء المدارس واقامة دور المعلمين

الابتدائية وكلية للتربية والتعليم ، وفتح مراكز للثقافة واعارة المدرسين الاكفاء والمعلمين ، كل ذلك تطلبه الجزائر في محنتها الثقافية .

وثقوا ايها الاخوة في مشارق الارض ومغاربها ، ان عروبة الجزائر ، واسلام الجزائر وايمان الجزائر بكم ، هو الذي كان سلاحها الفعال في الوقوف امام موجة التفرنس المنظم المحكم ، ولولا ذلك الاشعاع الذي اضاء لابنائها الطريق الواضح السليم نحو عروبتهم وقوميتهم ، لولا ذلك ، ولولا فضل الاسلام الخالد لبلغت فرنسا مما تريد وما تبتغي اكثر مما تشاهدون .. فنحن ايها الاخوة نعاني مما تعانون ، نعاني الثالوث المقيت الجهل والفقر والمرض ، ونعاني من نكبة الاستعمار وطول الكفاح وكثرة المشاكل مما يلحق بذي القوة اعياء لا يستطيع معه عملا متمرا ، ثم نعاني بالذات جهلا بالعربية الرسمية ، عربية الشهادات، اذ دراستنا للعربية كانت طول مدة الاستعمار عملا خارجا على القانون يعاقب مرتكبه ، وكان المثقف بالعربية فدائيا يعمل بصمت وصبر يائسا من كل شيء الا من يقظة الجزائر وعروبة الجزائر واستقلال الجزائر .. اما الحياة واما ما يضمن الكيان ويكفل المعيشة فذلك ما لا يعرفه ولا يحلم به .. ورغم كل ذلك فقد خلق هؤلاء الابطال بعثا سليما منظما للعربية في الجزائر واصبح لها كيان وجنود ، ومدارس ومعاهد ومعاقل وحصون .. واليوم وبعد النصر العظيم لابد لاخوتنا من ان يمدوا يدا قوية ومخلصة لانقاذنا والاخذ بنا الى التعريب .. واول اساس للتعريب ايها الاخوة هو التعليم ، فبالتعليم يخلق كل شيء وبالمدرسة والمعلم يكون كل شيء ، وان الجزائر التي ضحت واغلت في التضحية لتتمنى من اخواتها ان يشاركوها في معركة البناء وان يضحوا معها في سبيل التشييد واعادة الحياة ، لا يرجون من وراء ذلك جزاء بشري ويسيل اللعاب ولكنهم سيجدون شكورا واحتراما واخوة حية تشاركم ما تكسب ، ولا تبخل عليكم بما تملك .

نعم ، ايها الاخوة المربون قد اثبتت تجارب اخواننا ان التعريب ليس عواطف تنثر هنا وهناك او اماني يهرب الى ظلالها اليائسون او يتاسى بها المصدومون من الواقع المؤلم ، وليست المؤتمرات والندوات والتصريحات الا من قبيل الاستهلاك المحلي وتغطية الشمس المحرقة لكل ما هو عربي بغربال متقطع ، التعريب اذا ليس بذلك كله ولكنه دراسة منظمة وتصميم صادق مخلص وبرنامج محدد وتطبيق محكم جاد ، وعندئذ سنجد ان الاساس لتعريب الادارة والبلاد والعقول والعباد انما هو المدرسة والمعلم ، وان غير ذلك كله باطل ولن يجدي نفعا ولو ملأنا الدنيا تصريحات واقمناها واقعدناها بالمؤتمرات والاجتماعات والاحتفالات والضيافات .

فالطريق السليم للتعريب هو تعريب المدرسة والمعلم ولا اقول بالطفرة ، بل لا اومن بها في بلد كالجزائر ، ولكن اومن ايمانا قاطعا انه من غير اخلاص للتعريب وايمان بالعروبة وتصميم مدروس يراعي امكانيات البلاد ولا ينسى الطاقات التي نستمدها من اخواننا ، ويبدا اول ما يبدا في تعريب السنة الاولى من الدراسة الابتدائية على ان يستمر ولا يتراجع وعلى ان تدرس اللغة الفرنسية كلغة ثانوية في المتوسط الثاني ، وتبقى كذلك في جميع مراحل التعليم ، اذا وجدنا هذه الادارة وهذا الاخلاص ، ولا نعتقد الا ذلك فلن يتاخر تعريب البلاد ، ولن تهزم العربية على يد ابنائها بعد ان قهرت اعداءها ، ذلك ما نرجوه وعسى ان يتحقق .

وفي الجزائــر :

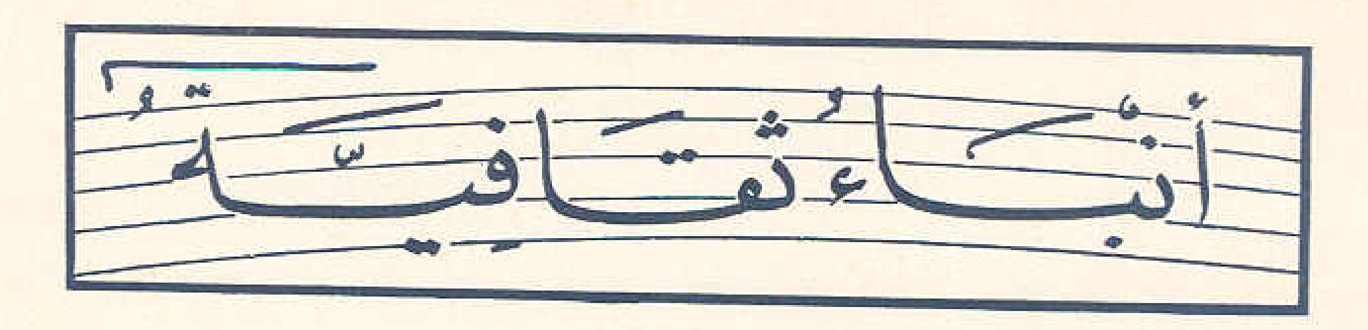
مسؤوليــة ضخمــة على الشبــاب المثقــف :

في اوائل الشهر التاسع يعقد الطلبة الجزائريون اول اجتماع للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في ارض الجزائر المستقلة بعد كفاح خاضته الطبقة المثقفة جنبا الى جنب مع الشعب الجزائري الباسل بجميع طبقاته ، فالمعلم ، والاستاذ ، والتلميذ ، والطالب ، والفلاح ، والعامل ، والموظف ، والمستخدم ، والرئيس، والمرؤوس ، والرجل ، والمراة ، كل ذلك كان يدا واحدة وقوة متحدة لتحطيم الاستعمار ، وقد تحمل الطلبة من اجل استقلال الجزائر ما لم يتحمله غيرهم في كثير من بلاد الله ، حقا كلما وجدنا انتفاضة الا ووجدنا وراءها العقل المفكر ، والشباب المتحمس ، والطالب المندفع المضحي . فالشباب في كل امة هو الفتيلة والوقود ، ومن منا ينكر تضحيات الطلبة الزيتونيين في تونس واضراباتهم ومظاهراتهم وتحديهم لقوى المستعمر وقوى الظلم ، ومن منا يتجاهل شجاعة الطلبة في ارض الرافدين وسهول العراق ايام عهد الطغيان البائد وهم يتلقون بصبر وقوة وصدور ابية رصاص الحاكمين ، نعم في ارض لبنان وغوطات دمشق ومرابع النيل ، وفي كل شبر من ارض العروبة سالت

دماء الشباب فداء لحرية العروبة ومهرا لوحدة العرب وما قصر شباب الجزائر بل ضرب المثل الاعلى الى جانب آبائه واخوانه حتى تحقق النصر السياسي ، ولكن رغم هذا النصر فهو يشعر بحاجة بلاده الى العقول المفكرة والعزائم المتحمسة والايادي العاملة ، وهو يعلم ان هذه الثورة لن تؤدي مهمتها الكاملة ولن تحقق رسالتها المنشودة الا بتوعية الجماهير والوقوف الى جانب الشعب يوضح له الاهداف ويبين له الغاية ويرسم له الطريق ويساعده على تخطي العقبات وانها لمهمة اعظم واكبر ، وانها لمسؤولية يتحملها الجميع ولكن اغلب الحمل واثقل العبء يقع على الشباب الواعي المثقف الذي يجب عليه ان يستميت في الكفاح ويعمل بكل ما اوتي من قوة ليبني الجزائر الحرة بناء يتلاءم مع حاجيات الشعب ويستجيب لمتطلبات الحياة ويلبي نداء الضحايا الذين ماتوا في سبيل الجزائر التي يحلم بها كل فرد من افراد الامة : جزائر عربية مسلمة ، تعمل من اجل الوحدة وتقوم بواجبها كعضو فعال من اعضاء الامة العربية ، جزائر تتحقق فيها العدالة الاجتماعية، وتسودها الديمقراطية وتحقق من بؤسها وآلامها الاشتراكية ، تلك هي الجزائر التي يتمناها الشعب ومات من اجلها اكثر من مليون ، فهل تحققون يا شباب الجزائر ما يريده شعب الجزائر ، ويتمناه اخوان الجزائر .

الرباط : موساوي زروق





* ستشهد المملكة المغربية فى اوائل سنة 1963 اهم مؤتمر عرفته القارة الافريقية فى حياتها الحرة ، ذلك هو مؤتمر المؤرخين الافارقة .

لقد اشتهر الافارقة على العموم باهمال الحديث عن تاريخهم القديم ، ولما حل الاستعمار ببلادهم حاولوا ان يكتب هذا التاريخ بروح بعيدة كل البعد عما ينبغي ان يكتب تاريخ قارة لها تراثها ولها حضارتها ولها كيانها . . .

وان هذا المؤتمر سيكون فرصة نادرة لان تقدم فيه كل دولة من الدول الافريقية التابعة لميثاق الدار البيضاء مذكرة عن تاريخ بلادها مكتوبة بأيد افريقية وبروح بعيدة عن الغرض والتحيز مزودة بالافلام والصور والوثائق .

وسيكون المؤتمر فرصة مواتية ايضا لعلاج عدة نقاط تمس تاريخ افريقيا :

1) مصادر تاريخ افريقيا
2) المناطق التاريخية لافريقيا
3) تعليم التاريخ الافريقي
4) العوامل التي جعلت افريقيا تتعرض للغزو الاوربي
5) المصادر المجهولة عن تاريخ افريقيا

وبهذه المناسبة فاننا نهيب بالسادة المؤرخين ان يسهموا فى هذا المؤتمر الذي سيكون شعارا لتصحيح كتابة تاريخ افريقيا وستترجم سائر البحوث العربية المركزة الى اللغتين الفرنسية والانجليزية ، كما ستنال البحوث المختارة تعويضات شرفية اكبارا لرجالها . .
فعلى السادة المعنيين ان يتصلوا بوزارة التربية الوطنية ، قسم الشؤون الثقافية الداخلية .

* عقد مؤخرا خبراء التعليم الوطني فى دول ميثاق الدار البيضاء اجتماعا فى كوناكري ومن جملة القضايا التي تناولها الخبراء بالدرس والتنسيق برامج التعليم وانشاء تعادل فى الشهادات ، واشترك فى هذا الاجتماع مندبون عن المغرب وج.ع.م. ومالي والجزائر وغانا وغينيا .

* عقد مؤخرا فى الرباط المؤتمر الدولي للاسرة تحت الرئاسة الشرفية لصاحب الجلالة والرئاسة الفعلية للدكتور يوسف بن العباس وزير الصحة العمومية ، واشترك فى هذا المؤتمر الدولي ممثلون عن الصومال والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، والجمهورية العربية المتحدة ، وجمهورية الفيتنام ، واليمن ، والسودان ، وغينيا ، وغانا ومالي ، والاردن ، والهند والعراق ، ولبنان ، واندونيسيا والباكستان ، والصين الشعبية ، والعربية السعودية ، وسوريا ، والسينغال ، والمغرب ، كما اشترك فى اعمال المؤتمر ممثلون عن الاتحاد الدولي للمنظمة العائلية .

* اصدرت رئاسة الحكومة المغربية قرارا باصدار طابع بريدي يحمل صورة الملك المولى اسماعيل بمناسبة ذكرى مرور ثلاثة قرون على عهد ولايته .

* اصدرت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الموريطانية صحيفة بعنوان « الجنوب » للدفاع عن موريطانيا الجزء السليب من الوطن المغربي .

* زارت المغرب اخيرا وفود كشفية من جميع البلدان العربية اشتراكا منها فى المخيم العربي الخامس الذي اقيم بالرباط .

* ستصدر عن مكتب التاليف والترجمة والنشر التابع لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية مجموعة من الكتب النفيسة فى شتى الوان المعرفة .

✲ سيصدر في بريطانيا قريبا مؤلف عن حياة جلالة الملك الحسن الثاني الذي الفه عنه الكاتب البريطاني « روم لاندو » الاستاذ في جامعة الباسيفيا في ولاية سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة . وقد سبق للكاتب المذكور ان الف عدة كتب عن جلالة الملك الراحل محمد الخامس وعن المغرب .

✲ بدعوة من وزارة التربية الوطنية المغربية زار المغرب مؤخرا فوج من الطلبة الجزائريين والتونسيين .

✲ تم اخيرا بناء مسجد جديد في الطريق الساحلية بحي عين السبع بالدار البيضاء .

✲ يصدر قريبا عن الشركة القومية للتوزيع والنشر بتونس كتاب (فوارة الظما) لمؤلفه السيدمحمد الصباغ في اكثر من 200 صفحة . وفي اخراج أنيق ويشتمل على مقطوعات جمالية ، وقد سبق للمؤلف ان اصدر هذه المؤلفات : (العبير الملتهب) (شجرة النار) (اللهات الجريح) (شلال الاسود) (انا والقمر) .

✲ يستعد الاستاذ ابو بكر اللمتوني والاستاذ محمد عبد الواحد بناني لاعادة طبع كتابهما المدرسي « المطالعة الابتدائية » طبعة ثانية منقحة ومزيدة . ولا يسعنا الا ان نشكر المؤلفين على ما قاما به من خدمة للنشء المغربي . وقد لاقت الطبعة الاولى من هذا الكتاب استحسانا كبيرا من لدن وزارة التربية ، ومن الاوساط الثقافية والتربوية راجين لهما مزيدا من النشاط حتى يكملا سلتسلتهما على أحسن وجه .

✲ اصدرت وزارة البريد والتلفون والتلغراف المغربية طابعا بريديا بمناسبة المخيم الكشفي العربي الخامس الذي عقد بالمغرب .

✲ يعتكف محمد جميل بيهم رئيس المجمع العلمي اللبناني سابقا في مصيفه بقرنايل لاعداد كتابه المقبل للطبع بعنوان : « **عالم الاحرار** الجديد في البلاد العربية والاسيوية والافريقية » الذي يستعرض اثر الصراع بين الكتلتين الغربية والشرقية في رفع قواعد العالم الجديد .

والجدير بالذكر ان الاستاذ بيهم قضى بضع سنين في تاليفه .

✲ « بقيت وحدي » ديوان يصدر للشاعر ابو بكر اللمتوني من طنجة ، نتمنى له الرواج والصدى البعيد .

✲ تقدم السيد سهيل العشي سفير الجمهورية العربية السورية بالمغرب للمكتب الدائم لمؤتمر التعريب باقتراح يتضمن 6 نقط لتنظيم ندوة لتنسيق المصطلحات العربية في الميدان الاداري وتوحيدها في العالم العربي وقد عرضت هذه النقط على اللجنة المركزية للمصطلحات الادارية في اجتماعها الاخير فوافقت عليها مبدئيا بعد دراستها ومناقشتها بكيفية تفصيلية .

✲ دعت اللجنة التأسيسية لاتحاد الناشرين العرب في القاهرة الى عقد مؤتمر عام يحضره الناشرون في مختلف انحاء الوطن العربي . وقد تقرر عقد هذا المؤتمر في شهر نوفمبر المقبل في مدينة تونس .

✲ اصدر الاديب الليبي محمد عبد السلام رواية « الايدي الخشنة » .

✲ جريدة « الطالب التونسي » عادت الى الصدور بعد توقف دام مدة طويلة .

✲ في أول الشهر الماضي عقد مؤتمر للمثقفين في نيبال درست فيه عدة مشاكل ثقافية وادبية وعلمية ، ودام المؤتمر خمسة ايام .

✲ قررت جامعة الخرطوم الاستعانة ببعض الاساتذة والموظفين العراقيين لملء الشواغر الموجودة لديها في التعليم .

✲ سيؤسس في الخرطوم مجمع لغوي .

✲ لاول مرة تمنح جامعة الازهر الدكتوراه الفخرية في تاريخها احرز عليها رئيس وزراء نيجيريا الشمالية احمدو بللو .

* عقد بتاريخ 27 يوليو الى 5 غشت فى طانجنيقا اول مؤتمر للنساء الافريقيات ، وحضر هذا المؤتمر حوالي 120 مندوبا ملاحظا يمثلون 40 دولة واهتم المؤتمر بدراسة دور المراة الافريقية فى بناء صرح الوطن .

* يعكف الدكتور طه حسين رغم اصابته بالشلل على تاليف كتاب فى ثلاثة اجزاء عن الثورة التي نشبت سنة 26 للهجرة . وقد فرغ الكاتب من كتابة الجزئين الاول والثاني وتمت فى نفس الوقت ترجمتهما الى الفرنسية وعنوان هذا الكتابهو «المتعطشون للعدالة» .

* « الحرية عند العرب » عنوان كتاب جديد للاستاذ ابراهيم حداد يتضمن بطولات العربوامجادهم عبر التاريخ .

* اصدر الدكتور لويس عوض كتابا جديدا بعنوان « دراسات فى النظم والمذاهب » ويشتمل على دراسة الفكر الاوروبي خلال القرن التاسع عشر .

* « الضفيرة السوداء » مجموعة قصص اصدرها القاص المصري المعروف عبد الحليم عبد الله .

* « ذكرياتي عن المسرح » هو آخر مؤلف للاستاذ محمود تيمور .

* فى الاسبوع الماضي احتفلت الاسكندرية بمهرجان الشعر والزجل .

* ظهر فى المكتبات العربية فى هذا الاسبوع الكتاب الجديد الذي الفه الاستاذ عباس محمود العقاد بعنوان « اشتات مجتمعات فى اللغة والادب » .

* اصدر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة كتابا جديدا يحمل عنوان « نظرية الحرب فى الاسلام » .

* شرع الدكتور عبد الرزاق السنهوري بوضع مسودة للقانون المدني العربي الموحد الذي سيتقدم به الى الدول العربية ليكون اساسا للبحث فى توحيد القوانين المدنية النافذة المفعول فى الوقت الحاضر .

* اصدر الملحق الادبي لجريدة التايمز الانجليزية عددا خاصا عن الثقافة الفرنسية .

* « الابتسامة القامضة » مجموعة قصصية جديدة لمحمد ابو المعاطي ابو النجا . صدرت مؤخرا .

* يصدر فى هذه الايام بالقاهرة كتاب « المراة فى شعر البحتري » للدكتور شكري عياد .

* كتب عبد الرحمن الشرقاوي مسرحية شعرية حول ماساة الحسن والحسين .

* اعد للنشر الدكتور محمود احمد الحفني كتابا عن « سيد درويش » .

* طلبت كلية الآداب بجامعة القاهرة تحويل قسم الآثار بها الى معهد مستقل للآثار لتخريج فئة من المتخصصين فى الآثار المصرية والعربية .

* فى شهر شتمبر من السنة القادمة سيقام احتفال كبير بذكرى محمد عبده .

* « الالياذة الاسلامية » ديوان الشاعر محمد ابراهيم . نظمه فى تسجيل الاحداث الاسلامية الكبرى

* ستظهر دراسة عن « حياة المؤرخين » لشفيق غربال وسليم حسن عن المجلس الاعلى للفنون بالقاهرة .

* « دراسات فى الرواية المصرية » للدكتور علي الراعي تصدر فى القاهرة مؤخرا .

* تدرس وزارة البحث العلمي بالقاهرة دائرة معارف علمية .

* مسرحية صمويل بكيت « لعبة النهاية » قام بترجمتها الى العربية الاستاذ علاء الدين ، كما قامت فوزية مهراتا بترجمة روايته المسماة «فى انتظار جودو»

* نعت القاهرة الدكتور وهيب ميخة .

* « نساء » عنوان الديوان الذي يصدر للشاعر السوري عمر ابو ريشة .

❊ « الوان الطين » عنوان الديوان الذي سيصدره الشاعر السوري المعروف عمر بهاء الاميري.

❊ تصدر الشاعرة السورية غادة سلهب اول مجموعة شعرية بعنوان « قلب وزهرتان » .

❊ اقيم في دمشق اسبوع العالم الثالث برعاية الدكتور ناظم القدسي رئيس الجمهورية .

❊ في سلسلة الادب الجزائري التي تصدر بدمشق صدرت رواية « ابن الفقير » للكاتب الجزائري مولود فرعون بترجمة جورج سالم .

❊ تطبع الآن روايتان لفقيد لبنان الاستاذ مارون عبود بعنوان «فارس اغاد» و « العجول المسمنة » .

❊ يعد الشاعر اللبناني رشيد سليم الخوري كتابا للنشر .

❊ « المبارزة » رواية تشيخوف قام بترجمتها الى العربية الاستاذ عوض شعبان .

❊ اعد الناقد جورج غريب كتابا عن الشاعر اللبناني الرمزي سعيد عقل بعنوان « الغزل الحضاري»

❊ صدر اخيرا كتاب « تائهة في الشارع » وهي قصة جديدة كتبها الاستاذ حاتم الخوري .

❊ ظهرت مؤخرا في المكتبات العربية رواية جديدة للدكتور سهيل ادريس بعنوان « الاصابع التي تحترق»

❊ صدر في بيروت لامل مسكوني كتاب عنوانه « شعراء هازلون » .

❊ يصدر في لبنان للفقير ابراهيم المنذر ديوان جديد يضم مختارات من شعره غير المنشور .

❊ تأسست في صور بلبنان «جمعية الانماء الثقافي الاجتماعي » .

❊ اضافت الشاعرة اللبنانية ادفيك شيبوب الى دواوينها ديوانا جديدا يحمل اسم « شوق » .

❊ اصدرت مجلة « الحكمة » البيروتية عددا خاصا عن فقيد الادب مارون عبود .

❊ يشتغل رئيس الجامعة اللبنانية الاستاذ فؤاد افرام البستاني في كتابة دراسة مطولة عن الاستشراق واثره في الثقافة العربية .

❊ صدرت في بيروت مجموعة قصصية لايلي عزيز بعنوان « غرفة على السطح » .

❊ « موت الآخرين » مجموعة شعرية لرياض نجيب الريس مع دراسة لجبرا ابراهيم جبرا صدرت حديثا في بيروت .

❊ « افاعي الفردوس » للمرحوم الياس ابو شبكة اعيد طبعه مرة ثالثة في لبنان .

❊ صدرت في لبنان طبعات جديدة لكتب فؤاد سليمان وهي : « تموزيات » « درب القمر » « صباح الخير » « اصوات لبنانية » .

❊ يعد الاستاذ جوزيف باسيلا كتابا للطبع بعنوان « اموات واحياء » يتناول بالنقد بعض الادباء الاحياء والاموات .

❊ تدرس وزارة المعارف مشروع ارسال مطبوعات الكتاب والمؤلفين العراقيين الى مكتبة جامعة هلسنكي بفلندة .

❊ ستصدر « دائرة معارف الفكر الانساني » في ثلاثة اجزاء في موضوعات الفنون والآداب والمذاهب الفلسفية والفكر الاقتصادي ، والاجتماعي ، والسياسي والقانوني ، والديني .

❊ « الاسلام في عهد الثورة » عنوان الكتاب الذي سيصدره الشيخ عبد الجبار الاعظمي ، وهو من مطبوعات مجلة الثقافة الاسلامية يتضمن ابحاثا ومواضيع اسلامية .

* عن دار « الرائد » بحلب صدرت مجموعة شعرية بعنوان « ابنة الفصول » .

* ببغداد صدر حديثا كتاب « مآسي ومهازل الحقيقة والتاريخ » من تاليف الاستاذ اكرم نشأت ابراهيم .

* ستصدر « دائرة معارف الفكر الانساني » كتاب عن « التيارات الادبية في العراق ـ الزهاوي الشاعر القلق » .

* تالفت في بغداد لجنة لتابين الشاعر الفقيد عبد القادر الناصري .

* صدرت في بغداد مجموعة قصصية « غدا ياتي الربيع » .

* دراسات في التخصص » عنوان الكتاب الذي اصدره محمد علي مشتملا على مجموعة من البحوث باقلام بعض السعوديين الذين يتخصصون في الجامعات الاوربية .

* صدرت في عدن مجموعة شعرية بعنوان « اناث شعب » للشاعر محمد لقمان .

* يعكف العلامة الشيخ محمد عبد القادر على كتابة الجزء الثاني من كتابة « تاريخ الاحساء » .

* صدرت في السعودية الكتب الآتية :
« ذكريات » لاحمد علي « ليالي » لاحمد بنوتة « حيث الملتقى » سعيد ذو الفقار « قبلات الهوى » لمحمد اسماعيل جوهري « مع طه حسين والشعراء » لمحمد علي السنوسي .

* « هجير وسعير » ديوان شعر صدر للشاعر احمد الخليفة من البحرين .

* اكتشفت في بخارى احدى مخطوطات قصائد الشاعر جلال الدين الرومي التي تعود الى القرن الثالث عشر ، وهي تشتمل على ستة دفاتر من الاشعار المجموعة في ديوان باللغة الفارسية .

* دخلت مجلة « الهند » التي تصدر في مكة عامها الثامن والعشرين .

* توفي في الكويت الدكتور صبحي محي الدين على اثر حادث سيارة ، وللفقيد عدة كتب آخرها « فولتير » .

* وافقت الحكومة الاردنية على ان تقدم الجامعة العربية بالتعاون مع منظمة اليونيسكو بتصوير المخطوطات الاثرية في الاردن لعرضها مع الاخرى في المعارض العالمية . وقد اوفدت الجامعة العربية لهذه الغاية بعثة من خبرائها مع فرقة للتصوير من منظمة اليونيسكو لهذه الغاية .

* عقد مؤخرا في سناي مهرجان دولي خاص بتاريخ حضارة شعوب البلقان واشترك في هذا المهرجان بالاضافة الى العلماء وكبار الشخصيات الثقافية في دول البلقان ممثلون عن عشر دول اوربية واسيوية كما اشترك في المهرجان مندوب المدير العام لمنظمة اليونيسكو

* عقد في نيودلهي مؤخرا مؤتمر السلام حضره 126 من مفكري وادباء العالم .

* صدر اخيرا للكاتب الهندي كريشنا مورتي كتاب « التعليم ومعنى الحياة » .

* نعت يوغوسلافيا اديبها الكبير سالنسكي عن 92 سنة وقد ترك وراءه مؤلفات اهمها :
« شمس الاحرار » و « دمار الحياة » و « الصياد المتوحش » .

* عقد فيما بين 15 و22 من الشهر الماضي ندوة ثقافية دولية شارك فيها ازيد من خمسين دولة .

* احتفلت جامعة هالدلبرغ وهي اقدم جامعات المانيا بمرور 576 سنة على تاسيسها ، وقد تم انشاؤها عام 1386 .

* يقضي عطلة الصيف الدكتور طه حسين في ايطاليا .

* اصدرت اليونيسكو اخيرا لجمهور الصحفيين في العالم دليلا عن الامم المتحدة والمنظمات المتخصصة المرتبطة بها . ويستعرض الدليل تاريخ الامم المتحدة منذ الفترة السابقة على مؤتمر سان فرانسيسكو .

※ « ادنا آوبريان » الكاتبة الايرلندية الشابة التي اثارت ضجة كبرى فى العام الماضي بروايتها الجنسية « فتيات الريف » اثارت ضجة اخرى منذ اسابيع بروايتها الجديدة « الفتاة الوحيدة » التي وصفت الفتاة الاروبية وشاعرتها العاطفية الخفية .

※ عقد اجتماع فى قصر اليونيسكو ضم خبراء ثماني دول ، وقد تم الاتفاق خلاله على تبني نظام للقواعد الدولية الخاصة بالاشارات ، والرموز والالوان التي ينبغي استخدامها فى المصورات التي توضع عن طبقات الارض المائية .

※ توفى مؤخرا فى فلوريدا بالولايات المتحدة مراد ابو ماضي شقيق الشاعر المهجري الكبير ايليا ابو ماضي .

※ اصدر الكاتب الانجليزي والروائي الشهير جون مور كتابا بعنوان : « ايتها الكلمات الانجليزية » .

※ اقيم فى سان باولو حفل تذكاري للفقيد الشاعر عقل الجر بمناسبة نقل جثمانه الى لبنان .

※ « المسلمون السود فى امريكا » كتاب جديد صدر اخيرا لمؤلفه الكاتب الزنجي الامريكي ايريك ليكولن .

※ افتتحت جامعة ستانفورد فى كاليفورنيا مركزا للدراسات اليابانية فى طوكيو ، وهذا المركز هو الرابع من نوعه الذي تحدثه هذه الجامعة . اما المراكز الثلاثة الاخرى فتوجد فى المانيا ، وفرنسا ، وايطاليا .

※ فى الايام الاخيرة تجمع ما يزيد على خمسة ءالاف من المسلمين السود فى مدينة بوسطن بامريكا تلبية للنداء الذي وجهه امام هذه المدينة . والمقصود من هذا الاجتماع هو العمل على حماية احد المسلمين السود من المعاملات القاسية التي تعرض لها من طرف رجال الشرطة .



مصطلحـــات جـديـدة

دعوت في خطاب استقبالي بالجمع اللغوي الزملاء الممثلين للبـلاد العربية ان يقوموا بتعريف من يمثلونهم بكل ما يجد في الحقل اللغوي مـن اوضاع ومصطلحات وان يعملوا على نشر مقررات المجمع بين مواطنيهم ليلا يبقى عمل المجمع مجهولا حبرا على ورق .

واني اداء لواجبي في هذا الصدد انشـر لوائح المصطلحات واهـم المقررات التي تفيد النخبة المثقفة في بـلادي وذلك على دفعات آملا ان تلقى لديهم الاهتمام الذي يجعلهم ينظرون اليها بعين الفحص والاختبار .

عبد الله كنون

مصطلحات في علم الطب الشرعي Legal medicine
للعـــرض على المؤتمـــر

1 ـ صنعة الصفة التشريحية Autopsy technic.

2 ـ الحشيش Cannabis indica (Hashish).
وهو القمم الزهرية لانثى نبات القنب .

3 ـ التشخيص التميزي ـ التشخيص الفـارز Differential diagnosis.

4 ـ غازات الاستصباح ـ غازات الانارة Gases, illuminating.
« وتتكون من تقطيـر الفحم الحجري » .

5 ـ الغازات الطبيعيـة Gases, natural.
« وهي الموجودة في الطبيعـة » .

6 ـ الجازوليـن Gasoline.
احد مستقطرات البترول « النفط » وهـو ما يسمى عادة بالبنزيـن .

7 ـ الياسميـن الاصفـر Gelsemium = Yellow Jasmine.
نبات امريكي متسلق اسمه العلمي (Carolina Jasmine)

8 ـ اعضـاء التناسـل Genitalia.

9 ـ اصابـة الاعضاء التناسليـة Genital trauma.

10 ـ التقيح التناسلي البولـي Genito — urinary sepsis.

11 ـ اختبار « جتلر » « وفرايش » للكحول الاثيلي في الدم والسائل النخاعي .
Gettler & Freireich ethyl alcohol test for blood and spinal fluid.

12 ـ اختبار جتلر وتيبر للكحول الايثيلي في الاعضاء
Gettler & Tiber ethyl alcohol test for organs.

13 ـ صبغـة « جيمسـا » للـدم
Giemsa's blood stain.

14 ـ مسـخ جيـلا
Gilla monster : (Heloder mahorridum).
عظاءة سامـة في المكسيـك .

15 ـ الخلاصـات الغـديـة Glandulae extracts.

16 ـ الجلوكوسيـد Glucoside.
مركب يحتوي على الجلوكوز ، يوجد طبيعيـا في في كثير من النباتـات .

17 ـ الجليكوسيـد Glycoside.
« مركب يحتوي على السكـر »

18 ـ علامة « جوديـل » للحمـل
Goodell's sign of pregnancy.
وهي رخاوة عنق الرحم (فاذا كان العنق رخـوا كالشفة فالمرأة حامل ، وان كان صلبا كالانـف فهي غيـر حامـل) . جـودل جراح امريكـي .

1 ـ القـوة الطاحنـة Grinding force
Groin.

20 ـ المغـبـن Agglutinogens.

« وهو المنطقـة الاربيـة »

21 ـ ازبنـات (م. لزبـن) Guaiacol.

« وهي المواد المنوعة لفئات الـدم »

22 ـ جوايـاكـول Guaiacum test for blood.

23 ـ اختبـار الجواياكم للدم Gunpowder.

24 ـ البـارود Hair trunk (hair shaft).

25 ـ جـذع الشعـرة

26 ـ الشنـق Hanging.

27 ـ توارث جنيـس Homozygous inheritance.

وهو الذى تتجانس فيه الورثتان من الاب والام

28 ـ هيدانتويـن Hydantoin.

« عقـار » .

29 ـ الارتجـاج الايدروليكـي Hydraulic concussion.

وينشا عن ازدياد مفاجيء فى ضغط الماء نتيجـة انفجار قنبلة بحرية ، فتصاب البطن وتتمزق الامعـاء .

30 ـ الحرض الحبنـي Hydropic degeneration.

31 ـ اختبار تعويم الرئة Hydrostatic test on lungs.

ويجري بوضع رئة الوليد فى الماء لاثبات التنفس

32 ـ البكـارة Hymen.

« وهي ثنية غشائية تقفل المهبل الخارجيـة جزئيـا او كليـا .

33 ـ عقـدة Knot.

34 ـ مسـخ Monster.

وهـو الجميـل المشـوه .

35 ـ آخيـة (خيـة) Noose.

36 ـ الزرقـة الرميـة

Sagillations = Hypostosis.

37 ـ الاختلافات الجنسيـة Sex Variations.

38 ـ التقطيـر بالبخـار Steam distillation.

ويجرى الكشف عن السموم الطيـارة .

39 ـ بنيـان Structure.

وهو تكوين الشيء من أجزائـه .

فهرس العدد العاشر — السنة الخامسة

صفحة

1 كلمة العدد

دراسات اسلامية :

2 موقف الاسلام من نظرية النشوء والارتقاء . . لفضيلة الاستاذ ابى الاعلى المودودي
6 بين الدين والشيوعية . . . . للدكتور محمد البهي
14 الدين فى معركة التغريب والتبعية الثقافية . . للاستاذ انور الجندي
17 دواء الشاكين وقامع المشككين . . . . للدكتور تقي الدين الهلالي
21 العلاج النفسي فى الاسلام . . . . للاستاذ جمال بغدادي القادري
24 ميلاد عالم جديد . . . . للاستاذ ابى الحسن علي الحسني الندوي
27 اضواء على آيات قرآنية . . . . للاستاذ حسن بغدادي القادري

ابحاث ومقالات :

31 الصراع المقبل . . . . للاستاذ محمد زنيبر
36 اصل الصراع بين الكنيسة والدولة . . . . . . بقلم : كلود جوليان — ترجمة الاستاذ : محمد برادة
42 استقلال الجزائر وانعكاساته الدولية . . . . . للاستاذ المهدي البرجالي
48 الجزائر تتخلص من نير الاستعمار . . . . . . للاستاذ ابى العباس التيجاني
51 مفاهيم الوحدة المغربية . . . . للاستاذ عبد الله الكامل الكتاني
55 فقيد الادب العالمي : وليم فولكنر . . . . ترجمة : الاستاذ ابراهيم الهواري
57 ابن جزي كاتب رحلة ابن بطوطة . . . . . . للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ
65 شخصية ابى عبد الله السائح الرباطي . . . . للاستاذ عبد الله الجراري

ديوان دعوة الحق :

68 « بسوى عيد وحدتي لا اغني » . . . . لشاعر الثورة الجزائرية : مفدي زكرياء
70 « في مولد الرسول » . . . . للشاعر احمد محمد صقر
72 « على وادي المخازن » . . . . للشاعر محمد الخمار
74 « رسالة شوق » . . . . للشاعر احمد البقالي
75 « قصة الضيعة التي عادت » . . . . للشاعر ابى دفعة محمد

صفحة

شؤون افريقية :

79 الممالك الاسلامية القديمة في افريقيا
« مملكة سفاي » . . . . للاستاذ قاسم الزهيري

معرض الكتب :

85 المقريزي ورسالته : اغاثة الامة بكشف الغمة . . للاستاذ عباس الجراري
90 الاسلام .. لا الشيوعية . . . . للاستاذ اسماعيل مظهر
قراه وعلق عليه . . . . الاستاذ عبد القادر زمامة

قصة العدد :

92 « احلام » مسرحية اجتماعية فكاهية
في فصل واحد . . . . للاستاذ عبد القادر المقدم
96 **الحياة الثقافية في الوطن العربي** . . . . اعداد موساوي زروق
99 الانباء الثقافية :